جامعة 8 ماي 1945 قالمة

حوليات جامعة قالمة
للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة محكمة تصدر عن
جامعة 8 ماي 1945 قالمة

العدد رقم : 09
ديسمبر 2014

رقم الإيداع القانوني: 2007-2129
ISSN : 1112-7880

مديرية النشر لجامعة قالمة
م.ن.ج.ق

جامعة 8 ماي 1945 قالمة

حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلة محكمة تصدر عن جامعة 8 ماي 1945 قالمة

العدد رقم : 09
ديسمبر 2014

رقم الإيداع القانوني: 2007-2129
ISSN : 1112-7880

مديرية النشر لجامعة قالمة
م.ن.ج.ق

بسم الله الرحمن الرحيم

افتتاحية العدد

تسعى **حوليات جامعة قالمة** إلى التأسيس لمنبر علمي لتبادل التجارب البحثية، وتؤكّد يوما بعد يوم تجاوبها مع رغبات الباحثين على اختلاف مرجعياتهم العلمية والثقافية، وتنوع منطلقاتهم المنهجية، وهو ما يعكس طموح الباحثين إلى تجاوز الأطر المعرفية الجاهزة، والآليات المنهجية المكرورة لحاجة الإنسان الماسة – باعتباره باحثا – إلى إثبات ذاته ، وتسجيل حضوره في مختلف فضاءات التواصل من حيث هو قيمةٌ مضافةٌ في البحث، تستجيب للحاجة إلى تغذية العقل وإمداده بما يمكن أن يؤسَّسَ عليه.

لقد كان على **حوليات جامعة قالمة** أن تعكس هذا التطور منهجيّا باتجاهها نحو الانسجام في بنيتها وفي محتوياتها ، لأهمّية الاختيار القائم على أساس التخصّص منهجاً ومضموناً ، وهو المبدأ الذي يصاحبه اختصاص نوعيّ على مستوى الخبراء الفعليين الذين يتولون تقويم البحوث وتقييمها ؛ لتبرز المجلة – في ثوبها الجديد – محقّقة الهدف الذي وجدت من أجله ؛ وهو **نشر الإنتاج العلمي** وإيصاله إلى المتلقي، **وإثراء الرصيد المعرفي** للبحث الجامعي بما يستجدّ من الدّراسات.

إنّ نزوع المجلة نحو الموضوعاتية من شأنه أن يضمن للقارئ تحصيلا نوعيا وكميا في الوقت ذاته؛ سواء كان ذلك على مستوى التخصّص بتلقيه أكبر قدر مما يرغب في تحصيله والتأسيس عليه . أو على مستوى الكمّ بتوسيع مجال النشر ليشمل أكبر قدر داخل الإطار المعرفي نفسه .

وعليه فقد حفل العدد التاسع من **حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والانسانية** بأضرب من الأبحاث التي لمسنا فيها تجاوبا كبيرا مع الواقع، لاتخاذها من الراهن مادة للدّرس، وتفاعلها مع الإنسان وما يتصل به ذاتيّا ومؤسّساتيّا باعتباره المقصود بالانتفاع في نهاية المطاف.

إنّ التزام البحث الجامعي بالإنسان تزكية صريحة لرسالة الجامعة القاضية بضرورة **تكريم الإنسان وتنويره**؛ باعتباره **قيمةً من وجهة نظر براغماتية**. وصورة حقيقية لنخبوية الباحث الذي يمثّل الإطار الافتراضي الأمثل لرسم المسار الطبيعي لحركة المجتمع؛ لذلك كان **العلماء ورثة الأنبياء**.

في هذا التوجّه الأكاديمي الصرف – الذي ينبغي تثمينه والإشادة به – طالعتنا **حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية** بجملة من الأبحاث المتنوعة لعلّ أهمها تصدير هذا العدد بمقال فلسفي يعكس **تجربة تاريخية تجتمع فيها الفلسفة والسياسة والدين**؛

باعتبارها حقبة هيّأت لتفاعل أركان ثلاثة في حياة الإنسان هي العقل وإدارة شؤون المجتمع والضوابط العقدية. **فدراسة في التنمية السياسية** أديرت حول المفهمة والتوظيف في الفكر الغربي والعربي.

وأعقب ذلك دراسة في **التفاعل الاجتماعي** من منظور تربوي نفسيّ الغاية منه تهيئة الفرد وظيفيّا ليسجّل حضورا إيجابيّا في مجتمعه. بالإضافة إلى الوقوف على أهمّ الأحوال النفسية التي تمثّل العائق الأكبر في الدينامية الاجتماعية. ومن ثمّ دراسة حالة اجتماعية في إطار **الخدمة الصّحّيّة** باعتبارها شكلا من أشكال احترام الإنسان بتوفير الظروف الملائمة للأداء. موصولة بما كان يتأدّى في مجال **الخدمة الاجتماعية في المجتمع العربي الإسلامي** في العصور الوسطى. وحيث إنّ التسيير العقلاني للمنظومات الاجتماعية في الوقت الراهن يسعى إلى تحقيق نوع من التوافق في الأداء بين الأطراف الفاعلة المهيكلة مؤسساتيًّا فقد كانت عَلْمَنَةُ **الحاكمية التفاعلية** ومنهجتها إقليميًّا حقّا واجبًا على الباحث الجامعي ، وإليها مساهمة المؤسّسات الخدماتية – **من نحو شركات التّأمين** CAAT – في إدارة شؤون المجتمع اقتصاديّا واجتماعيّا. ولم يفوّتْ هذا العدد فرصة البحث في **الشائعة** من حيث هي ضرب من الخطاب ينبغي تعيينه وتحييزه، ومن ثمّ تحديد أبعاده وأحكامه بما يضمن صيانة الخصوصيات الثقافية للمجتمع.

لئن حقّق هذا العدد – من الناحية المنهجية – هدفه، فإنّنا نزعم أنه حقّق وظيفته الأكاديمية/ العلمية؛ بما يقدّمه للمتلقي من أبحاث إجرائية يغلب عليها مواكبة حركية المجتمع في مختلف مجالات حياته.

الأستاذ الدكتور محمد نمامشة

رئيس جامعة 8 ماي 1945

الفهـــرس

افتتاحيـــة العدد

أثر الفلسفة الرواقية في الفكر السياسي المسيحي توما الأكويني " انموذجا "
الأستاذة: بلحنـــافي جوهـــر 1-22

التنمية السياسية: إشكالية المفهوم و التوظيف في الفكر الغربي و العربي
– دراسة مقارنة–
الدكتورة: وداد غزلاني 23-42

اضطـــراب القلق العـــام "الإشكاليـــة والمفهـــوم"
الأستاذة: بن عبد الله فوزيـــة 43-55

التفاعل الاجتماعي الصفي و انعكاسه على طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي من زاوية نفسية اجتماعية
الدكتور: أحمد يخلـــف 57-93

الفعل العنفي الموجه نحو الفاعلين الطبيين الإستشفائيين مقاربة ابيدميو– سوسيولوجية لوحدات الاستعجالات بالمؤسسات الإستشفائية العمومية الجزائرية
الأستاذ: الطيب بولنوار 95-112

نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية
من العهد النبوي إلى القرن7هـــ
الأستاذ: رابح أولاد ضياف 113-156

الحاكمية التفاعلية وتنامي دور الشباب في الإقليم

– دراسة استكشافية إمبريقية لمدينة عنابة –

الأستاذة: لبنى أحمان..... 179-157

أثر أداء شركات التأمين في الجزائر على الاقتصاد الوطني – CAAT نموذجا –

الدكتور صالحي عبد القادر والأستاذة: سالم راضية..... 207-181

مفهوم الشائعة بين التنظير الغربي والتأصيل الإسلامي

الدكتور: علي سلطاني..... 242-209

حوليات جامعة قالمة للعلوم الاجتماعية والإنسانية

مجلـــة علميـــة محكّمة، تصدر عن مديرية النشـــر بجامعـــة 8 مـــاي 1945 قالمـــة، و تعنى بنشـــر الأبحـــاث و الدراســـات الأصيلة في العلوم الاجتماعية والإنسانية.

مديـــر الحوليـــة:
أ.د/ محمـــد نمامشة (رئيـــس جامعة قالمة)

مديـــر النشـــر:
أ.د/ رشيد شعلال

رئيـــس التحريـــر:
أ.د/ كمال بن مارس

هيئة التحريـــر:
- د. لادي طولقي
- د. سهيلة بوخميس
- د. عبد العزيز جاهمي
- د. ناصر بوعزيز
- د. وسيلة حرقاس

المراجعة اللغوية :
- أ.د رشيد شعلال

الهيئـــة العلميـــة للعدد:

أ.د نوارة قايد تليلان	جامعة بجاية / الجزائر
أ.د إسماعيل سامعي	جامعة أ.ع.القادر/ الجزائر
أ.د يوسف عابد	جامعة أ.ع.القادر/ الجزائر
أ.د فضيل دليو	جامعة قسنطينة / الجزائر
أ.د صالح فركوس	جامعة قالمة / الجزائر
أ.د الشايب قدادرة	جامعة قالمة / الجزائر
أ.د محمد شرقي	جامعة قالمة / الجزائر
أ.د خير الدين معطى الله	جامعة قالمة / الجزائر
أ.دسليمان رحال	جامعة عنابة/ الجزائر
أ.د حسين زاوي	جامعة عنابة/ الجزائر
أ.د ابراهيم بلعادي	جامعة قالمة/ الجزائر
أ.د مصطفى حداد	جامعة باتنة/ الجزائر
أ.د بوبكر بوخريسة	جامعة عنابة/ الجزائر
أ.د عبد النور ناجي	جامعة عنابة/ الجزائر
أ.د مربوحة نوار	جامعة عنابة / الجزائر
أ.د عبد الرحمان بوقاف	جامعة الجزائر/الجزائر
أ.د عبد الحليم بوزيد	جامعة باتنة/ الجزائر
أ.د عبد الناصر جندلي	جامعة باتنة/ الجزائر
أ.د نصر الدين جابر	جامعة بسكرة/الجزائر
أ.د عبد الناصر موسي	جامعة بسكرة/الجزائر
أ.د خير الدين تشوار	جامعة تلمسان/الجزائر
أ.د علي مشربط	جامعة تلمسان/الجزائر
أ.د هواري معراج	م. ج غرداية / الجزائر
أ.د إبراهيم توهامي	جامعة سكيكدة/الجزائر
أ.د مي العبد الله	الجامعة اللبنانية / لبنان
أ.د محمد قيراط	جامعة قطر / قطر
أ.د محمد شتاح	جامعة الشارقة / الإمارات
أ.د أحمد عبد الحليم عطية	جامعة القاهرة / مصر
أ.د عبد الستار رجب	جامعة قرطاج / تونس
أ.د أحمد أويصال	جامعة مرمرة / تركيا
د. الطيب نوار	خبير في علم الإجرام/الإمارات
د. رابح مراجي	جامعة قسنطينة / الجزائر
د. مصطفى كيحل	جامعة عنابة / الجزائر
د. محمد خلاصي	جامعة عنابة / الجزائر
د. وسيلة حمداوي	جامعة قالمة / الجزائر
د. لخضر غول	جامعة قالمة / الجزائر
د. وسيلة حرقاس	جامعة قالمة / الجزائر
د.أحسن طيار	جامعة سكيكدة/ الجزائر
د. منصف بن خديجة	جامعة سوق اهراس/الجزائر

المراســـلات:

ترسل جميع المراسلات إلى: مديرية النشر جامعة 8 ماي 1945 - قالمة
العنوان: ص.ب 401 قالمة 24000 الجزائر
الهاتف: 037.21.58.49 الفاكس: 037.26.05.01
Email: annalesguelmassh @ yahoo.fr
الموقع الإلكتروني: www.univ-guelma.dz

قواعـــد و شـــروط النشـــر في المجلة

1- أن يتميـــز الموضوع بالأصالة و الجدة.

2- أن يكون الموضوع موثقـــا علميا.

3- أن لا يكون البحث قد نشر أو أرسل للنشـــر في مجلة أخرى.

4- أن لا يزيـــد عدد الصفحات عن **20** ص إلا إذا قسم البحث إلى حلقات.

5- البحوث و المقـــالات التي تصل المجلة لا ترد لأصحابها نشرت أو لم تنشر.

6- تنشـــر المجلة الموضوعات باللغة العربيـــة و الفرنسية و الإنجليزيـــة مع ملخص باللغة العربية فـــي حدود **100** كلمة.

7- تخضع الأعمـــال المرسلة للتحكيم قبل النشـــر.

8- جميـــع الآراء الواردة في المقالات المنشورة لا تعبـــر إلا عن وجهات نظر أصحابها.

9- ترسل جميـــع المراسلات إلى مديريـــة النشـــر

مجلة حوليات جامعة قالمة

– العنوان: ص.ب 401 جامعة 8 ماي 1945 قالمة 24000 الجزائر.

– البريـــد الإلكتروني: **Email: annalesguelmassh@yahoo.fr**

Tel : 037- 21- 58- 49 **Fax : 037-26-05- 01**

– ترسل المقـــالات مكتوبـــة بالخط **Simplified Arabic 14** بالنسبة للغـــة العربية و خـــط **12** **Times New Roman** بالنسبة للغـــات الأخـــرى.

- شكـــل الورقـــة: **24 x16**
- بالهوامش الآتيـــة:

أعلى: 2.5 أسفل: 2.5 يمين: 1.5 يسار: 1.5 التجليد: 1

- فـــي نسختين مرفقة بقرص مضغوط.

10- تذكـــر الهوامش فـــي آخر المقـــال.

11- على صاحب المقـــال أن يبيـــن بوضوح: الاسم و اللقب و المؤسسة التي ينتمي إليها والعنوان الكامل و الهاتف و البريد الإلكتروني.

مديرية النشـــر لجامعة **8** ماي **1945** قالمة، ص.ب **401** قالمة الجزائر

الهاتف: **037.21.58.49** الفاكس: **037.26.05.01**

أثر الفلسفة الرواقية في الفكر السياسي المسيحي توما الأكويني " انموذجـــا "

الأستـــاذة: بلحنافي جوهر
قسم الفلسفة
جامعـــة مصطفى استنبولي – معسكر

ملخَص:

لقد كان لفكرة القانون الطبيعي، والعالمية الرواقية تأثير قوي على الفكر السياسي المسيحي، بحيث يعتبر الرواقيون هم من وضع الأسس الفكرية للعالمية على المستوى الفلسفي، واستمرت في شكل ديني في ظل الفكر السياسي المسيحي، فقد مهدت لها الطريق لاستنباط مبادئ في تنظيم الحياة الاجتماعية التي تتضمن في بعض خصائصها شيئا من المبادئ الرواقية، كالإيمان بقانون الطبيعة الذي يحكم الكون فبحكم اللوغوس يشارك الأفراد في الإنسانية وفي احترام الذات والاعتراف بالحقوق الطبيعية، ومنحوه حق المواطنة العالمية، فالإنسان ينتمي إلى مجتمع أكبر في نظرهم. وأطلقوا عليه مدينة العالم، والقانون الطبيعي هو أساس الحياة في المدينة الإلهية. وقد حل القانون الإلهي محل القانون الطبيعي عند توما الإكويني لتأثره بفكر شيشرون، إذ وظف القانون الطبيعي واعتبره منبعا لجميع القوانين والحقوق.

الكلمات المفتاحية: المواطنة العالمية، المدينة الالهية، القانون الطبيعي، العالمية، المساواة، اللوغوس، العقل الكوني.

الرواقية من الفلسفات التي شاعت في الفترة الهلنستية إذ نشأت حوالي (300 ق,م). وكانت لفكرة الدولة العالمية أو وحدة الجنس البشري التي دعت إليها آثار هامة في الفكر الروماني والمسيحي وخاصة في فلسفة السياسة، وتشريع القوانين، فالقول بأخوة المواطنة العالمية يعني بأن النواميس العامة للعقل الإلهي واحدة بالنسبة لجميع البشر على خلاف القوانين الوضعية، فقانون مدينة الكون هو واحد في كل مكان وسامٍ عن كل عرف محلي، وعلى هذا فهم يميزون بين الحق الوضعي والحق الطبيعي المستمد من القانون الطبيعي الذي يتضمن الثبات والدوام لأنه قانون الله (اللوغوس) وهو مطلق العدالة.

لقد أخذت المسيحية من الرواقية العديد من هذه الأفكار بحيث إنها صبغت فلسفتها بألوان مبادئ رواقية حتى تكون ملائمة للحياة الاجتماعية وطبيعة هذه العقيدة، وخاصة أنها الفلسفة التي كانت سائدة في روما آنذاك، فالأخلاق الرواقية كانت أساس تربية النفوس وهذا بدعوتها للترفع عن أحداث الزمن، وهذا بالاعتصام بالإرادة الصالحة والتسليم بأحداث القدر (القانون الكلي الشامل)، لأن الفضيلة، والخير والسعادة تكمن في أن يحيا الفرد وفقا للطبيعة، والإنسان حينما يحيا وفقا للعقل إنما هو يحيا وفقا للقانون الكلي الذي يحكم العالم، وأي شيء ضد الطبيعة يكون شرا أو رذيلة، ولكن إن كان الفكر المسحي قد استمد منها بعض الأفكار أين يتجلى صداها؟

أثـــر الرواقيـــة على المسيحية:

تميز القرن الثالث الميلادي بالتحام المبادئ الأخلاقية الرواقية بالمبادئ الأخلاقية المسحية، فقد اعتبر الرواقيون أنْ على الإنسان أن يعرف كيف يحيا الحياة الفاضلة، والحكمة هي التي تكفل تلك المعرفة ذلك" أن حياة

الفضيلة هي حياة التأمل والتأني والانسجام مع النفس، وتجنب اللذة في طريق كبح جماح الرغبات غير الطبيعية وغير الضرورية وفي هذه المفاهيم تتقارب في الجوهر والمنهج في الأخلاق الرواقية والأخلاق المسيحية "[1]، فالمسيحية تدعو كذلك إلى ضرورة التجرد من الغرائز وكبح جماح اللذة والرغبات، حتى تبلغ السعادة أو الفضيلة "كما تتطابق الرواقية والمسيحية من زاوية اجتماعية، ذلك أن تعاليم الرواقية تؤكد على ضرورة التعايش مع الآخر وأن الواجب الاجتماعي يعد أشرف وأهم الواجبات أو الوظائف الفردية، لأن الإنسان لا يحيا مستقلا عن الآخرين أو بمعزل عنهم فالأخلاق الفردية في الرواقية هي بطبيعة الحال اجتماعية. فبما أن الإنسان مخلوقا قد أعدته الطبيعة للاجتماع والعمران فقد وجب على الناس أن يكونوا أخونا وأن يؤلفوا فيما بينهم " مملكة العقل " ووفقا لقانون الطبيعة فينبغي أن يتحابوا وأن يتواصلوا، ويتعاونوا في سبيل العمل الشامل والخير المطلق.

لذا اعتبر القديس بولس الرسول نفسه مثل ابكتيتوس (فيلسوف رواقي لفترة المتأخرة 55–135م) رسول الأمم وجنديا من جند المسيح فكلاهما يعلم أنه يستطيع على كل شيء يعول الله الذي يمنحه قوته، فكلاهما يعلم أنه إنما هو رسول ومبعوث من الله إلى الأرض ليهدي إلى خير ويرشد إلى فضيلة، فكلاهما ينظر لنفسه إنما وجد من أجل تأدية واجب أخلاقي والمتمثل في هداية الناس إلى طريق الخير والسعادة مهما كانت طبقتهم الاجتماعية، كما أنهما يتشابه في محاولة إقرار السعادة للعبيد والضعفاء والفقراء وكل الفئات الاجتماعية المقهورة، تلك التي "رأى أفلاطون وأرسطو أنها غير قادرة على بلوغ السعادة على خلاف الرواقية والمسيحية، إذ يكتفيان لبلوغ السعادة بالعيش وفقا للطبيعة "[2] أو العقل" والعيش وفقا للطبيعة يعني العيش في صداقة مع الإله أو وفقا لإرادة الإله عند المسيحية[3]. لقد جعلت الرواقية

والمسحية بلوغ السعادة الفردية لأية طبقة كانت مشروطا بخضوع السلوك للعقل أو الطبيعة أي القانون الكلي (الإلهي) فقط. كان للنزعة الإنسانية التي تميزت بها الفلسفة الرواقية وخاصة المتأخرة تواجد قوي في الفكر المسيحي وخاصة في دعوتها للسموّ الأخلاقي للأفراد فضرورة التعاون تقتضي من الجميع حسن المعاملة والوئام والاتحاد.

لقد استحوذت على المسيحية فكرة تأصيل الإثم في الطبيعة الإنسانية؛ فالخطيئة هي نتاج للوجود الجسماني وأن ألم الإنسان هو العقاب المستحق إما عن خطايا فعلية مرتكبة أو حتى على مجرد ميل نحو الخطيئة الذي ينجم عن النوازع الجسدية، فان كل من يحيا في تناغم مع قانون الطبيعة سيبقى متحررا من نوازع الجسدية وسيكون في حالة خلاص فتحقيق الخلاص لا يكون إلا بالفضيلة.

اعتبر سنيكا (فيلسوف رواقي في لعصر الروماني عمل مربيا ثم وزيرا لنيرون (**3**ق.م– **65**م) أن الجسد ليس إلا قيدا للروح فيتعين على الروح أن تكافح عبء الجسد وقد ركز سنيكا في أفكاره السياسية على أن الطهر البدائي قد فقده الإنسان نتيجة فساد الطبيعة البشرية فكانت الحكومة وليدة الشر الإنساني ووسيلة لعلاجه لذا فهو يميز بين نوعين من المدينة مدينة سماوية وأخرى أرضية، فان كانت الرواقية قد أنقصت من قيمة الفوارق الاجتماعية فقد سعت إلى زيادة الارتباط وانسجام بين الدول بما انه يوجد قانونان قانون مدينته وقانون المدينة العالمية والتي تتطلب تقدير القيمة المعنوية لصفتي " الرقة والعطف وهما من الفضائل التي تتسم بها الفلسفة الرواقية كما اتخذت أبوة الله والأخوة الناس ومن معاني المحبة التي تتحكم في الجنس البشري كله، وهده هي نفس المعاني التي تمثلت في تعاليم المسيحية كالرحمة، والترفق، الخير وحسن المعاملة، وسعة الصدر، وحب الناس، ارتفعت هذه

الفضائل إلى مكان الصدارة كما استنكرت الكراهية، الغضب والعنف في معاملة التابعين أو أقل منزلة[4]. فالمدينة العالمية عند الرواقين هي التي تصير مدينة الله في الفكر المسحي وفيها تذوب المشاحنات والاختلافات لأنها تقوم على مبدأ اتحاد القلوب.

لقد اقتبس الفلاسفة المسيحيون من الرواقية الكثير من القيم الروحية التي تنطوي على عقيدة دينية كالتي دعا إليها ماركوس أوليوس (الإمبراطور روماني وأخر فيلسوف رواقي (80-121م) بإطالة التأمل في الحياة الروحية ّفالجسد ليس إلا قيدا للروح وظلماتها لذا يتعين على الروح أن تكافح عبء الجسد وكان هذا المفهوم في الحق هو طابع المجتمع الوثني الذي نشأت المسيحية في ظله وترعرعت.

اللوغوس وامتـــداده في المسيحية

أظهرت إحدى الدراسات الأمريكية إلى قام بها كويلسون F.Capleston حول تاريخ الفلسفة، سنة **1965** بنويورك، أن فكرة اللوغوس، العقل أو الكلمة التي وردت في كتاب التأملات لماركوس أورليوس والتي يذهب فيها إلى أن العقل ذو طبيعة إلهية إنما هي فكرة مطابقة لمعنى الكلمة في المسيحية والتي يرمز بها إلى المسيح.[5]

لقد طابق الرواقيون الإله بالكلمة، وكانوا يقصدون بالكلمة قانونا ذاتيا للعالم، فهو المبدأ الذي تتحرك الأشياء طبقا له، وهو القدرة الخالقة لحركة سائر الأشياء فقد وصف الرواقيون الإله بالعناية، فهو النار الخلاقة واللوغوس (الكلمة) والمبدأ أو(الطبيعة) والقدر، كما هو القانون الأخلاقي الذي أطلق عليه كانط العقل العملي. [6]

أكدت هذه الدراسة أن العناية التي هي العلة الأولى للكون حسب الرواقيين هي ذات العناية التي يتحدث عنها المسيحيون وهي إحدى صفات الإله وتشمل الكون بأسره، غير أن الكلمة عند المسيحية تعني إلها عاقلا.

لقد طبق الرواقيون مفهوم اللوغوس على الجانب السياسي و باعتبار أن القانون الطبيعي عالمي فالفرد عند الرواقين هو مواطن عالمي له حق في الكرامة الإنسانية والاحترام، بحكم الأخوة الإنسانية، فعلى أساس القانون الطبيعي تم تجاوز مفهوم مواطن دولة المدينة، والتفاوت المصطنع الذي أقره فلاسفة اليونان إلى النظرة إلى جميع الأفراد متساوون في الحقوق السياسية.

فالفرد باعتباره كائنا مفكرا بالدرجة الأولى ينتمي إلى المعقولية والرشد ويمكن أن يدرك حقائق الأمور، كما توضحها الطبيعة، وأن الرشد والمعقولية يتميز بهما الأفراد جميعا أي لا تقتصر على عنصر أو فئة أو جنس معين"[7] على خلاف ما اعتقده فلاسفة اليونان كأرسطو إذ جعله مقتصرا على الاثنين من المواطنين وهو ما اعتبره أفلاطون مقتصرا على الفلاسفة الحكام فقد جعله الرواقيون صفة أساسية لكل فرد ككائن راشد وعاقل، فالعقل والحكمة خاصيتان إنسانيتان يمتز بهما كل إنسان.

ومن هذا المنطق نتجت المبادئ الأساسيـــة التاليـــة:

– يحكم الكون قانون طبيعي واحد لا يتبدل وأن هذا القانون الطبيعي يمكن أن يدركه العقل الإنساني وأن الخروج عليه هو الخروج على طبيعة الأشياء.

– وأن الأفراد متساوون بحكم تمتعهم بالرشد والعقل فالجميع ينتمون إلى مملكة العقل.

– لذا فجميع الأفراد ينتمون إلى أخوة عالمية، وبالتالي يتخطون على أساسها حدود الدولة، فالدولة في رأيهم ليست بالضرورة الوحدة الأساسية

التي يمكن أن تحقق للفرد ذاته وأن تحقق الفضيلة (كما هو الحال عند أفلاطون وأرسطو)؛ بل إن على الأفراد التطلع إلى خارج إطار الدولة أي إلى العالم ككل.

وعليه " فقد فصل الرواقيون بين الأخلاق والسياسة واعتبروا أن الأخلاق وحدها دون السياسة هي القوة المحركة للأفراد وأن حياة الفرد أسمى من الحدود التي تفرضها الدولة عليه وأن الدولة ليست الوسيلة الوحيدة التي يظهر فيها الرجل الفاضل "[8] فالنظرة لحقوق الإنسان منبثق من مبدأ عالمي قائم على العدل وهو جزء لا يتجزأ من الوعي الأخلاقي.

وبذلك فإن كل إنسان يشارك في العقل بموجب هذه الحقيقة التي مؤداها أنه موجود إنساني ومنه منح الرواقيون كل موجود إنساني حق المواطنة العالمية، ومنها اشتقوا بعض القوانين السامية.

***العالميـــة والمســـاواة**

ينتمي الإنسان لمجتمع أكبر هو الإنسانية ككل بصرف النظر عن النظام القائم في دولته، فهو مواطن عالمي فالجميع يتمتع بالعقل والحكمة فجميعهم ينتمون إلى جماعة عالمية طبيعية واحدة وعلى هذا دعا الرواقيون إلى جامعة إنسانية في العالم ككل والذي أطلقوا عليه **مدنية العالم Cosmo polis** « رمز الترابط والوحدة من كل أجزائه في كل واحد، حيث يعيش الأفراد جميعا في إطار هذه العائلة العالمية الكبيرة التي لا تحدها حدود سياسية أو انقسامات مفتعلة "[9].

وعلى هذا وإن كان الرواقيون قد وضعوا الأسس الفكرية للعالمية على المستوى الفلسفي، فإن العالمية من بعدهم قد استمرت في شكل قانون إداري

في ظل الإمبراطورية الرومانية ثم في شكل ديني وسياسي في ظل الفكر السياسي المسيحي.

وعليه فلقد مهدت الرواقية الطريق للمسيحية لاستنباط مبادئ لتنظيم الحياة الاجتماعية تتضمن بعض خصائصها في اتصالها بالنظام السياسي وخاصة في القول بالنزعة العالمية.

آمن المسيحيون – كما آمن الرواقيون من قبل – بقانون الطبيعة وبحكومة أرضية تحوطها العناية الإلهية وبمساواة جميع البشر أمام الله، إذ كتب بولس مستنكرا التفريق بين الناس على أساس الجنس أو المركز الاجتماعي حيث يقول" ليس هناك يهود وإغريق، ولا حر وعبد ولا ذكر وأنثى، فكلهم سواء في يسوع المسيح "[10] فالمسحية كالرواقية لا تعترف إلا بفضيلة تدعو جميع الموجودات العاقلة إلى محبة البشر جميعا، من غير النظر إلى ما يفرقهم من جنس أو لغة أو دين، فقد كان ابكتيوس يردد لا ينبغي لأحد منا أن يقول أنا أصيني أوانا روماني، بل يقول أنا مواطن ووطني الكون كله.

إن فكرة الوحي الإلهي لم تكن في واقع الأمر تتعارض مع فكرة القانون الطبيعي؛ فهو بدوره قانون إلهي في نظر الرواقين وقد كتب بولس خطاب موجه لقادة الرومان قائلا " أعطوا الجميع حقوقهم "[11] إن نظرة أباء الكنيسة للقانون الطبيعي باعتباره أساس المساواة الإنسانية، وضرورة لتوفر العدالة في الدولة لا تختلف عن نظرة شيشرون وسنيكا.

وعلى هذا فإن من أهم الأسس العامة التي تشترك فيها الرواقية والمسيحية، هو القول بسمو الحق الطبيعي في المدينة الأرضية والأولوية دائما للحقوق التي تمنحها الطبيعة للبشر في هذه الحياة؛ لأن القانون الطبيعي

هو أساس الحياة في المدينة الإلهية la cité du dieu التي استمدت من الفكر الرواقي رأيهم .

إن حقوق الطبيعية هي التي تسمو على كل ما عداها من حقوق، وتفوق كل ما يمكن أن يجيء به البشر من تنظيمات " فهذا الحق الطبيعي ما هو إلا انعكاس للقانون الإلهي الذي يعيش في قلوب البشر ويمتزج بأفئدتهم ولذلك فهو قانون عام يخضع لأوامره ونواهيه كل البشر"[12]، ففيها تأكيد لحق الكرامة الإنسانية، لقد اعتبرت المسيحية أن للفرد حقوق فطرية خالدة وهبها له خالقه، لذلك فقد ساهم الفكر المسيحي في تعزيز والتأكيد على حقوق الإنسان وجعلها تقوم على دعائم أخلاقية. لذلك نادت المسيحية بالمساواة التامة بين الأفراد، وترى " أن هذه المساواة وأن تعذر قيامها في العالم الزمني فهي حقيقية وهي أساس العلاقة بين الأفراد وبين الخالق "[13].

اعتبرت المسيحية المساواة الطبيعية والحرية الطبيعية أكبر دعامتين في هذه الدنيا؛ " فالإنسان مساو تماما للإنسان أينما كان وحيثما وجد إذ أن الإنسانية جمعاء على ذات الصلة بالله عز وجل وهذه الصلة المشتركة بين كل بني البشر تجعل الجميع متساوين في كل شيء "[14]. فبحكم العقل أو اللوغوس يتساو الإنسان مع أخيه إنسان في جميع الحقوق، ويصبح هذا الحق هبة طبيعية، وبفعلها تسمو بالذات الإنسانية وتجعل لكل فرد حق في الكرامة الإنسانية مهما كان جنسه أو طبقته حتى وان كان عبدا ذلك لأنه يحكمه قانون إلهي وهو القانون الطبيعي وهو لا ينتمي إلى المدينة الأرضية فحسب بل إلى مدينة أكبر تتجاوز حدود القانون الأرضي الزمني.

فكما جعل سنيكا الإنسان ينتمي إلى دولتين، فقد اعتقدت المسيحية بوجود مدينتين، وأن هذا العالم الأكبر الذي تكلم عنه سنيكا ليس مجرد أسرة إنسانية فحسب " وإنما صار يعني مملكة روحية، مملكة الله الحقة التي يرث فيها

الإنسان حياة خالدة ومصيرا يفوق سمو أية حياة تستطيع أية مملكة أرضية أن تمنحها له "[15].

أدت فكرة المدينة العالمية أو القانون الطبيعي الرواقية تحولا عميقا في فكرة القانون وماهية الدولة، إذ لم يكن للنظرية المسيحية في بدايتها أساسا قانونيا أو سياسيا ذلك أنها اقتصرت على المدلول الأخلاقي فالقول بمبدأ المحبة ساعد على ارتقاء بالضمير، كما أن القول بالحرية والمساواة بين الناس قد انسجم مع التعاليم الانجيلية، فمن خلال دراسة الوصايا العشر من الإنجيل ثم استنتاج المبادئ العليا للقانون الطبيعي بحث أضافوا إليها من نظريات فقهاء الرومان من الذين تأثروا بهم من فلاسفة الإغريق والرواقيين بحيث سلموا بالقانون الطبيعي.

لقد تقبّلت المسيحية المفهوم الروماني بوجود المستويات الثلاثة للقانون (القانون المدني، قانون الشعبي وقانون طبيعي). "فالقانون الطبيعي حل محله إيمان رجال الكنيسة بالقانون الإلهي المستمد من العهد الجديد (الإنجيل) واعتبر رجال الكنيسة أن الأفراد قد عاشوا أساسا حياة مثالية سعيدة تقترب مما وصفه الرواقيون بالطبيعة بما وصفه سنيكا بالعصر الذهبي، وأن هذا الوضع المثالي تحقق في معيشة الأفراد في جنة عدن وان تدهور الأفراد جاء نتيجة عدم طاعتهم للإله وبالتالي ارتكابهم للمعصية أو الخطيئة الأولى وأن الخلاص من الشرور الدنيوية والخطيئة يوجد في طاعتهم للقانون الإلهي"[16].
إن فكرة سنيكا عن الحالة الطبيعية قد وجدت لنفسها صدى عند رجال الديانة المسيحية، فيستدل على الإيمان في طهر الحياة البدائية من قصة الخطيئة الإنسانية وهبوط الإنسان الأول إلى الأرض، لذلك " أفاضت أحاديث المسيحيين عن الزهد وإقران الفقر بالعفة، وقد اعتبر الفقر أكثر مكانة من الثروة من الناحية المعنوية وأن حياة الرهبنة أفضل من الحياة الدنيوية "[17].

فالكمال حسب المسيحية وسنيكا إنما وجد فقط في ظل الطبيعة الإنسانية الفطرية الطاهرة. غير أن قول المسيحية بالنظام الطبيعي في تسير أمور الدنيا وحفظ الحق، لا يقابله دعوة المسيحية إلى ضرورة التخلي على النظم السائدة هي عبارة عن وسائل ضرورية لعلاج المجتمعات " إذن كل هذه النظم التي تقوم عليها المجتمعات المختلفة إنما هي من محض اصطناع اختلقه البشر من أجل حياة منظمة تخرج بهم من حالة الطبيعة الأولى "[18]

وهنا يأخذ الفكر المسيحي بفكر سنيكا السياسي الذي يرى أن في الطغيان أو النظم السائدة وسيلة لعلاج المجتمع من الفوضى والفساد الذي يعم الأفراد حيث يقول سنيكا" تعاقب هذه النتائج هو الذي أدى إلى ضرورة قيام القانون، واستنباط وسائل القسر والإكراه للحد من مساوئ الطبيعة البشرية ومفاسدها وبعبارة مختصرة فإن الحكومة هي الدواء الضروري لعلاج الشر المتأصل في الإنسان "[19].

فالمسيحية لم تعارض الأنظمة السياسية السائدة بحيث بقي نظام الرق معترفا به كنظام من أنظمة الدولة، رغم تأكيدها على الأخوة بين الناس، كشريعة إلهية وقد اعتبر بعض أباء الكنسية أن الرق هو التدرب على الصبر والطاعة اتجاه أسيادهم وعلى السعادة ضرورة التعامل معهم بالرفق أي لم يناد أحدهم بضرورة إلغاء الرق فورا بل اكتفوا بالنصح بتخفيف وطأته بمبدأ المحبة" أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله".

وعلى الرغم أن المسيحية أخذت من الرواقية مفهوم المساواة العالمية غير أنها لم تقصد بذلك المساواة العالمية بين البشر باعتبارهم بشر، فهي لا تؤكد على المساواة المطلقة كما هو الحال عند الرواقية، أي الوحدة الطبيعية البشرية فما جعله الرواقيون لجميع أفراد الجنس البشري، جعله المسيحيون خاص بهم فقط، في حين نجد بوليس الرسول قد ميز بين البشر من حيث

أبناء الحرة والجارية حيث يقول في الإصحاح الرابع **21–31** بالاستشهاد من التوراة، أو العهد القديم من الكتاب المقدس، رأت السارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم بمرح فقالت لإبراهيم أطرد هذه الجارية وابنها، لأن ابن الجارية لا يرث مع ابني إسحاق "[20].

ومع أنّ بولس الرسول قد سبق وأن أكد على المساواة من خلال قوله" لا عبد ولا حر ولا ذكر ولا أنثى لأنكم جميعا واحد على وحدة الطبيعة البشرية، وفي محاولة التوفيق بين المساواة وعدم المساواة يوجد الرق ،فقد أوضحوا ذلك أن قبل ارتكاب الخطيئة كانت المساواة المطلقة والحرية التامة، فعدم وجود المساواة على الأرض بالنسبة لبعض الأفراد (العبودية) فإن ذلك أمر عرض دنيوي فقط فعليه أن يتقبله كنوع من التكفير عن الذنب لأن المساواة والحرية موجودة في الحياة الأبدية ورق بمثل عبودية للجسد أم الروح فهي طليقة مع ذلك فقد كانت لفكرة المساواة باسم القانون الطبيعي بالغ الأثر بحيث انتقلت إلى فقهاء الكنيسة في القرون الوسطى وتطورت على يد الفلسفة المدرسية وعلى رأسها القديس توما الأكويني والقديس أوغسطين، وبالرغم من التغير الذي أحدثته المسيحية على مفهوم القانون الطبيعي إلا أنه لم يفقد عناصره الأساسية؛ بل اكتسب من التعاليم المسيحية حياة جديدة.

أحدثت النظرية المسيحية تخفيفا تدريجيا وإنسانيا لأنظمة القانونية متعددة بإعطاء أهمية كبرى بتحريم التعسف في استعمال حق الملكية، محاربة الطلاق والعلاقات غير المشروعة وتعريض الأولاد للخطر.

القانون الطبيعي والمساواة عند توما الاكويني d'Aquinas Tomas (1225–1274)

لقد كان للفكر الرواقي القائل بأن العالم كله يخضع لقانون واحد، ولا يخضع لحكومة واحدة أثر كبير على المسيحية التي نادت بدورها بخضوع

الناس للقانون الطبيعي، والقول بفكرة المساواة الرواقية أي مساواة جميع الأفراد أمام القانون. فلقد اصطبغت فكرة القانون الطبيعي بصبغة دينية في كنف الكنيسة، فالحاجة إلى فكرة القانون الطبيعي كانت من أجل الحد من سيادة الدولة وطغيان الملكية الفردية ولحماية الأفراد من طغيان الدولة على المستوى الداخلي، أي أن الفلسفة المسيحية حاولت تنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم، وهذا بتوجيه الحاكم إلى ضرورة حب رعاياه، حيث يستند في حكمه إلى نظام قانوني غايته تحقيق العدل والمساواة وإرساء الأمن والسلام والحق.

وقد تجلى تأثير الفكر الرواقي في فلسفة توما الأكويني واضحا، إذ اعتبر أن المسيحية جاءت لتبشر بدين يدعو إلى السلام، والمحبة، وكذا القول بالحقوق الطبيعية وأولويتها في حياة البشر، وهذا التمييز بين القانون الطبيعي والوضعي، فالحقوق الطبيعية هي التي تتميز على ما عداها من حقوق، وتفوق كل ما يمكن أن يجيء به البشر من تنظيمات، فالحق الطبيعي ما هو إلا انعكاس للقانون الإلهي الذي يستحوذ على قلوب البشر.

وقد اعتبر توما الاكويني " أن القانون الطبيعي هو المنظم الأساسي للأخلاقيات، لما تغرسه الطبيعة من خير وتجنب الشر، من سائر الكائنات الناطقة غير الناطقة فهو هبة من الله للبشر يحمل المساواة "[21].

هذا القانون هو هبة من الله للبشر، صادر من الواحد الأزلي ثابت يحمل المساواة والعدالة، لا يقترب من تعديله بشر ولا يلغيه حاكم، فتعاليمه ليست أحكام من إبداع البشر ولكن يمكن الوصول إليها بالعقل. " لقد تبنّى توما الأكويني مبدأ القانون الطبيعي الذي نادى به الرواقيون، إلا أن الاختلاف بينهما يكمن في أن القانون الطبيعي بالنسبة للرواقين يحل في الطبيعة بشكل مباشر، أي يتميز بالتسامي بينما يتميز بالتسامي ويحل في

الطبيعة بشكل غير مباشر.[22] عند توما الاكويني بما أن الكنيسة هي الوصية وتعمل على تحقيقه، لقد نظر توما الأكويني إلى القانون الطبيعي كونه "يتميز بشيء أوسع من مجرد وسيلة لتنظيم علاقة الناس بعضهم ببعض فإن القانون جزء لا يتجزأ من النظام الإلهي الذي يسيطر على كل شيء في السماء والأرض، بل كان يعتبره قبسا من حكمة الله ينظم العلاقات بين جميع المخلوقات "[23].

وفي هذا تتجلى رؤية الرواقيين القائلين كما سبق الذكر بوجود تنظيم منطقي للعالم تنعكس أثاره على المجتمع البشري، فالحاكم إذا استند على القانون الطبيعي الذي خص الله به الإنسان باعتباره جزء من العقل الإلهي فستنعكس أثاره على الحاكم والمحكوم بحيث سيعم الاستقرار و تسود المحبة بين المحكومين.

إنّ القانون هو أساس تحقيق العدل والمساواة وهو الضامن للفرد حياته وسلامته. وما دامت الإرادة تابعة للعقل فستميل إلى الخير، فإذا كان الفعل موافقا لحكم العقل كان خيرا، وان كان منافيا لحكم العقل كان شريرا، و هذا كله يقره القانون الطبيعي وما يلقيه في الإنسان بالنظر إلى ما يليق به أن يكون عليه، وفي الأشياء المحيطة به، أثرها فيه، والجماعات الإنسانية هي راجعة إلى العقل والإرادة وهي تقوم على ضرب من التعاقد، فكذلك أكد شيشرورن (مفكر سياسي روماني **42**ق.م- **106**) كتابه الجمهورية على أن القانون الطبيعي ينبثق من العناية الإلهية للعالم كله كما تنبثق من الطبيعة العقلية والاجتماعية للبشر التي تلزم جميع الناس والأمم بأحكامه.

كما اعتبر توما بأن السلطة السياسة تستمد قوتها بمقدار اقترابها وتمسكها من القانون الطبيعي، وعلى القانون الوضعي الواجب الأكثر من تفسير القانون الطبيعي، مثل تحديد العقوبات، الجرائم أي الجرائم التي

يحرمها القانون الطبيعي " وأن هذا المضمون مبنى على علاقة الإنسان بالله، فالإنسان مدفوع لأن يكون صورة الله في سلوكه "[24]

فالقانون الطبيعي هو القانون العقلي، وإن الله لا يأمر شيء إلا أنه حسن بحسب العقل، ولا ينه عن شيء إلا لأنه قبيح في نظر العقل "إن الأشياء في القانون الإلهي مأمور بها لأنها حسنة ومنهى عنها لأنها قبيحة ونظام العدل يأتي من عند الله وكذلك نظام الطبيعة "[25].

وهنا يظهر تأثره بالفكر الرواقي خاصة الروماني الذي يعتبر أن القانون الكوني ينبثق من واقع العناية الإلهية للعالم كله وهو الذي يجعل الجنس البشري أقرب ما يكون إلى الله، والدولة لابد أن تخضع للقانون الأعظم وهو قانون الإله الذي يمثل أعلى قواعد الحق والعدالة والخير وينه عن الشر. وبناء على ذلك فقد جعل توما الأكويني أساس نظريته السياسية والقانونية تقسيم القانون إلى أنواع (أبدي، طبيعي، بشري).

وكان جوهر فكره هو محاولة الإعطاء الأولوية للعقل بحيث يرى ضرورة اعتماد القانون الوضعي على القانون الطبيعي." لأن القانون الطبيعي هو الذي يجعل الأفراد يحافظون على بقائهم، وهو الذي يدفعنا لاستعمال العقل للبحث عن قواعد التي تمكن طبقات المجتمع من التعايش مع بعضها البعض في سعادة طبيعية. "[26] فالسلطة السياسية تستمد قوتها بمقدار تمسكها بالقانون الطبيعي، فالعدالة لا تتحقق في نظره إلى في ظل حكومة عادلة ومنصفة لرعاياها، حيث يحترم فيها القانون.

لذلك يجب أن يعتمد القانون الوضعي على الطبيعي وهذا حتى يمكنه من معالجة ظروف الاجتماعية حيث يتم تغليب صالح المجتمع على صالح الخاص، فنجاح السياسة يقوم على مبدأ العدالة الاجتماعية التي من شأنها توجيه جميع السلوك البشري إلى الصالح العام.

فإذا انحرف القانون المدني عن القانون الطبيعي لم يصبح قانونا بل هو انحراف للقانون، لأن عدالته في إلزام للضمير بالعمل الصالح ذلك أن القانون الطبيعي يجعل مسعى الإنسان يتجه نحو الأعمال الصالحة ويحرم كل الأفعال التي تنتهك العمل الصالح، وعلى هذا فإن كل عمل يتنافى مع الأخلاق الفاضلة يتنافى بالضرورة مع القانون الطبيعي.

فالقانون الطبيعي هو أساس استنتاج واستنباط ما ينظم العلاقة بين البشر في صورة قوانين وضعية، فهو بمثابة روح المجتمع يؤمن العدالة بين الأفراد ويسعى لتحقيق المصلحة المشتركة. لقد جعل توما القانون الطبيعي بمثابة عهد بين الله والبشر، فقوانينه ثابتة تسعى إلى الخير ونبذ الشر. فعلاقة القانون الطبيعي بالواقع تتحدد في علاقة الضمير الأخلاقي للقرد بوجوده الاجتماعي بحيث فبفعله الفضيلة وبدونه يأتي الرذيلة.

تأثر توما الاكويني بالفكر الرواقي وخاصة شيشيرون فباعتقاده بأن الكون له خالق أطلق عليه اسم الطبيعة، تأثر كذلك بأرسطو في قوله بأن عصيان القانون الطبيعي أمر يدل على الشر والبعد عن الخير، وأن الإنسان حيوان اجتماعي بطبعه وبناء عليه طالما يعش في مجتمع لابد له من قانون ينظم العلاقة بين الأفراد، و طاعته واجبة فهو صادر من الطبيعة.

وكذلك أخذ من الرواقين رأيهم في وجود تنظيم منطقي للعالم تنعكس أثاره على المجتمع البشري، أي إذا كان الحاكم متمسكا بنصوص القانون الطبيعي الذي خص الله به الإنسان لأن يهتم بشؤونه وشؤون غيره، لأنه جزء من العقل الإلهي، حيث تنعكس أثاره على الحاكم والمحكومين فتسود بينهم المحبة.

فرغم تأثر توما الأكويني بالفكر الرواقي وحضور هذا الفكر في فلسفته إلا أنه يوجد اختلاف في نظرتهما. ذلك إن الرواقية ترى أن القانون الطبيعي

ينظمه الله، وباسمه الناس جميعهم متساوون حتى ولو تفرقوا في المدن وشعوب كان لكل منهما قوانينه الخاصة أي أن الرواقية جمعت بين القانون الطبيعي والمدني، فالجميع يخضعون لنظام واحد، فهم متساوون، دلك أن الفلسفة الرواقية تقوم على إيمان بوحدة الطبيعة وكمالها لأن الطبيعة ذات سمات إلهية، بينما الفلسفة المسيحية ترى في القانون الطبيعي تفسير لطبيعة الإنسان وعلاقته بالله وبالطبيعة، والفكرة المركزية هنا هي العلاقة بين الطبيعة والوحي وقد أصر توما الإكويني على أن النعمة لا تنفي الطبيعة بل تكملها. ترى المسيحية في القانون الطبيعي تظهر قيمة الإنسان وتؤكد على تفاعله مع بيئته بضرورة انسجام مع غيره وأداء لواجباته. فالقانون عند توما الاكويني يحمل في طياته قوة جبرية في الفرد حيث يكون الإلزام فعل إرادي يجبر فيه الفرد نفسه إتباع وصايا الإله.

وعلى هذا فإحلال النظام يبدأ بالاعتراف بوجود الله والسعادة هي الهدف الأسمى يحصل عليها الفرد إذا اهتدى إلى الله وتعرف عليه بالفعل، وفي هذا يتفق مع الفكر الرواقي الروماني الذي يعتبر بأن معرفة بمنظم الكون اللوغوس وسير بمقتضى قوانينه هي التي تبعث في الروح الإنسانية الأمن والاستقرار كما أنه يتفق كذلك والفكر الرواقي في رفض الرق باعتبار أن الطبيعة الأخلاقية لا تخلق عبيدا وأحرار، ولكن تخلق بشر ترعاهم وتحافظ عليهم.

ولقد نادى بالحق بانتقاده للسلطة حيث يظهر تأثره بالفكر الروماني بأن لكل فرد حقوقاً وواجبات، وعليه يجب أن يلتزم بها كل من الحاكم والمحكوم لذلك نادى توما قائلا للحكام حدود في السلطة وعليه أن يمارس سلطته وفقا للقانون. حيث يرى توما الأكويني أن القانون إلزام واحترام وأمانة في التنفيذ، والقانون الوضعي هو إرادة الشعب وليس إرادة للهوى، ولابد من مطابقته مع

القانون الطبيعي، ويوكل للفرد أن يتولى أموره، هناك كذلك تجلى للفكر السياسي الروماني، أن هناك عقد حكومي بين الشعب والحاكم وليس للشعب أن يسحبها منه عكس الاجتماعي.

وهكذا فقد بدأ بإرساء المساواة حتى لا يعاق تنفيذ القانون وبث المحبة الإلهية التي تعانق القلوب الناس وتخلصهم من العصبية بالمجاهدة ويكون الأقرباء وجبران رفقاءهم يعمهم السلام والوحدة.

وعلى هدا فالقانون الطبيعي الذي نادى به توما الاكويني تميّز بما يلـــي:

أولا: القانون الطبيعي هو تعبير عن كرامة الإنسان وسلطته وحد ته فهو من بين جميع المخلوقات يشارك فكريا وفعليا في نظام الكون، وطبيعته العقلانية هي ما تخوله ذلك لأن العقل هو جوهر الإنسان ونور العقل الطبيعي هو الذي يجعلنا نميز بين الخير والشر "[27].

ثانيا: فهو أساس الأخلاقيات ونتيجة مباشرة للكرامة والسلطة التي تتمتع بهما الطبيعة الإنسانية.

– لقد وظّف توما الاكويني القانون الطبيعي الرواقي، " كما جعل قبول المفهوم أرسطو طالسي للأخلاق والسياسة أمر لا تكتنفه الشكوك "[28].

– أما النقطة الثالثة: "فقد جعله أساسا لجميع المؤسسات، فهو المقياس الذي تميز هذه المؤسسات إليه في إطار حضاري معين، إطار كانت فيه الرغبة الأعمق والأكثر ألفة لقلوب وهي رغبة الجمع بين الحكمة الإلهية والحكمة العالمية "[29] أي تكامل بين الدين والفلسفة لقد كانت للرواقية مبعثا لتطوير أفكار ومبادئ المسيحية وخاصة الإيمان بقانون الطبيعة، ذلك إذا كانت الطبيعة في قاموس الرواقين مرادفة للعقل والعقل مرادف لله، فإن المدينة الحقيقة للإنسانية ليست سوى مدينة الله.

إن قول الرواقيين بالمساواة المطلقة وفقا للقانون الطبيعي، لم يمنعهم من التسليم بوجود عدم المساواة (فوارق اجتماعية ومادية) وهي من إنتاج القانون الوضعي، وهذه لا تلغي إقرار بحقوق الفرد الطبيعية، والحق والقانون مصدرها ومشرعها هما العقل والطبيعة ولا تنفى أخوة الأفراد وضرورة تجانسهم لأنهم مواطنوا العالم، وبهذا فقد وضع الرواقيون الأسس الفكرية للعالمية على المستوى الفلسفي بحيث فسرت المثل العليا للسياسة التي تناسب الدولة العالمية ورسمت الخطوط العريضة لفكرة أخوة إنسانية عالمية، وقد استمرت من بعدهم في شكل قانوني في ظل الإمبراطورية الرومانية ثم في شكل ديني وسياسي في ظل الفكر السياسي المسحي والإسلامي.

وبهذا فلقد كان لمفهوم الحق الطبيعي أثر واضح في الفكر السياسي وتشريع القوانين، وذلك باستحداث رؤية جديدة لدراسة دور الإنسان الأساسي ومكانته، بتأسيس لتصور جديد للإنسان كذات فاعلة في المجتمع، بحيث استخدمت فكرة القانون الطبيعي في نقد العادات المحلية وتهذيبها (القوانين الوضعية)، وعملت على ضرورة إقرار بمساواة الجميع أمام القانون ،حيث أصبح القانون الطبيعي المحرك للفلسفات عصر الأنوار المطالبة بالحرية والمساواة، ومع القرن السادس والسابع عشر نادت بمحاربة الاستبداد بناءا على الحق الطبيعي والمساواة الطبيعية.

هـــوامش:

[1]– محمد السيد أحمد الكيلاني، المدارس الفلسفية في العصر الهيللسنتي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط، 2009، ص321.

[2]– مجدي السيد أحمد الكيلاني، نفسه، ص327.

[3]– جورج سباسن، تطور الفكر السياسي، ج1، تر: حسن جلال العروسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د.ط، 2001، ص73.

[4]– المرجع نفسه، ص72.

[5]– مجدي السيد أحمد الكيلاني، المرجع السابق، ص324.

[6]– بول تلتس، تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهيلنستية واليهودية حتى الوجودية، تر: وهبة طلعت أبو العلاء دار الهدى للنشر والتوزيع المنيا، مصر د ط، ص18.

[7]– حورية توفيق مجاهد، الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده، مكتبة انجلو المصرية، القاهرة، ط2، (د.س،) ص109.

[8]– حورية توفيق مجاهد، المرجع نفسه، ص109.

[9]– حورية مجاهد، المرجع السابق، ص110.

[10]– جورج سباسن، تطور الفكر السياسي، ج1، ص11.

[11]– جان توشار، تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، II، تر: ناجي الدراوشة، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق ط1،2010، ص149.

[12]– فضل الله محمد إسماعيل، حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي، مكتبة بستان المعرفة، القاهرة، دط، 2006، ص95.

[13]– عبد الرحمن خليفة، منال أبو زيد، الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، دط، 2003، ص87.

[14]– فضل الله محمد إسماعيل، حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي، ص96.

[15]– جورج سباسن، تطور الفكر السياسي، ج1، ص81.

[16]– حورية مجاهد، فلسفة السياسة من أفلاطون إلى محمد عبده، ص125.

[17]– جورج سباسن، تطور الفكر السياسي، ج1، ص75.

[18]– فضل الله محمد إسماعيل، حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي، ص95.

[19]– جورج سباسن، المرجع السابق، ص74.

[20]– حورية مجاهد، فلسفة السياسة من أفلاطون إلى محمد عبده، ص127.

[21]– فضل الله محمد إسماعيل، سعيد محمد عثمان – نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي – مكتبة بستان المعرفة – مصر 2006، دط، ص26.

[22]– مجد أحمد كيلاني – المدارس الفلسفية في العصر الهيللنستي المكتب، الجامعي الحديث، الإسكندرية، دط 2009، ص343.

[23]– جورج سباسن، تطور الفكر السياسي، ج1، ص163.

[24]– فضل الله محمد إسماعيل، سعيد محمد عثمان، نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي، ص27.

[25]– فاضلي إدريس، تطور الوجيز في فلسفة القانون، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر، دط س، ص133.

[26]– عمار بوحوش، تطور النظريات والأنظمة السياسية – الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1972، ص34.

[27]– ملحم قربان، من قضايا الفكر السياسي القانون الطبيعي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1982، ص72.

[28]– ملحم قربان، المرجع نفسه، ص72.

[29]– المرجع نفسه، ص73.

مراجـــع:

1- بول تلتيس، **تاريخ الفكر المسيحي من جذوره الهلنستية واليهودية حتى الوجودية** تر: وهبة طلعت أبو العلا، دار الهدى للنشر والتوزيع، المينا مصر د(ط، س).

2- جورج سباسن، **تطور الفكر السياسي** ج1 ترجمة حسن جلال العروسي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، دط 2001.

3- جان توشار، **تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط** ترجمة، ناجي درواشة دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر دمشق ط 1، 2010.

4- حورية توفيق مجاهد، **الفكر السياسي من أفلاطون إلى محمد عبده**، مكتبة أنجلو المصرية القاهرة، ط2 (د س)

5- عبد الرحمن خليفة، منال أبو زيد، **الفكر السياسي الغربي**، دار المعرفة الجامعية القاهرة، دط،2003.

6- عمار بوحوش، **تطور النظريات والأنظمة السياسية**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، دط 1972.

7- فاضلي إدريس، **الوجيز في فلسفة القانون**، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون الجزائر د(ط س).

8- فضل الله محمد إسماعيل، **حقوق الإنسان بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي**، مكتبة بستان المعرفة، مصر دط ، 2003.

9- فضل الله محمد إسماعيل، سعيد محمد عثمان، **نظرية القانون الطبيعي في الفكر السياسي الغربي**، مكتبة بستان المعرفة، مصر دط، 2006.

10- مجدي السيد أحمد الكيلاني، **المدارس الفلسفية في العصر الهيلنستي**، المكتب الجامعي الحديث الاسكندرية، دط، 2009.

11- ملحم قربان، **من قضايا الفكر السياسي القانون الطبيعي**، المؤسسة الجامعية للدراسات للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 1982.

التنمية السياسية: إشكالية المفهوم و التوظيف في الفكر الغربي و العربي – دراسة مقارنة –

الدكتورة: وداد غزلاني
قسم العلوم السياسية
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

ملخَص:

يطرح اصطلاح التنمية السياسية العديد من الإشكاليات المفاهيمية والتوظيفية بين مدارس التنظير الغربية و العربية، و تحاجج كل طرف في صياغة تعاريف ومؤشرات تعد في الواقع ضوابط تستخدم في قياس مدى تحقق التنمية السياسية في هذا المجتمع أو انتفاءه، وعلاقتها بتحقيق التنمية المستدامة التي أضحت اليوم مبتغى أي منظومة مجتمعية، و سأحاول من خلال هذه الورقة البحثية التطرق إلى البناء النظري لهذا المفهوم وإشكالية توظيفه في الفكر الغربي و العربي.

الكلمات المفتاحية: التنمية السياسية، التنمية المستدامة، المجتمع السياسي، التقدم المادي، التقدم الاقتصادي.

مقدمـــة:

يتلازم مفهوم التنمية مع ضرورة حدوث تغيرات اقتصادية واجتماعية و بيئية، و حيث إن التنمية تهدف إلى إحداث تغيرات إيجابية، فان الحاجة إلى تجنب الآثار غير المرغوب فيها و تأكيد تحقيق المنافع على المدى الطويل، قد أدى إلى ظهور مفهوم التواصلية والشمولية، التي يستوجب تحقيق التنمية في أبعادها المختلفة سياسية، اقتصادية، اجتماعية.... وسأحاول من خلال هذه الورقة التطرق إلى موضوع التنمية السياسية عبر الإجابة على الإشكالية الرئيسية التالية: هل يوجد توافق في تعريف وتوظيف مفهوم التنمية السياسية في الفكرين الغربي و العربي؟ و يرتبط بهذا السؤال المركزي أسئلة فرعية تتمثل في: ما مفهوم التنمية و ما هي أبعادها؟ هل يتفق المنظرون في علم السياسة على تعريف محدد للتنمية السياسية؟ هل أن التباين المطروح في التعريف قد نجم عنه تباينا في التوظيف بين المفكرين الغربيين و العرب؟

إن الإجابة على الأسئلة السابقة يكون باختبار الفرضيات التالية:

إن تعددية مضامين التنمية تعيق إمكانية الوصول إلى تعريف جامع لها.

إن التباين بين الأطروحات الغربية و العربية حول مفهوم التنمية السياسية يعود في الأساس إلى تباين المداخل المعتمدة في التحليل.

1- تعريف التنميـــة وأبعادهـــا: لقد برز مفهوم التنمية بصورة أساسية منذ الحرب العالمية الثانية، حيث لم يستعمل هذا المفهوم منذ ظهوره في عصر الاقتصادي البريطاني البارز "آدم سميث "، في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وحتى الحرب العالمية الثانية إلا على سبيل الاستثناء، فالمصطلحان اللذان استُخدما للدلالة على حدوث التطور المشار إليه في المجتمع كانا **التقدم المادي Material progress** ، أو **التقدم الاقتصادي Economic**

Progress، وحتى عندما أثيرت مسألة تطوير بعض اقتصاديات أوروبا الشرقية في القرن التاسع عشر كانت الاصطلاحات المستخدمة هي التحديث **Modernization** أو التصنيع **Industrialization**. وقد برز مفهوم التنمية **Development** بداية في علم الاقتصاد حيث استُخدم للدلالة على **عملية إحداث مجموعة من التغيرات الجذرية في مجتمع معين**، بهدف إكساب ذلك المجتمع القدرة على التطور الذاتي المستمر بمعدل يضمن التحسن المتزايد في نوعية الحياة لكل أفراده، بمعنى زيادة قدرة المجتمع على الاستجابة للحاجات الأساسية والحاجات المتزايدة لأعضائه، بالصورة التي تكفل زيادة درجات إشباع تلك الحاجات، عن طريق الترشيد المستمر لاستغلال الموارد الاقتصادية المتاحة، وحسن توزيع عائد ذلك الاستغلال. ثم انتقل مفهوم التنمية إلى حقل السياسة منذ ستينيات القرن العشرين، حيث ظهر كحقل منفرد يهتم بتطوير البلدان غير الأوربية تجاه الديمقراطية، ليتطور لاحقا ويرتبط بالعديد من الحقول المعرفية، فأصبح هناك مفهوم التنمية الثقافية التي تسعى لرفع مستوى الثقافة في المجتمع وترقية الإنسان، وكذلك التنمية الاجتماعية التي تهدف إلى تطوير التفاعلات المجتمعية بين أطراف المجتمع كالفرد، الجماعة، المؤسسات الاجتماعية المختلفة والمنظمات الأهلية. بالإضافة لذلك استحدث مفهوم التنمية البشرية الذي يهتم بدعم قدرات الفرد وقياس مستوى معيشته وتحسين أوضاعه في المجتمع. وتبرز أهمية مفهوم التنمية في تعدد أبعاده ومستوياته، وتشابكه مع العديد من المفاهيم الأخرى مثل التخطيط والإنتاج والتقدم. لكن ورغم حقيقة ما تقدم، إلا أن تطبيقات التنمية ونتائجها، كفعل إرادي لمواجهة التخلف ومعالجة مشكلاته، يجب أن تمتد أفقيا وعموديا لتشمل كل أنظمة المجتمع ومؤسساته، فالتنمية " ليست مجرد رفع مستوى الدخل، وليست مجرد تحقيق أهداف اقتصادية، بل إن النجاح في رفع مستوى الدخل لا يتوقف على

ظروف اقتصادية وحسب، بقدر ارتباطه بظروف اجتماعية عامة، تتعلق بالقيم والتعليم والأخلاق، والنظام السياسي والاجتماعي والسياسة الخارجية، إلى غير ذلك من الاعتبارات "[1]. وتفرض شمولية التحدي (التخلف) شمولية الاستجابة (التنمية) مما يوجب أن تكون هذه التنمية "أشمل من مجرد التنمية الاقتصادية التي تعتبر جزء لا يمكن عزله عن الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية في المجتمع. وأن تنمية البنى التحتية، لا يمكن أن تتم بمعزل عن تنمية البنى الفوقية، بل انه إذا لم تكن الثانية شرطا لتنمية الأولى، فلا أقل من أن تتزامن وتتوازى معها في الكم والكيف "[2]. ونستنتج من ذلك، أن التنمية هي كل نشاط يستهدف تحديث وتطوير وتفعيل أفكار المجتمع وقيمه، ومؤسساته وأنشطته الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وأن التنمية الكلية الشاملة هي المحصلة الكلية للمنجزات المتكاملة والمتفاعلة، وللأنشطة التنموية الفرعية التي تمس كل جوانب الحياة الاجتماعية، وتعيد تشكيلها وفقا للنموذج التنموي المعتمد. وإذ يؤكد غابريال الموند أن قناعة مبكرة سادت الأوساط الأكاديمية، تفيد بأن التنمية في بلدان العالم الثالث المتخلفة، لا تتطلب سياسات اقتصادية فقط، بل تتطلب أيضا وجود مؤسسات سياسية، قادرة على تعبئة وتنمية الموارد البشرية والمالية، حيث تتمتع المتغيرات السياسية في هذه البلدان بنفس أهمية المتغيرات الاقتصادية. فإن ذلك يعني أن تحقيق التنمية الاقتصادية أمر متعذر في غياب التنمية السياسية[3]. وفي ضوء ما تقدم يمكن تحديد مفهوم التنمية السياسية، بأنها النشاط التنموي الفرعي المختص،الذي يستهدف تحديث وتطوير وتفعيل أفكار المجتمع، وقيمه ومؤسساته وعملياته السياسية.وتتأكد أهمية التنمية السياسية وضرورتها وأولويتها لتحقيق التنمية، بوجود عاملين آخرين همـــا:

1- أن غالبية المجتمعات المتخلفة تواجه لأول مرة تجربة بناء الدولة العصرية وفقا للنموذج الغربي، مما يقتضي شروع هذه المجتمعات ببناء الأفكار، والقيم والمؤسسات الجديدة اللازمة لذلك من جهة، ومن جهة ثانية إعادة بناء الأفكار والقيم والمؤسسات التقليدية فيها، بما يناسب متطلبات إقامة هذه الدولة.

2- أن خيار قرار التنمية، هو ابتداء وبالأصل خيار قرار سياسي، فالتنمية في جوهرها وفي النهاية "تخطيط والتخطيط بدوره هو إرادة سياسية تنبع من مفهوم الاختيار من جهة والفاعلية النظامية من جهة أخرى " [4]. ومن ثم فإن مشكلة التنمية أولا وقبل كل شيء "مشكلة سياسية"[5]. وبذلك تكون الإرادة السياسية ومؤسساتها، هي المسئولة نظريا وعمليا عن اتخاذ قرار التنمية وتعيين نموذجها التطبيقي، وتوفير متطلباتها المادية والمعنوية، وتنفيذها وتحقيق أهدافها. ولأن قرار التنمية قرار سياسي أساسا، فسيكون تحقيق التنمية الشاملة، مشروطا "بقيام مؤسسات سياسية تؤمن بفلسفة التغيير الدائم، والتطور المستمر والتقدم المتواصل، وتضع المخططات العملية لتطبيق هذه الفلسفة "[6]، لتستطيع هذه المؤسسات اتخاذ قرار التنمية، وتنفيذه وتوفير متطلبات نجاحه ماديا ومعنويا. لذلك لا يمكن للسياسة أن تحقق التنمية، ما لم تتحقق التنمية في السياسة أولا وابتداء، مما يعطي للتنمية السياسية كنشاط تنموي فرعي متخصص، موقع الصدارة بين مجموعة الأنشطة التنموية الفرعية، ويمنحها الأولوية عليها. ولفهم أوضح للتنمية السياسية، وعلاقاتها بالتنمية الشاملة وضرورتها لتحقيقها واشتراطها لإنجازها، لابد من تحديد النطاق التخصصي للتنمية السياسية وتعيين شروطها ومستلزماتها والمشكلات التي تسعى لحلها ومعالجتها.

2- **مفهوم التنميـــة السياسيـــة:** يُعدّ مفهوم التنمية السياسية من المواضيع الحديثة نسبياً بحسب ما أوضحنا سابقا، ولقد ظهر موضوع التنمية السياسية، كفرع حديث في علم السياسة، يهتم بدراسة العلاقة بين المجتمع والنظام السياسي، ورافق تطور هذا المفهوم، العديد من المصطلحات السياسية في العالم، والتي تلتقي في الكثير من جوانبها بالتنمية السياسية، مثل الإصلاح والتحديث السياسي، والتحول الديمقراطي، والتعددية، وغير ذلك من المصطلحات المتداخلة في معانيها، بالنسبة للباحث غير المتخصص. وإذا كانت التنمية السياسية مفهوما تطبيقيا فرعيا، مشتقا من مفهوم التنمية ومرتبطا به، فمن الطبيعي أن تأتي نشأة المفهوم الفرعي، لاحقة لنشأة المفهوم الأساسي الذي يحتويه و ويؤطره، وحدث ذلك فعليا بعد أن اتضحت الأبعاد السياسية لعملية التنمية الشاملة على مستوى المقدمات والنتائج، وتأكد ارتهان إنجاز هذه العملية بتنمية الأفكار والقيم والمؤسسات، والأنشطة السياسية في المجتمعات المتخلفة (النامية). ولأن التنمية – وهي الأصل- معالجة لمشكلات التخلف العامة، فستكون التنمية السياسية – وهي الفرع – معالجة للمشكلات السياسية الخاصة، التي لاحظ العديد من الباحثين معاناة المجتمعات المتخلفة، من اتساع نطاقها، وتنوع مظاهرها وأبعادها، وتعدد آثارها السلبية وأضرارها، حيث تشمل هذه المشكلات قائمة طويلة، تبدأ بفقدان النظم السياسية لشرعيتها، ومعاناتها من مشكلات عدم الاستقرار، ومحدودية التخصص الوظيفي أو اتساعه المفرط، مرورا بضعفها وقلة فاعليتها، وافتقارها إلى الإجراءات المؤسسية السلمية والمستقرة لتداول السلطة، وحظرها أو تعطيلها لصيغ المشاركة السياسية الشعبية وآلياتها، وعجزها عن تجسيد المصالح العامة لمواطنيها، وافتقارها للقواعد العادلة لتوزيع الأدوار والموارد، وتنظيم الحقوق والواجبات، وتدخلها المفرط في حركة المجتمع

ونشاطاته، وصولا إلى تبعيتها للإرادات والمصالح الخارجية، وعدم قدرتها على صنع سياسات مستقلة عنها، وفشلها في خلق الهوية الوطنية الموحدة[7].

و يحفل تراث التنمية السياسية بالعديد من التصورات والاجتهادات، التي طرحها الباحثون من أجل إيجاد تعريف للتنمية السياسية، أو الاقتراب من معناها الحقيقي ودلالتها الموضوعية. و من المفيد القول أن التنمية السياسية مرت بمراحل عدة، ففي **المرحلة الأولى** كانت التنمية السياسية لأي مجتمع مثلا، يمكن قياسها من خلال تحديد مدى اكتساب هذا المجتمع، لمجموعة من الخصائص السياسية مثل: المؤسسة والاندماج والشرعية. ويبرز تأثير هذا المدخل في كتابات" ألموند" و" فيربا " و" كومان" حول التنمية السياسية". أما في **المرحلة الثانية** في منتصف الستينات من القرن العشرين فقد حاول علماء السياسة، إعادة تعريف مفهوم التنمية السياسية، وربطها بقدرة السلطة السياسية على المحافظة على النظام العام، وأبرز من كتب في هذا المجال هو "هنتجتون"، الذي عرف التنمية السياسية على أنها قدرة النظام السياسي على الكبح والسيطرة، على التوترات الناتجة عن الحركة الاجتماعية ومطالب المشاركة السياسية. في حين **أن المرحلة الثالثة** وهي مرحلة السبعينات، فكانت التنمية السياسية تعني فيها، قدرة السلطة السياسية على وضع وتنفيذ السياسات العامة، وهكذا ابتداء من دراسة" بايندر"و" ابتر "، أخذت دراسات التنمية السياسية تركز على استعمال مدخل السياسات العامة، القائم على نموذج الاختيار العقلاني الرشيد[8]، الذي يتميز بالتركيز على عملية التغيير التطويرية التدريجية، كما وضح لنا ذلك (ألموند وباول). و كان قد لاحظ كل من" هنتغتون" و" دومنجاز"، أن تعريفات التنمية السياسية، قد استعملت بأربع طرق مختلفة: جغرافية، لغوية، من حيث المقصد و من حيث الوظيفة.

1- يتمثل الجانب الجغرافي: في الإشارة إلى العملية السياسية في الدول النامية أو الفقيرة، وهذا التحديد الجغرافي خال من أي محتوى أو خصائص محددة سوى الإشارة إلى مواقع حدوثه.

2- الجانب اللغـــوي: تعني ربط التنمية السياسية بعملية التحديث الواسعة، وبالتالي تعريف التنمية السياسية بأنها التحديث السياسي، وهذا هو المعنى الذي قصده كل من هنتغتون و دومنجاز.

3- أما من حيث المقصد: فالتنمية السياسية تعني الانتقال إلى الأهداف المرجوة التي يراها النظام السياسي مثل: الديمقراطية والاستقرار والشرعية والمشاركة والتعبئة والتخصص والأمن...الخ.

4- فـــي حين يقصد بالجانب الوظيفي اكتساب النظام السياسي لنفس مميزات العملية السياسية في المجتمع الغربي المعاصر، ففي هذه المجتمعات تعد المؤسسات السياسية مثل (الأحزاب) جزءا من التطور السياسي وليس نتيجة لعملية التحديث السياسي، لأنها تشغل وظيفة هامة داخل النظام السياسي[9].

وعليه يمكن القول أنه هناك تباين و تعددية في تعريف التنمية السياسية بين من اعتبرها مجرد البحث عن التغيير[10]، أو التحول إلى الديمقراطية أو العزوف عن الاتجاه اللاديمقراطي[11]، إلى كونها تعكس استجابة النظام السياسي، للتغييرات سواء أكان في داخل المجتمع، أم داخل البيئة الدولية، بحسب طروحات غابريال الموند و باول خاصة منها، تحديات بناء الدولة والمشاركة والتوزيع. فهي عبارة عن بنية متميزة، تحتوي على أنظمة فرعية مستقلة وذات ثقافة علمانية[12]. ولكن يظهر لنا أن التعريف الذي يبدو ملائما إلى حد ما للتنمية السياسية، هو أنها " عملية تنطوي على خلق نظام سياسي شرعي وفاعل، قادر على إنشاء وتهيئة وتحفيز مجتمع سياسي، ذو إرادة

تنموية تسعى مشتركة، مع النظام السياسي للتأسيس والمحافظة على وجود مؤسسات، مبنية على قيم منسجمة مع روح الديمقراطية، والحرية والمساواة والشفافية والتعددية السياسية، متجاوزة بذلك كل أزمات التنمية السياسية. وهذا يعني أن للتنمية السياسية عناصر أساسية وهـــي:

1 – وجود نظام سياسي شرعي وفاعل.

2– وجود مجتمع سياسي ذو إرادة تنموية.

3– مؤسسات مستقرة مبنية على أسس الحرية والتعددية السياسية والمساواة.

4– حل أزمات التنمية السياسية كأزمة الهوية والمشروعية و التوزيع.

5– تحقيق تغير سياسي متوازن ومدروس ومخطط له ومستمر[13].

أما عن أهم مؤشرات التنمية السياسية فتتمثل في:

1– مبدأ سيادة القانون وتكافؤ الفرص وضمان حرية التعبير.

2– الالتزام بالحقوق الدستورية للمواطنين.

3– وجود مجتمع مدني فاعل وثقافة سياسية مدنية تقوم على أساس الحوار.

4– قدرة النظام السياسي على ضمان العدالة التوزيعية للموارد في المجتمع.

5– مشاركة سياسية ديمقراطية وشفافية في صنع القرار السياسي.

6– مواكبة التشريعات للمتطلبات الداخلية والخارجية للمجتمع.

7– تفعيل الأداء الفعلي للبرلمان على السلطة التنفيذية و كممثل للشعب.[14]

ولقد بدأ التركيز في العشرية الأخيرة من القرن العشرين، على الشروط السياسية للتنمية، كرجاحة الحكم، والشفافية والمساءلة كشروط لابد منها، لمواصلة العملية التنموية، والتي تصطدم في العديد من البلدان النامية، بمشكلة الفساد السياسي، التي تنتقص بدورها من مشروعية النظام السياسي واستقراره، والذي يستوجب إصلاحه من خلال ضمان الشرعية والمساواة، والرقابة والإصلاح، بغية المضي نحو التحديث السياسي والاقتصادي[15].

و بالموازاة مع ذلك، فإن مكافحة الفساد السياسي يستدعي بالضرورة توفر ثلاثة شروط أساسية وهـــي:

1- الحكم الرشيد و يعني الحكمة في استخدام الموارد و تبني السياسات.

2- الشفافية في عمل الدولة ومؤسساتها.

3- المساءلة القانونية للقائمين على إدارة شؤون الدولة[16].

وعليه تتجلى منطلقات التنمية السياسية بضرورة وجود الحكم الراشد والشفافية والمساءلة، بالإضافة إلى فعالية الحكومة وتمتعها بالكفاءة والخبرة اللازمة، وان توفرت الشروط الثلاثة للتنمية، لابد وأن تؤدي بالضرورة إلى دفع عجلة التنمية السياسية، فكيف عالجت الأطروحات الغربية والعربية إشكالية التنمية؟

3- **مفهوم التنمية السياسية في الفكر الغربي:** تعددت المسميات التي أطلقت على المشكلات السياسية للبلدان المتخلفة، وتنوعت تصنيفاتها، فأسماها غابريال الموند " تحديات التنمية السياسية "، وصنفها إلى أربعة تحديات "بناء الأمة، بناء الدولة، المشاركة، والتوزيع"[17]، وأطلق عليها روستو تسمية "متطلبات التنمية السياسية "، وصنفها إلى ثلاثة متطلبات "الهوية للأمة، السلطة للدولة، المساواة للحداثة". واتفق لوسيان باي مع لجنة السياسة المقارنة الأمريكية على النظر إلى تلك المشكلات بوصفها " أزمات التنمية السياسية "، التي حددتها اللجنة بخمس أزمات، ثم أضاف إليها "باي" أزمة (الاندماج) لتصبح أزمات التنمية السياسية لديه ست أزمات هي: " أزمة الهوية، أزمة الشرعية، أزمة المشاركة، أزمة التوزيع، أزمة التغلغل و أزمة الاندماج".

وتأسيسا على ما تقدم فقد استلزم ظهور مفهوم التنمية السياسية وتعيين أزماتها والحلول المناسبة لها تقديم معالجات نظرية مستقلة للتنمية السياسية

تعبر عن مضمونها وتحدد مقوماتها. إلا أن هذه المعالجات النظرية ما كان لها أن تولد من فراغ، ولا أن تتطور في فراغ، فعلاقة التفرع والاستتباع بين التنمية السياسية (الفـــرع/الجزء) والتنمية الشاملة (الأصـــل/الكل)، فرضت على تلك المعالجات أن تبدأ من الكلي وصولا إلى الجزئي، أي أن تؤسس بالتنمية الشاملة للتنمية السياسية، مما جعل مراحل نشأة مفاهيم التنمية السياسية وتطورها، جزءا من مراحل تطور مفاهيم التنمية الشاملة ونظرياتها، وتشمل هذه المراحـــل:

* **مرحلة تحديد مفهوم التنمية السياسية** بدلالة خصائص المؤسسية والشرعية والاندماج، والأخذ بالنموذج الغربي للممارسة السياسية في صورته الديمقراطية الليبرالية.

* **مرحلة تحديد مفهوم التنمية السياسية** بدلالة قدرة النظام السياسي على حماية النظام العام **(Order)**، وكبح التوترات الناجمة عن الحركة الاجتماعية، ومطالب المشاركة السياسية، ومدى تحكم النظام السياسي بتلك التوترات وقدرته على ضبطها وتوجيهها.

* **مرحلة تحديد مفهوم التنمية السياسية** بدلالة قدرة النظام السياسي على الجمع بين حماية النظام العام (Order)، وإمكانية صنع السياسات العامة العقلانية الرشيدة وتنفيذها[18].

وقد ظهرت في هذه المراحل صيغ متعددة ومتنوعة لمفهوم التنمية السياسية، حيث رأى "أورجانسكي" أنها تتمثل في "زيادة الكفاءة الحكومية على استخدام الموارد البشرية والمادية اللازمة لتحقيق الأهداف القومية، وهي جانب من جوانب التنمية الاجتماعية"[19]. وذهب "ألموند" و"بويل" في كتابهما (السياسة المقارنة مدخل تنموي)، إلى كونها تتجسد في "استجابة النظام السياسي للتغييرات في البيئة المجتمعية والدولية، وتحديدا استجابة

النظام لتحديات بناء الدولة، وبناء الأمة والمشاركة والتوزيع"[20]، مؤكدين أن التنمية السياسية هي التحديث السياسي، وأن معايير إنجازها هي التمايز البنيوي، واستقلالية النظم الفرعية، وعلمانية الثقافة. وقدم "لوسيان باي" قائمة بعشرة مرادفات أساسية للتنمية السياسية هي[21]:

1- التنمية السياسية هي المتطلب السياسي للتنمية الاقتصادية.

2- التنمية السياسية هي السياسة كما تمتاز بها المجتمعات الصناعية.

3- التنمية السياسية هي التحديث السياسي.

4- التنمية السياسية هي بناء وإرادة الدولة القومية.

5- التنمية السياسية هي التنمية الإدارية والقانونية.

6-التنمية السياسية هي التعبئة والمشاركة الشعبية.

7- التنمية السياسية هي الاستقرار والتغير المنتظم.

8- التنمية السياسية هي بناء الديمقراطية.

9- التنمية السياسية هي التعبئة والقوة.

10- التنمية السياسية هي بعد من ابعاد عملية التغير الاجتماعي.

واستخلص "باي" من هذه المرادفات العناصر المشتركة بينها، والتي تمثل في رأيه جوهر التنمية السياسية ومرتكزاتها وهـــي:

* المساواة بين الأفراد في علاقتهم بالنظام السياسي.

* تمايز وتخصص البنى والمؤسسات والعمليات السياسية.

* قدرة النظام السياسي في علاقته مع محيطه[22].

وحدد صامويل هنتغتون العناصر الأساسية للتنمية السياسية فـــي:

* ترشيد السلطة وعقلنتها.

* تمايز الوظائف والمؤسسات السياسية وتطويرها وتفعيلها.

*المشاركة السياسية لخلق علاقة متوازنة، ومستقرة بين السلطة والمجتمع.

ثم استخلص من تعاريف "باي" أربعة عناصر مشتركة، رأى فيها مقومات التنمية السياسية، وأركانها وهي: العقلانية، الاندماج القومي، الديمقراطية، التعبئة أو المشاركة[23].

إن الملاحظ على هذه التعريفات مطابقتها بين مفهومي التحديث السياسي والتنمية السياسية، و الذي مرده التشابه الكبير بين شروط و أركان كلا من التحديث و التنمية السياسية، وهو ما تعكسه أيضا تعريفات التحديث السياسي، عند بعض ألباحثين مثل "كوليمان"، الذي رأى فيه " العملية التي تبغي تحقيق التمايز بين المؤسسات، وإضفاء الطابع العقلاني على الثقافة السياسية، بما من شأنه تعزيز قدرة النظام السياسي للمجتمع" [24]، و"ايزنشتاد" الذي حدد مظاهر التحديث السياسي في:

1- ترشيد بناء السلطة السياسية.

2- تمايز البنيات والوظائف السياسية.

3- تدعيم القدرات المؤسسية والسياسية للنظام السياسي.

4- سيادة روح المساواة في الحقوق والواجبات داخل المجتمع[25].

4- مفهوم التنمية السياسية في الفكر العربي: لقد اقترب الباحثون العرب من المفاهيم الغربية للتنمية السياسية أو التحديث السياسي؛ حيث يعرفها "نبيل السمالوطي" بأنها: " تنمية قدرات الجماهير على إدراك مشكلاتهم بوضوح، وقدرتهم على تعبئة كل الإمكانيات المتاحة لمواجهة هذه المشكلات... إلى جانب تمثيل الجماهير لقيم الديمقراطية وتحقيق المساواة السياسية بين أبناء المجتمع"[26]. ويعرفها "عبد المطلب غانم" بأنها: " مجموعة التغييرات المخططة التي يتم تنفيذها للأبنية أو العمليات المجتمعية، بغرض زيادة قدرات النظام السياسي، وزيادة استجابته للنظم ألمجتمعية، وزيادة إسهامه في زيادة قدرات النظم، المجتمعية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية"[27].

ويطابق "محمد علي محمد" بين التنمية السياسية والتحديث السياسي، من حيث أن التنمية السياسية جزء من التنمية الشاملة، ومن ثم فهي " العملية التي يحدث بمقتضاها تغير في القيم والاتجاهات السياسية والنظم والبناءات، وتدعيم ثقافة سياسية جديدة، بحيث يؤدي ذلك كله إلى مزيد من التكامل للنسق السياسي"[28]. ويمضي "صادق الأسود" في ذات الاتجاه مؤكدا أن: "الدراسات الحديثة في التنمية السياسية تنصب بصورة مباشرة على النظام السياسي بحد ذاته، باعتباره مجموعة بنى متميزة عن البنى الأخرى الاجتماعية والاقتصادية، فكما أن النظام الاقتصادي مثلا، تجري عليه تعديلات فيغدو عصريا، كذلك النظام السياسي يتطور، ويتحول، ويتكامل. ففيما وراء عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية توجد عملية أخرى معقدة هي التنمية السياسية... وهذه العملية الأخيرة التي يعبر عنها بعناصر متعددة، تؤشر مرور نظام سياسي تقليدي إلى نظام سياسي عصري"[29]. وينظر"عبد اللطيف القصير" إلى التنمية السياسية من حيث هي فعالية تهدف إلى: "زيادة جدوى النظام السياسي وفاعليته في مواجهة المشكلات التي تعترضه، عبر إعادة جدولة القيم والأفضليات، وفقا للإطار الفكري للنظام القائم، وبالتالي توسيع النشاط المتعاون، عن طريق بلورة دور المواطنين في المشاركة في وضع جدولة القيم والأفضليات تلك"[30]. ويقارب "علي الدين هلال" التنمية السياسية من حيث هي في رأيه " تطور حركي " يتضمن " زيادة قدرة النسق السياسي... على التأثير على باقي الأنساق الفرعية للمجتمع، فالنظام المتقدم يفترض قدرات أكبر لمؤسسات النسق السياسي في مجالات الأداء والإنجاز والفاعلية والتنفيذ المحكم... ويتضمن ثلاثة عناصر أساسية، **أولها**؛ التنمية وتفترض نظاما قانونيا له طابع العمومية والتجريد وينطبق على كل الأفراد...ويفرض نوعا من المساواة عليهم أمام القانون. و**ثانيها**؛ أن التجنيد

للمناصب العامة يعكس معايير الإنجاز والعمل، ويقوم على عنصري الكفاءة والتفوق وليس على اعتبارات القرابة والنسب والعلاقات الاجتماعية، و**ثالثها**؛ أن التنمية السياسية تتضمن مزيدا من المشاركة الجماهيرية والإسهام الشعبي في العملية السياسية. ويساعد استعراض ما تقدم من تعريفات للتنمية السياسية، على استخلاص مجموعة العناصر المشتركة بينها، والتي يمكن افتراض كونها العناصر أو الأركان الأساسية للتنمية السياسية وهي:

* تمايز البنى والمؤسسات السياسية وتخصصها الوظيفي.
* تفعيل البنى والمؤسسات السياسية، ورفع قدراتها الإنجازية.
* ترشيد الممارسة السياسية، وبناءها على أسس عقلانية وضعية.
* المشاركة الشعبية في العملية السياسية .

وتأسيسا على هذه الأركان، تكون التنمية السياسية عملية متخصصة متفرعة عن التنمية الشاملة، تستهدف تحديث وتطوير وتفعيل أفكار المجتمع وقيمه ومؤسساته وأنشطته السياسية لإقامة نظام سياسي متمايز بنيويا ومؤسسيا، ومتخصص وظيفيا، وقادر وفاعل إنجازيا، يمارس سياسة وضعية عقلانية أساسها المشاركة الشعبية في العملية السياسية، لبلوغ مستوى الاستخدام الأمثل للموارد المادية والبشرية، والاستجابة الفعالة للمطالب والمتغيرات الداخلية والخارجية. وبناءا على ما تقدم يمكن القول أن التنمية السياسية تعني، عملية انتقال تدريجي من التقليد إلى الحديث، ضمن محورين أساسيين متداخلين، مؤسسات النظام السياسي شاملاً تقويم السلوكيات، والقيم السياسية وهياكل المؤسسات الحكومية، والمحور الآخر هو المجتمع بكل أبعاده الهيكلية والسلوكية. وهناك علاقة تبادلية بين المحورين بحيث يؤثر ويتأثر كل منهما بالآخر، وأي تغيير في محور، يؤدي بالضرورة إلى التغيير في المحور الآخر.

ومن خـــلال ما سبق يمكن أن نورد الملاحظـــات التاليـــة حول عملية التنمية السياسية:

1- أنها عملية وليست مرحلة، بمعنى أن التغيير يشير إلى مجموعة من التطورات أو التغييرات، التي تحدث في الهياكل السياسية ووظائفها المختلفة، والتفاعلات والأنماط السياسية المرتبطة بها. ورغم أن التنمية هي عملية ولكن ذلك لا ينفي، عدم وجود مراحل في إطار هذه العملية.

2- أنها مفهوم حركي ديناميكي، أي لا تعرف نقطة تنتهي عندها. فهي في حركة وتطور مستمر، من جانب الهيكل السياسي والنظام المجتمعي لملائمة ذاته، وأبنيته مع الظروف والتغييرات الجديدة.

3- أنها مفهوم نسبي، بمعنى أنه لا يوجد مرجع معياري مطلق للحكم، على أن دولةً ما، وصلت القمة في مجال التنمية السياسية. فالعملية التنموية تتباين بتباين البيئات الثقافية والحضارية ونسق القيم السائدة، ويبدو أن لكل دولة خبرتها الخاصة بها، والتي تحدد معالمها، خلفياتها التاريخية والثقافية والحضارية.

4- إنها مفهوم عالمي، بمعنى أنها تحدث في كل المجتمعات المتقدمة والنامية، وإن كان ذلك بدرجات متفاوتة وبأشكال مختلفة.

الخاتمـــة:

إن التنمية السياسية تضمن ترشيد القرار السياسي، مما يؤدي إلى تسيير كفؤ وعقلاني للموارد الطبيعية المادية والبشرية، وكذلك رسم سياسات واستراتيجيات تنموية اقتصادية، والقيام بالمشاريع والإشراف على تنفيذها ومتابعتها. كما أن التنمية السياسية تؤدي إلى القضاء على الفساد والرشوة،

وسوء توزيع الثروة في بلد معين، وكذلك تقلص من نسبة الاختلاس وسرقة المال العام. كما أن اللاستقرار في المجال السياسي، يضعف أي اقتصاد مهما كانت قوته. وبالتالي فإن عدم الاستقرار السياسي، له تأثير سلبي مباشر على الأوضاع الاقتصادية، ومنه إفشال التنمية الاقتصادية والبرامج والخطط التنموية، مما يتسبب في كوارث اقتصادية، كتدني مستوى المعيشة، أو الديون أو حتى المجاعة، بالإضافة إلى ذلك فإن التنمية السياسية تقوم بتنشئة الأفراد سياسيا، عن طريق الاتصال الجماهيري وخلق مجتمع مدني واعي، وتجعل من الفرد قادرا على المطالبة، بمحاسبة ومراقبة النظام السياسي، وبتحسين ظروف معيشته، وتحقيق رفاهيته عن طريق النقابات العمالية، أو الجمعيات للحفاظ على المستهلك وغيرها، ولا تترك المجال مفتوح أمام النظام السياسي، ليعبث بأموال الأمة والشعب. لكن ورغم كل ما سبق من دور التنمية السياسية في تحقيق التنمية الاقتصادية، فإن هذه الأخيرة تساعد على استقلال القرار السياسي عن الضغوطات الخارجية لأي دولة. فهي الدرع الواقي للسيادة، وتمنح مكانة متقدمة لها في النظام الدولي، لأن أقوى الدول، هي الدول المتقدمة والمتطورة اقتصاديا، كما أنها توثق الثقة بين الحاكم و المحكومين، مما يؤثر إيجابا على استقرار الدولة وأمنها.و استنادا إلى ما سبق يمكن أن نخلص إلى النتائـــج التاليـــة:

- إن التنمية عموما والسياسية خصوصا، تبقى مفاهيمها نسبية ووليدة البيئة التي بعثت و ترعرعت فيها.
- لا توجد حدود فاصلة ومتمايزة بين الأبعاد المختلفة للتنمية؛ اقتصادية كانت أو اجتماعية أو سياسية، فكلها تتفاعل لتحقيق التنمية الشاملة.
- إن التباين المضبوط في تحديد مفهوم التنمية السياسية بين المفكرين الغربيين والعرب، مرده اختلاف المقاربات و زوايا النظر إلى

موضوع التنمية السياسية، بين من يعتبرها شرطا للتنمية الشاملة ومرادفا للتحديث السياسي، إلى كونها نتيجة لارتقاء التفاعل الاجتماعي و الحضاري عند الغرب.

- وجود تناقض بين المفاهيم المصاغة بشأن التنمية السياسية و الواقع السياسي، ما خلق الهوة بين التعريف و التوظيف.

هوامـــش:

[1]– علي الدين هلال، " نحو إطار نظري لتحليل عملية التنمية السياسية في الوطن العربي"، **مجلة قضايا عربية**، بيروت، عدد1، س8، كانون الثاني1981، 29.

[2]– الخطيب عمر إبراهيم، " التنمية والمشاركة في أقطار الخليج العربية "، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت، عدد 40، حزيران 1982، ص 13.

[3]– المغيربي محمد زاهي بشير، **التنمية السياسية والسياسة المقارنة: قراءات مختارة**، ط1، (بنغازي، جامعة قاريونس، 1998)، ص33.

[4]– ربيع حامد، "الظاهرة الإنمائية والتطور الوحدوي.. حول بناء نظام إسلامي عربي جديد"، **مجلة شؤون عربية**، بيروت، عدد 3، س1، أيار1981.ص 11.

[5]– المرجع السابق.

[6]– المجذوب محمد، "الإنماء والأنظمة السياسية العربية"، **مجلة قضايا عربية**، بيروت، عدد 3، (خاص)، 1979، ص6.

[7]– فينر مايرون، التغير السياسي.. آسيا.. أفريقيا..الشرق الأوسط، عن: المغيربي، التنمية السياسية والسياسة المقارنة، مرجع سابق، ص ص 111–143.

[8]– نداء صادق الشريفي، **تجليات العولمة على التنمية السياسية**، (عمان: دار جهينة، 2007)، ص ص 88–89.

[9]– نور الدين زمام، **القوى السياسية والتنمية: دراسة في علم الاجتماع السياسي**، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2007)، ص 192.

[10]– رعد عبد الجليل علي، **التنمية السياسية مدخل للتغيير**، (طرابلس: الجامعة المفتوحة، 2002)، ص 24.

[11]– حسن عبد الحميد أحمد رشوان، **التنمية اجتماعيا، ثقافيا، اقتصاديا، سياسيا، إداريا، بشريا**، (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2009)، ص 147.

[12]– نداء مطرش صادق، **التخلف والتحديث والتنمية السياسية**، (بنغازي: جامعة قازيونس، 1998)، ص 102.

[13]– نفس المرجع ، ص 101.

[14]– عبد المجيد العزام، " التنمية السياسية في أعقاب الانفراج الديمقراطي في الأردن "، **مجلة دراسات للعلوم الإنسانية والاجتماعية**، العدد 02، عمان: الجامعة الأردنية، 2006، ص 366.

[15]- ناصر عبد الناصر، **دور البرلمانات والبرلمانين في مكافحة الفساد**، (دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، 2010)، ص119.

[16]- نفس المرجع، ص 120.

[17]– المغيربي زاهي، مرجع سابق، ص186.

[18]- LUCIAN PYE, **ASPECTS OF POLITICAL DEVELOPMENT**, (BOSTON, LITTLE BROWN COMP,1966), PP.31-42.

[19]- A,F ORGANSKI, **THE STAGE OF POLITICAL DEVELOPMENT**, NEW YORK, 1965, PP.45-66.

[20]– المغيربي زاهي، مرجع سابق، ص171.

[21]- LUCIAN .PYE.OP.CIT.PP.45-66.

[22]- Op. cit.

[23]- SUMUEL.P.HUNTINGTON, **POLITICALORDER IN CHANGING SOCIETIES** NEW HEAVEN.YALE UNIVERSITY, 1976. PP. 32-35.

[24]– الزيات السيد، التحديث السياسي والمسألة الديمقراطية، **مجلة الوحدة**، الرباط، عدد85، سنة 8، تشرين الأول 1991، ص ص 9–14.

----- -25

[26]– السمالوطي نبيل، **بناء القوة والتنمية السياسية**، (القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978)، ص149.

[27]– عبد المطلب غانم، **دراسات في التنمية السياسية**، (القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1981)، ص135.

[28]– محمد علي محمد، **علم الاجتماع السياسي**، (الإسكندرية، دار الجامعات المصرية، 1975)، ص390.

[29]– صادق الأسود، **علم الاجتماع السياسي.. أسسه وأبعاده**، (بغداد، كلية القانون والسياسة –جامعة بغداد، 1986)، ص281.

[30]– عبد اللطيف القصير، **التنمية السياسية**، محاضرات قسم الدراسات العليا، (بغداد، كلية القانون والسياسة–جامعة بغداد، 1978)، ص ص 10–12 .

اضطـــراب القلق العـــام
"الإشكاليـــة والمفهـــوم"

الأستـــاذة: بن عبد الله فوزية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعة سطيف 2

ملخَص:

يعتبر اضطراب القلق العام أحد أهم الاضطرابات النفسية المعروفة، ورغم ذلك يؤكد العديد من الباحثين أنه أحد الاضطرابات النفسية التي لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسة، لذلك جاء هذا المقال بهدف معالجة الإشكاليات المرتبطة باضطراب القلق العام، والتي هي مصدر للجدل بين الباحثين، هذه الإشكاليات التي أردنا طرحها من زاوية التصنيف النزوغرافي، و مدة الأعراض وكذلك المقاربات النفسيرية للاضطراب. ولقد رأينا من الضروري الانطلاق من الخلفية التاريخية للوقوف على حيثيات هذه الظاهرة النفسية ، واستيعابها بما يضمن الإحاطة بمختلف جوانبها .

الكلمات المفتاحية: ، اضطراب القلق العام، الاضطرابات النفسية، النوزوغرافي.

مقدمـــة:

يعتبر اضطراب القلق العام من الاضطرابات التي لازالت تثير الجدل بين الباحثين من حيث معالم تصنيفه ومدة استمرار الأعراض، فلقد تعرضت معالم تصنيف اضطراب القلق العام التي حددها الدليل التشخيصي الإحصائي للاضطرابات العقلية الرابع المرجع الذي تصدره الجمعية الأمريكية للطب العقلي إلى نقد كبير، من حيث تداخل أعراض اضطراب القلق العام مع اضطرابات أخرى، منها الاكتئاب واضطراب الهلع مما يصعب من عملية التشخيص الفارقي، كما أنه عادة ما يكون مصاحب لاضطراب نفسي آخر، ولقد نادى بعض الباحثين بضرورة وضع اضطراب القلق العام كقاعدة مهيأة لظهور اضطرابات المزاج واضطرابات القلق الأخرى.

إن الإشكاليات المرتبطة باضطراب القلق العام لا تقتصر فقط على السياق النوزوغرافي، بل تتعداه إلى المفاهيم المفسرة وأساليب العلاج التي من بينها العلاج المعرفي السلوكي، هذا الأخير الذي أصبح أكثر الأساليب استخداما في علاج القلق العام وفقا لمبدأ أن القلق يكمن هنا في " ما يدور في ذهنك " . وانطلاقا من هذا تتـــراءى لنا بعض التساؤلات: مـــا هي المفاهيـــم المرتبطة بالقلق؟ ما هي الحدود بين اضطراب القلق العام واضطرابات القلق الأخرى، كيف تولد الأفكار القلق؟، ما هو المحتوى المعرفي المسئول عن ذلك؟ وما هي مجمل الإشكاليات الناجمة عن ذلك ؟ هذا ما سنحاول التطرق إليه في هذا المقال.

نظـــرة تاريخيـــة حـــول القلق

يعد اضطراب القلق من الاضطرابات النفسية الشائعة في عصرنا الحالي، رغم جذوره المتأصلة منذ الحياة البدائية للإنسان أين كانت الحيوانات الضخمة

المفترسة تشكل تهديدا حقيقيا له، غير أن القلق في العصر الحديث أصبح إشارة لظاهرة مرضية يتعرض لها الأفراد بمستويات مختلفة، نظرا للإحباطات وعدم الإشباع البيولوجي والنفسي بسبب العوائق البيئية و الشخصية المتداخلة والتي تميز هذا العصر[1].

ولقد اهتم الباحثون منذ القرن 18 بوضع مفهوم للقلق ويعد الفيلسوف كركغارد **Kerkegaard** من الأوائل الذين حاولوا وضع مفهوم للقلق أين ربط في كتابه " مفهوم القلق " سبب ظهور القلق بمفهوم الخطيئة الأولى[2]. لتتوالى الدراسات حول القلق إلى أن جاء فرويد بمفهوم عصاب القلق 1895 ويعتبر فرويد هو أول من وضع تصنيفات مختلفة لاضطرابات القلق، " عصاب القلق، الهيستيريا عصاب الوسواس، عصاب الخواف "[3]. وفي كتابه مقدمة في التحليل النفسي وضح فرويد الفرق بين القلق الموضوعي والقلق المرضي فالأول هو قلق طبيعي إنذار لمواجهة خطر خارجي حقيقي فهو ناتج عن غريزة حفظ الذات، أما المرضي فهو يعود إلى أصل جنسي أين يتحول الليبيدو إلى قلق عندما لا تشبع النزوة [4] .

يميز فرويد في تصنيفه للقلق بين ثلاث أشكال عيادية له: قلق الانتظار أو ما يعرف بالقلق الحر أين يرجع إلى العصاب، هذا النوع من القلق يؤدي إلى مشاعر التشاؤم حيث يرتبط بانتظار وترقب الأحداث، هنا لا يكون الخوف بدون موضوع بل خوف يبحث عن موضوع، الشكل الثاني من القلق هو قلق الخواف أين يتنوع الموضوع (حيوانات، مساحات واسعة، أماكن مغلقة، أماكن عالية، مرتفعات) لا تشكل هذه المواضيع خطرا حقيقيا وهذا ما يحدد الفرق بين القلق الموضوعي والقلق المرضي، أما الشكل العيادي الآخر فيتعلق بما يسميه فرويد القلق الخفي، يظهر هذا النوع من القلق بشكل تلقائي وحر

وقد يعوض بتظاهرات جسدي. لم يتحدث فرويد بما فيه الكفاية عن هذا الشكل ولكن يبدو أن هذا النوع يقارب اضطراب نوبات الهلع في التصنيف السيكاتري والذي يصنف كأحد اضطرابات القلق.

إن المفهوم الفرويدي للقلق على أنه علامة للخطر قد يكون خارجيا أو داخليا والذي يكون مرتبطا بوضعية ما، وجد له امتدادا في التوجه التجريبي لتفسير القلق يظهر هذا الامتداد في أعمال بيني **Binet** ومفهومه السيكومتري للقلق فقد جمع بين المفاهيم العيادية و التجريبية من أجل وضع مفهوم محدد للقلق، فاستخدم بيني مصطلح "الخوف " كدلالة على القلق، والذي يعرفه على أنه شعور غير عقلاني اتجاه خطر خيالي أو موضوعي ولكن غير محتمل الوقوع.[5] وضع بيني هو الآخر عدة تصنيفات للخوف منها الخوف المبالغ فيه من وقوع خطر موضوعي، الخوف من أشياء وأماكن وموضوعات عديدة، والخوف الناتج عن ذكريات مرتبطة بأحداث ما.

أما بالنسبة للتوجه التجريبي الذي تمثله المدرسة السلوكية، فقد سعى واطسون **Watson** 1930 إلى وضع مفهوم للقلق عن طريق دراسة ظاهرة الخوف الذي اعتبره أحد الانفعالات الثلاثة البدائية عند الطفل. ويرجع واطسون في نظريته المتعلقة بالسيرورة الفارقية للخوف المرتبط بمواضيع عامة إلى تلك المرتبطة بمواضيع خاصة إلى المفهوم الفرويدي للخواف.

كما تعتبر أعمال كل من **Miller** 1948 ، **Mowrer** 1939 امتدادا لأعمال واطسون فالقلق هو الشكل المشروط للاستجابة لوضعية مؤلمة، مع التركيز على مفهوم التوتر؛ فالاستجابة الأولية لعلامة خطر هي استجابة ضمنية، حالة من التوتر يمكن تسميتها بالقلق، ان هذا التصور ساعد في تطور الدراسات حول المؤشرات الفسيولوجية للقلق، كما أن محاولة فهم القلق كعامل معزز

أثناء التعلم استخدم في أعمال أكثر حداثة، كأعمال ايزنك، **Eysenck** ونظرية السلوكيون الجدد، رغم ان هذه النظرية ليست في أساسها نظرية حول القلق ولكنها ساهمت بشكل كبير في ذلك خاصة أعمال تايلور1956 **Taylor** وسبنس، 1958 **Spence**، ترجع هذه النظرية في مجملها القلق إلى استجابات غير صحيحة موجودة مسبقا، أين تعزز هذه الاستجابات لدى الأشخاص القلقين كإشارة للفروق الفردية في ظهور القلق، أي أن القلق يظهر لدى الأشخاص الأكثر اشراطا، تبنى هذا المنظور كل من ايزنك، **Eysenck** و كاتل، **Cattel** في محاولة لوضع مفهوم للقلق مع أخذ بعين الاعتبار الفروق الفردية، فقط اهتم كاتل بالتحليل العاملي للقلق وميز بين القلق كحالة والقلق كسمة، كما ساعدت أعماله هو شركائه في توضيح الفرق بين القلق والعصبية، فالعصبية وحدة أوسع من القلق والأشخاص العصبيين يتحصّلون على درجات في مقياس القلق أكبر من العاديين(6).

كما ان للوسط الثقافي والاجتماعي وخاصة المهني دورا في ظهور القلق، وقد توالت الأعمال بعد ذلك لتركز في العشرين سنة الأخيرة حول دور الجانب المعرفي السلوكي في ظهور القلق، ومن بين هذه الأعمال نجد أعمال **Borkovec** و **Inz** اللذان يعتبران من الأوائل الذين حاولوا فهم طبيعة ووظيفة الحيرة كأحد مظاهر القلق وخاصة القلق العام، فأثناء الاسترخاء وجدوا أن من لديهم قلق عام، يتميزون بصور ذهنية لفظية سلبية، كما لاحظ كذلك أن الحيرة تعمل على تقليل الصور الذهنية وزيادة النشاط اللفظي السلبي، ان هذا التمييز بين الصور الذهنية و النشاط اللفظي السلبي دفع كل من **Borkove** و **Stober** إلى استخلاص أن الحيرة كوظيفة تعمل على تجنب الصور الذهنية المرتبطة بمثير يشكل تهديدا ما، وهذا من أجل تقليص الاستجابات الفسيولوجية للقلق

فالحيرة تعمل على تثبيط السيرورة الإفتعالية اللازمة من أجل تخطي الانزعاج الناتج عن القلق، كما أن تقليص النشاط الفسيولوجي يعمل على تعزيز القلق والإبقاء عليه.

و في نفس السياق دارت أعمال **Wells** مع إدخال مفهوم المعتقدات الخاطئة كسبب في الإصابة بالقلق العام، أما **Dugas ,Gagnon , La douceur** ، **Freeston** فارجعوا إتيولوجية القلق العام إلى أربع متغيرات معرفية، المتغير الأول هو عدم التحمل اتجاه الأحداث المجهولة، أما المتغير الثاني فهو المعتقدات الخاطئة، المتغير الثالث هو الاتجاه السلبي في رؤية المشاكل فالمصابون بالقلق العام يرون كل مشكل تهديدا لذواتهم مع شكهم في قدرتهم على حل هذه المشاكل هذا يؤدي الى ظهور مشاعر الإحباط والتوتر لديهم أما المتغير الرابع فهو كما اشرنا سابقا التجنب المعرفي للصور الذهنية[7].

يفترض المعرفيون إذاً أن القلق ناتج عن عدم قدرة الفرد على معالجة المعلومات، وهذا راجع إلى عجز المخططات الذهنية عن التكيف، أين تنتج أفكار خاطئة تؤدي إلى سلوك مضطرب[8]. وهذا ما أكدته أعمال باك و إمري 1985 **Beck& Emery** حول القلق العام و الاكتئاب، فاضطراب القلق العام يعود إلى الحوار الداخلي السلبي و الأفكار الداخلية المغلوطة والتي تنتج عن مخطوطات ذهنية ترتبط ببنية نفسية عميقة و التي تؤسس انطلاقا من الخبرات الشخصية بما فيها الانفعالية و التأثيرات الثقافية و العائلية و معرفة الفرد فهي عبارة عن نوع من الذاكرة التي تحدد الصورة التي يرى بها الشخص نفسه والعالم و تحدد سلوكه[9].

مفاهيـــم حـــول القلق:

مفهـــوم القلق: يعتبر القلق مفهوما مركزيا في علم النفس وأساسيا في علم النفس المرضي والعرض المشترك بين العديد من الاضطرابات النفسية والعقلية وكذا العضوية، كما أنه يعد مفهوما تفسيريا في معظم نظريات الشخصية، ولقد اختلف مفهومه حسب التوجهات النظرية من تيار إلـــى آخر فـــي علم النفس الحديث ويمكن حصر على الأقل سبع مفاهيـــم مختلفة حوله وهـــي:

- القلق كانفعال: القلق انفعال سلبي يرتبط بشكل وثيق بكل من الخوف والمخاوف الشاذة.

- القلق كتناذر إكلينيكي: القلق تناذر إكلينيكي متعدد الأعراض.

- القلق كاستجابة: القلق استجابة انفعالية تم تعلمها عن طريق المبادئ المعروفة للإشراط.

- القلق كحافز: القلق حافز قد يعوق الأداء وقد يسهله تبعا لطبيعة الموقف ومدى صعوبته.

- القلق كسمة: القلق سمة أساسية في الشخصية، تتوزع بين الأفراد تبعا لبعد ثنائي القطب، يبدأ من الدرجة المنخفضة جدا إلى الدرجة المرتفعة جدا.

- القلق كحالة: القلق حالة تنبه شديد أو نشاط فيزيولوجي زائد يرتبط بمواقف محددة أو ظروف معينة.

- القلق دافع للإنتاج والابتكار والإبداع[10].

تعريـــف القلق: باختلاف مفاهيم القلق تعددت تعريفاته ولقد ارتأينا هنا عرض بعض التعريفات بحسب اختلاف المقاربات النظرية للقلق.

– تعريف سبيلبرجر **Spielberger:** يعرف القلق على انه حالة انفعالية غير سارة تصاحبها مشاعر التوتر والخوف والاضطراب، ونشاط في الجهاز العصبي[11]. أما بيار جاني **Pierre Janet** فيعرف القلق على انه عدم الراحة الجسمية والنفسية، يعود الى الإحساس بخطر شديد مع خوف عميق قد يؤدي الى نوبات هلع، مع إحساسات غير مرغوبة في الجهاز الهضمي والنفسي[12].

أما بالنسبة إلى هورني **Horney.K** فالقلق استجابة انفعالية لخطر يكون موجه إلى المكونات الأساسية للشخصية ومن هذه المكونات ما هو مشترك بين كل الناس مثل الحرية وحب الحياة، ومنها ما هو خاص تختلف قيمته من شخص لآخر مثل السمعة والمركز الاجتماعي ويظهر في مظاهر سلوكية مختلفة مثل الخوف والحيطة وهو يسلب بالتدريج السمات الأصلية للفرد ويبعدها عن ذاته الحقيقية [13].

تعريـــف القلق العام: يرتبط تعريف القلق العام عادة بوضعية الخطر والخوف وهذا ما نلاحظه في التعاريف التالية:

– **تعريف باك Beck:** يعرفه على انه انفعال يظهر مع تنشيط الخوف الذي يعتبر تفكيرا معبرا عن تقويم او تقديم لخطر محتمل[14]. كما يذهب كل من باك وكلارك Beck&Clark 2012، إلى أن القلق هي حالة انفعالية ممتدة ومعقدة تنتج عندما يتوقع الفرد أن حدثا ما أو وضعية مستقبلية تشكل تهديدا لا يمكن مراقبته على نفسه أو على أمور حيوية بالنسبة له[15].

- **تعريف والس** Wells: هو اضطراب يتميز بالانزعاج الشديد وعدم القدرة على مراقبة هذا الانزعاج مع وجود أعراض عديدة للقلق، أين يتعلق الانزعاج بأمرين في حياة الفرد على الأقل، كالصحة، والعمل، والعائلة، والأمور المادية[16].

إشكاليـــات مرتبطة باضطراب القلق العام:

رغم التطور السريع الذي يعرفه مجال دراسة اضطراب القلق العام سواء من حيث المفاهيم المفسرة والتصنيفات النوزوغرافية أو من حيث الأساليب العلاجية، إلا أن هذا التطور يصاحبه بعض الإشكالات المطروحة، فلو أخذنا الجانب الاصطلاحي و المفاهيمي نجد بعض الغموض والتداخل في استخدام المصطلحات الدالة على القلق في التراث الأدبي وان كان هذا الأمر مطروح بصورة خاصة بالنسبة للغة الفرنسية والإسبانية حيث نجد أن القلق يعود إلى كلمتين وهما « **Angoisse,Anxiété** » بعكس اللغة العربية واللغة الإنجليزية واللغة الألمانية فحتى فرويد في كتاباته الأصلية كان يستخدم مصطلح« **Angst** » أي « **Anxiété** » غير ان مترجمي كتاباته إلى اللغة الفرنسية استخدموا كلمة « **Angoisse** » وفي محاولة منه لتحديد الفرق بين « **Angoisse,Anxiété** »، يعرف **Brisseaud** (1902) **Angoissse** على أنها ظاهرة جسدية أين يكون المنشأ البصلة السيسائية ، أما **Anxiété** فهي ظاهرة نفسية ذات أصل دماغي[17].

و عند الرجوع إلى ما ذكرناه سابقا، نجد أن بعض الباحثين ذوي التوجه السلوكي يستخدمون مصطلح الخوف ويستدلون على وجود القلق من خلال دراســـة مظاهـــر الخوف، وضمن هذا السيـــاق يمكن القول أن المظاهـــر الفسيولوجية للقلق تتقارب مع المظاهر الفسيولوجية للخوف غير أن الخوف

نجده عند الحيوان والإنسان بعكس القلق الذي يختص به الإنسان، أين يرافق المظاهر الفسيولوجية للخوف البعد المعرفي[18] .

فالسلوكيون إذًا اهتموا بدراسة الخوف كدلالة على القلق دون توضيح الحدود بين الخوف والقلق، فهم يعرّفون القلق على أنه استجابة متعلمة ومشروطة لمؤثرات معينة[19]، وتركوا البعد المعرفي للمعرفيين الذين هم بدورهم استخدموا مفهوما آخر وهو مفهوم الحيرة « **l'inquiétude** » لدراسة الآلية المعرفية المتسببة في ظهور القلق، فقد اعتبرت الحيرة كمظهر للقلق، إلى غاية سنة 1980 أين وضح بعض الباحثين الفرق بين القلق والحيرة فالحيرة كما يعرفها **Borcovec & al** هي عبارة عن سلسلة من الأفكار والصور المحملة بانفعالات سلبية يصعب التحكم فيها، أما **Barlow** فيعرفها على أنها شكل من الفهم لحدث قادم[20].

أما القلق فهو مرتبط بحدث في المستقبل أين تكون نتائجه غير محتملة الوقوع، غير أن استخدام مصطلح الحيرة بقي هو السائد في الدراسات المعرفية، هذا ما يطرح أشكال في تحديد المصطلحات وفي وتوضيح الحدود بين المفاهيم، هل نتحدث عن القلق أو نتحدث عن الخوف أم نتحدث عن الحيرة، لو حاولنا تفحص الدراسات السابقة لا وجدنا أن الخوف هو المظاهر الفسيولوجية للقلق، أما الحيرة فهي المظهر المعرفي للقلق، إذا فالسلوكيون ركزوا على الجانب الفسيولوجي أما المعرفيون فقد ركزوا على البعد المعرفي أي أنهم لم يقدموا دراسات شاملة حول القلق.

أما من الناحية النوزوغرافية، فان التصنيفات الراهنة لاضطرابات القلق تطرح عدة تساؤلات، خاصة تلك المتعلقة بـــ**DSM IV**، الدليل الإحصائي والتشخيصي الرابع للاضطرابات النفسية الصادر عن الجمعية الأمريكية

للطب النفسي فلقد تساءل العديد من العياديين حول المعالم التصنيفية للاضطرابات القلق، فهل نحن أمام معالم لوحدات عيادية كاملة، أم نحن أمام معالم لتناذرات تمييزية. فاضطرابات القلق عادة ما تكون مصاحبة لبعضها، خاصة اضطراب القلق العام الذي نجده مصاحب لمعظم اضطرابات القلق وحتى الاضطرابات النفسية الأخرى. ولهذا يتساءل بعض العياديين هل فعلا يمكن تصنيف اضطراب القلق العام كوحدة عيادية مستقلة؟ ، أم انه ما هو الا تظاهرات مركزية لاضطرابات النفسية الأخرى؟ .

وهذا ما تذهب إليه بعض المعطيات الحديثة، فاضطراب القلق العام يحتل المرتبة الأولى من بين الاضطرابات التي يتم الكشف عنها أثناء الفحوصات الطبية.[21]، ورغم هاته الأهمية فان الدراسات أكدت انه الاضطراب الأقل تناولا بالمقارنة مع اضطرابات القلق الأخرى[22]، كما أن تأخر ظهوره كوحدة عيادية مستقلة إلى غاية الإصدار الرابع لـــDSM يعكس جيدا هذه الإشكالية.

خلاصـــــة

بناءا على ما تم طرحه يبدو أن القلق العام اضطراب يعده الكثير من الباحثين جسرا ومعبرا لباقي الاضطرابات النفسية والعقلية، فتواجد أعراض القلق مرتبطة بمعظم الاضطرابات الأخرى، ليست فقط النفسية والعقلية بل حتى الأمراض الجسدية يعطي له أهمية جوهرية، فالأمر لا يقتصر فقط على وحدة إكلينيكية معزولة وقائمة بحد ذاتها، بل نحن أمام وحدة اكلينكية لم يتوضح بعد المسافة بينها وبين باقي الاضطرابات النفسية، خاصة اضطرابات القلق الأخرى، كما أن اتيولوجية الاضطراب لازالت تحتاج إلى دراسات عديدة ولا يمكن الوصول إلى أسباب المرض من دون المرور على

ضبط مصطلح ومفهومه، لذا وجب علينا تسليط الضوء أكثر على هذا الموضوع بهدف إيجاد حلول لهذه الإشكاليات التي تدور حول اضطراب نفسي وصف بأنه مرض العصر و نتاج للتغيرات المعاصرة خصوصا فيما يتعلق بأسبابه فكلما كانت المقاربات التفسيرية دقيقة وواضحة اتضحت المعالم التصنيفية وبذلك تزيد إمكانية وضع نماذج علاجية فعالة، فأمام هذه الإشكاليات المطروحة يبقى على الباحثين النفسانيين والسيكاتريين العمل على إيجاد مخرج و مواجهة هذه الإشكاليات.

الـــهوامش:

1- الساعاتي، بهيجة، العلاقة بين الضغوط الوالدية كما تدركها الأمهات العاملات و غير العاملات وسمتي القلق و الاكتئاب عند الأطفال، رسالة ماجستير في علم النفس، جامعة الملك سعود، 1999.

2- Servant, Dominique, Gestion du stress et de l'Anxiété : pratique en psychothérapie, Masson ,Paris,2007 , 2nd Ed ,p4 .

3-Ibid, P4.

4- Freud, Sigmund, Introduction à la psychanalyse, Editions Payot, Paris, 1921, pp159-171.

5- Gosselin, Patrick & Laberge, B, Les facteurs étiologiques du trouble d'Anxiété généralisée : état actuel des connaissances sur les facteurs psychosociaux, L'Encéphale, cahier1, 2003, p355.

6- Ibid, p355.

7- Ibid , p357.

8- المحارب، ناصر، المرشد في العلاج الإستعرافي السلوكي، دار الزهراء، الرياض، 2000، ص35.

9- Servant Dominique, Op.cit, p 17.

10- عبد الخالق، أحمد، و آخرون، القلق لدى الكويتيين بعد العدوان العراقي، مكتب الإنماء الاجتماعي، إدارة البحوث والدراسات، الكويت، 1995، ص ص17-18.

11- المصري، نيفين، قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح الأكاديمي لدى عينة من طلبة جامعة الأزهر بغزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، 2011، ص 12.

12- محدب، رزيقة، الصراع النفسي الاجتماعي للمراهق المتمدرس وعلاقته بظهور القلق، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2011، ص20.

13- المرجع السابق، ص58.

14- تونسي، عديلة، القلق والاكتئاب لدى عينة من المطلقات وغير المطلقات في مدينة مكة المكرمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2002، ص30.

15- Clarck, David & Beck, Aaron, The Anxiety and worry workbook: The cognitive behavior solution, Guilford press, New York, 2012, p15.

16- Wells, Adrian, Metacognitive Therapy for Anxiety and Depression, Guilford press, New York, 2009, p89.

17- Savelli, André, L'Anxiété et ses avatars : Ou de Freud à Freud Académie des sciences et lettres, Montpellier, 2006, p4.

18- Borgeat, François et Zullino, Daniele, Quelques questions fréquentes ou non résolues concernant l'anxiété et les troubles anxieux, Santé mentale au Québec, vol 29, n°1,2004, p10.

19- الوايلي، عبد الله، فاعلية العلاج النفسي الجامعي في خفض درجة القلق لدى مدمني المخدرات، رسالة ماجستير تخصص الصحة النفسية، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، 2003، ص210.

20- Gosselin, Patrick& Laberge, B, Op.cit, p352.

21- Borgeat, François et Zullino, Daniele, Op.cit, p11.

22- Gosselin, Patrick& Laberge, B, Op.cit, p352.

التفاعل الاجتماعي الصفي و انعكاسه على طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي من زاوية نفسية اجتماعية

الدكتـــور: أحمد يخلـــف
معهد علوم و تقنيات النشاطات البدنية و الرياضية
جامعة زيان عاشور – الجلفـــة

ملخَص:

يتناول هذا الموضوع مدى انعكاس **التفاعل الاجتماعي** الصفي كمتغير لتغيير طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي؛ ومعنى ذلك أنّ **فِعْلَ التدريس** يتأثر بمعطيات التفاعل الاجتماعي حيث يتميز بمستويات ثلاثة: **الأول** عالٍ و**الثاني** متوسط و**الثالث** منخفض؛ مما يستلزم تغيير طرائق التدريس بما ينسجم مع الأوضاع الاجتماعية والنفسية المختلفة.

غير أن معظم المدرسين لا يعيرونه كبير اهتمام على الرغم من دوره الفعال في إنجاح العملية التعليمية. بما تحققه من تواصل بين أطراف الفعل التربوي إذ يتجلّى بصور مختلفة من نحو التعاون، والصراع، والمنافسة أو المهادنة. من أجل ذلك كان هذا العمل بحثا في الظروف المصاحبة للنشاط الرياضي.

الكلمات المفتاحية: التفاعل الاجتماعي، النشاط الرياضي، فعل التدريس، التعليم، التعلّم.

01. تقديـــم وإشـــكاليـــة:

أضحى تدريس التربية البدنية أو النشاط البدني التربوي أمرا مشـــروعا من خلال مراسيم ومواد تشريعية تنظيمية، فلا يختلف اثنان حول موازاتـــه بالمواد التعليمية الأخرى، بل يتميز بطرقه و أساليبه و محتوياته، كما يقـــوم على خبرات تعليمية و أهداف تربوية، وهو ميدان شاســـع يتطلـــب القـــدرة والاتزان و ثقافة واسعة، فمدرس النشاط الرياضي التربوي أكثـــر احتكاكـــا بالتلاميذ وأكثر اتصالا بهم من غيره من المدرسين، فبالإضافة إلـــى تقـــديم الدرس يتبادل معهم عن آرائهم و اهتماماتهم و كذا المشـــاكل التـــي تعيـــق دراستهم...وبهذا يستطيع اكتساب ثقتهم و مودتهم و صراحتهم. و على هـــذا الأساس نجد أن التفاعل الاجتماعي الصفي يجد مكانا ايجابيا وسط هذا الجو التربوي الديمقراطي وعلى عكس هذا قد لا يجـــد لـــه مكانـــا فـــي وســـط أوتوقراطي أو فوضوي غير منسجم مما يحتم ظهور مستويات لهذا التفاعل، قد يكون عال أو متوسط أو منخفض وذلك حسب شبكة ملاحظـــة لورايـــت ستون والتي عدلها محمد حمدان و بالتالي يمكن اعتباره التفتعل الاجتمـــاعي الصفي عامل مهم يؤدي إلى التغيير في سلوك المدرس في تدريسه إما فـــي مدخلاته أو عملياته والمتمثلة في الاتجاهات، المحتويات، الطرق و الوسائل التربوية. و على هذا تتجلى إشكالية الدراسة في مـــدى انعكـــاس ظـــاهرة التفاعل الاجتماعي الصفي على طرق تدريس النشاط الرياضـــي التربـــوي الفردي. أي بإمكانها أن تكون دافعا في تغيير أو تفضيل طريقة عن أخرى.

02. الفـــرضيـــات:

1.02. الفرضيـــة العامـــة:

لظاهرة التفاعل الاجتماعي الصفي انعكاسا على طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي.

2.02. الفرضيـــات الجزئيـــة:

- يتميز التفاعل الاجتماعي الصفي بمستويات تعكس المناخ الصفي.
- تتغاير طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي و تغير مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي و نوع النشاط الرياضي التربوي (فردي، جماعي).

03. أهداف الـــبحـــث:

نرمي من خلال هذا البحث إلى أهداف تكوينية و معرفية تهم مدرس التربية البدنية والرياضية، و الأساسية منها هي معرفة قواعد العمل من الناحية النفسية والاجتماعية داخل المجموعات سواء كانت مدرسية أو غيرها، و خصوصا إذا علمنا أن اغلب المتوجهين إلى أقسام و معاهد التربية البدنية والرياضية طموحهم العمل مع النوادي الرياضية و التي بدورها تلعب دورا هاما في الكشف عن كفاءة المربي و الرياضي.

و كذلك التوعية بأهمية الطرق العلمية التي تعمل على القياس النفسي والاجتماعي لتحسين النتائج و إبرازها من خلال القواعد العلمية في تسيير الجماعة الرياضية و المدرسية نحو الأهداف المسطرة، و لأن التفاعل هو المعطية الأساسية لمعرفة ما يطمح إليه الإفراد، و تفادي المشاكل الشخصية بين الأعضاء لكي لا تكون عائقا أمام إدارة المدرب أو المدرس والتي نلمسها

في الشجار و الاعتداء... و بهذا تتجلى العلاقة الفعلية بين التربية البدنية والرياضية وعلم النفس الاجتماعي.

و على هدا توجب على المدرسين والمدربين أن يعوا علاقات واهتمامات المتعلمين و اتجاهاتهم نحو النشاط المقترح أولا و شخصه ثانيا.

04. الدراســـات السابقـــة:

لقد تعددت مواضيع علم النفس الاجتماعي، فتعددت و اختلفت الدراسات وميادين تجاربها، و من بين تلك المواضيع والدراسات والعلاقات الإنسانية والاتصال في الجماعات المختلفة بصفة عامة، والعلاقات الشخصية والبيداغوجية في الميدان التربوي بصفة خاصة، وأثناء النشاط البدني التربوي من زاوية دقيقة كالتي قام بها عدد من الباحثين وعلى لرأسهم توماس رايموند T-RAYMOUND في كتابه المعنون بالعلاقة في النشاطات البدنية و الرياضية، الذي يبين فيه دور العلاقات الشخصية و الاجتماعية في تحسين النتائج و تدقيق الملاحظات حول مظاهر الجماعة و التحكم فيها عن طريق السوسيومترية و ديناميكية الجماعة التي تعتبر أهم الطرق العلمية التي تساهم في تحسين الظروف لنتائج أفضل وسميت هذه المهمة الموكلة إلى المربي الرياضي بالمهمة التكنوبيداغوجية والتي تستدعي إتقان الملاحظة والتجريب.

و وجود دراسة أخرى معنونة ب" LE CORPS, LES COMMUNICATIONS HUMAINES" لمؤلفيه **P-FAYER & CH-ROUCIN** اللذان بينا فيه أهمية الاتصال في الجماعة و التفاعل بين أفرادها، قصد تحسين النتائج و المردود، و كشفا النظريات الأساسية المعتمدة في التربية البدنية و الرياضية التي يركز عليها علم النفس الاجتماعي في دراساته التجريبية أثناء النشاط البدني والرياضي، و ما توليه نظرية الأنظمة من اهتمام و تصور لحل المشاكل

الظاهرة والمستترة في الجماعة أثناء حركتيها، كما أعطيا أهمية كبيرة للسوسيومترية التي جاء بها الباحث **S-MORENO** و الدور الأساسي الذي تلعبه في معالجة مشاكل الجماعات، وأكدا على أهمية التفاعل في توطيد العلاقات و تحسين عمليات الاتصال وتفادي المشاكل الشخصية الاجتماعية في الجماعة.

و أوجزا هذه الدراسة في عدد من أعداد مجلة التربية البدنية والرياضية الصادرة في أوت 1995 في مقال معنون بتطبيق ديناميكية الجماعة للبالغين.

و لقد بدأت المحاولات الأولى لقياس التفاعل الاجتماعي الصفي سنة 1939 على يد **أندرسون** حيث قسم سلوك المعلم اللفظي إلى سلوك متسلط وغير متسلط، فإذا كان السلوك غير متسلط اتصف سلوك التلاميذ بالمبادرة والتلقائية، و إذا كان العكس اتصف سلوك التلاميذ بالسلبية و الإحجام.

و بعد أربع سنوات أجرى **وايت و ليبت** دراسة ركزت على سلوك القائد (المدرس) عند تفاعله مع التلاميذ، حيث قسم سلوك المدرسين إلى ديمقراطي و آخر تسلطي فأيدت نتائج الدراسة ما توصل إليه **أندرسون** من قبل.

و قد شكلت هاتان الدراستان نقطة تحول في التفاعل و كانت بداية تحد حقيقي و أفضتا إلى جملة من البحوث و الدراسات التي أفرزت أنظمة لملاحظة التفاعل الصفي، يمكن التطرق لأهم الأنظمة و تفصيل أشهرها ودراسة جوانبها و تبيين خصوصياتها التطبيقية في العملية التعليمية والغرض منها.

1. نظام رايستون **(wrighistons)** و يهدف إلى دراسة الممارسات المستخدمة في سلوك المدرس.

2. نظام ويثهول **(withall)** و يهدف إلى دراسة سلوك المدرس في المناخ الاجتماعي الانفعالي.
3. نظام بالس **(balles)** و يهدف إلى دراسة سلوك المدرس أثناء تدريسه المواد الاجتماعية.
4. نظام هوكس **(haghes)** و يهدف إلى دراسة وظائف المدرس – أثناء التدريس – التي لها اثر على نمط سلوك التلاميذ و تسهل عملية نموهم العلمي.
5. نظام جالواي **(Galloway)** و يهدف إلى دراسة الجانب غير اللفظي من سلوك التدريس و مدى تعقيده للجانب اللفظي من سلوك التدريس.
6. نظام وايت و بروكتور **(weight & proctor)** و يهدف إلى المقارنة بين العمليات السيكولوجية و الاتجاهات في سلوك التدريس أثناء التدريس كل من الرياضيات التقليدية والرياضيات الحديثة، وبهدف التعرف على أطراف التفاعل الصفي.

و لقد سبقت دراسات أخرى حول تأثيرات سلوك التلاميذ على سلوك معلميهم بالرغم من معرفة ان للمعلمين تأثيرا على سلوك التلاميذ، فان هناك أثرا هاما يؤثر به التلاميذ على سلوك معلميهم، فيرى "**ديمبو**" **1981** أن كثيرا من المعلمين قد تركوا مهنة التدريس و ذلك بتأثير من سلوك تلاميذهم.

و في دراسة أجراها " **كلين** " **KLEIN 1971** على طلبة كلية متبرعين للاشتراك في التجربة، حيث طلب منهم أن يستجيبوا للأسئلة التي يلقيها احد الأساتذة على أن تكون استجابتهم حينا ايجابية ممثلة بالابتسامة وبالنظر إلى المحاضر بانتباه، و حينا سلبية متمثلة بالتهجم و النظر من النافذة، وحينا آخر بسلوك لا مبالي وذلك في فترات متباينة أثناء المحاضرة.

و قد سجل **كلين** سلوك الحاضر الظاهر و الضمني أثناء استجابته لسلوك الطلبة المخططة من قبل المربي، فتوصل إلى أن سلوك الطلبة قد تحكم في سلوك المحاضر، و بهذا قد عكس سلوك المحاضر سلوك الطلبة المستمعين حيث كان سلوكه ايجابيا عندما كان سلوكهم ايجابيا، كما كان سلبيا عندما كان كذلك، و بالتالي يمكن القول أن استجابات الطلبة في جزء منها سلوك معلميهم و تلعب دور التغذية الراجعة في تأثيرها على سلوكهم. **(يوسف القطامي، 2002 ص 288)**

و من الدراسات المشابهة وجدنا بحث بعنوان **اثر استخدام أساليب التدريس الفردي و التبادلي و التعاوني و الأمري في تعليم بعض المهارات الأساسية في كرة القدم لـــوليد وعد الله الشريفي و قصي حازم الزبيدي** حيث كان البحث من خلالها عن القيمة التربوية للأسلوب الفردي (التفريد) وفاعليته فاستنتجا ما يلـــي:

1. حقق الأسلوب التبادلي تطورا في جميع المهارات الأساسية في كرة القدم.
2. حقق الأسلوب التعاوني تطورا في المهارات الأساسية في كرة القدم ما عدا دقة التهديف.
3. لم يحقق الأسلوب الامري تطورا في بعض المهارات ما عدا الدحرجة والمراقبة.
4. تفوق الأسلوب الفردي عند مقارنته بالأساليب الأخرى في تعلم بعض المهارات في كرة القدم.

و من هذه الزاوية نرى بان لكل أسلوب فاعليته في التدريس و قيمته التربوية و اللتان تميزان كل أسلوب عن آخر بتواجده المخطط أو الصدفي بمعنى لكل مقام مقال أي لكل موقف تعليمي أو هدف تدريسي محتوى

و طريقة و أسلوب، و الإجابة في رسالتنا لا وجود لأسلوب أفضل من الآخر، فقد يتغير الأسلوب وفقا لتأثيرات أو متغيرات قد تتعلق بالهدف والمحتوى أو بالمناخ النفسي الاجتماعي أو شخصية المدرس القيادية.

05. تحديـــد مصطلحـــات البحث:

يعتمد بحثنا على عدد من المتغيرات و المصطلحات، فالمتغير المستقل يتمثل في التفاعل الاجتماعي الصفي بما يكتنفه من عمليات و مظاهر اتصال تحدث داخل الصف، أما المتغير التابع فيتمثل في طرق التدريس فحسب الإشكال المطروح في مدى انعكاس الأول على الثاني من خلال التغير.

1- التربية البدنية و الرياضية: هي جزء متكامل من التربية العامة، وميدان تجريبي هدفه تكوين المواطن اللائق من الناحية البدنية والعقلية والانفعالية، و الاجتماعية، و ذلك عن طريق ألوان من النشاط البدني " **(صالح عبد العزيز، 1968 ص 57)**

2- التفاعل الاجتماعي الصفي: هو علاقة متبادلة بين فردين أو أكثر، يتوقف سلوك أحدهما على سلوك الأخر إذا كانا اثنين و يتوقف سلوك كل منهما على سلوك الآخرين، إذا كانوا أكثر من فردين، و أضيفت كلمة "الصفي" لحدوث التفاعل وعملياته في الصف، بين التلاميذ أو بينهم ومدرسهم الذي يمثل دور القائد و بصفة أخرى هو المناخ الاجتماعي الصفي.**(عبد العلي الجسماني، 1994 ص 134)**

والتفاعل الاجتماعي من وجهة نفسية اجتماعية يتضمن نوعين من التوقع أو مجموعة من التوقعات من جانب كل المشتركين فيه، فالطفل حين يبكي يتوقع أن يستجيب أحد مثل أمه لبكائه ، و كذلك يتضمن إدراك الدور الاجتماعي و سلوك الفرد في ضوء المعايير الاجتماعية التي تحدده و كذلك

أدوار الآخرين، و كذلك يتضمن التأثير المتبادل لسلوك الأفراد و الجماعات الذي يتم عادة عن طريق الاتصال الذي يتضمن بدوره العديد من الرموز من تفاعل اجتماعي يسير و طول الجماعة إلى تحقيق أهدافها، و حين نقابل عدد من الأفراد وجها لوجه يبدأ الاتصال و التفاعل بينهم و يتم هذا عن طريق اللغة والرموز و التلميح والإشارات. **(محي الدين مختار، 1982 ص 239).**

و بهذا يكون تعريف التفاعل الاجتماعي الكامل بأنه العملية التي يرتبط بها أعضاء الجماعة بعضهم ببعض عقليا وانفعاليا و في الحاجات والرغبات، الوسائل والغايات والمعارف و ما شابه ذلك، و تعريفه إجرائيا هو ما يحدث عندما يتصل فردان أو أكثر، و يحدث نتيجة ذلك تعديل السلوك.

3- القيادة: يعرفها **بافيلاس BAVILAS** بأنها عملية سلوكية وتفاعل اجتماعي فيه نشاط موجه و مؤثر و ليست فقط مجرد مركز قوة و نفوذ، وفي معناها هي القدرة على الممارسة نوعا ما الضغط للتأثير على سلوك الجماعة، و يرى غيبسون **GIBSSON** بأنها عملية التأثير على جماعة في موقف معين، و وقت معين و في ظروف معينة، لإثارة الأفراد و دفعهم للسعي برغبة نحو تحقيق أهداف المنظمة، مانحة إياهم خبرة المساعدة، على تحقيق أهداف مشتركة، و الرضا عن نوع القيادة الممارسة. **(حسين حريم، 2004 ص 194).**

4- ديناميكية الجماعة: يعرفها **عبد العزيز سلامة** على أنها ذلك الفرع من العلوم الإنسانية الذي يهتم بالدراسة العلمية المنظمة للجماعة في نموها وتكوينها، نشاطها و إنتاجها، و التفاعلات القائمة بين أفرادها بغية الوصول إلى القوانين العلمية لتنظيم هذه الجوانب تطبيقيا و نظريا لتحسين مستوى الجماعة و رفاهيتها.

و يعرفها **حامد عبد السلام زهران** بأن الجماعة كل أكثر منها تجمع، وهي ليست مجرد مجموعة أفراد، والسلوك الاجتماعي لهؤلاء أثناء التفاعل الاجتماعي يختلف عن سلوكهم إذا كانوا فرادى، و تكمن وراء هذا دينامكية الجماعة، و تتميز الجماعة أنها "كل دينامي" و يعني هذا التفاعل الذي يؤدي التغيير في حالة جزء من أجزاء الجماعة يؤدي إلى تغير في أي جزء آخر، فمثلا تتغير علاقات القوة في الأسرة إذا مات أحدها، أو انضم عضو إليها، فدينامكية الجماعة هي التفاعل مضاف إليه التغير، و من الواضح لا فردين و لا جماعتين يكونان نفس الشيء في حدوث هذا التفاعل، و إنما يتغيران إلى حالة أكثر أو أقل ألفة مثلا كنتيجة للتفاعل، و لولاه لما حدث التغيير. **(حامد عبد السلام زهران، 1983 ص 52).**

5- طريقة التدريس: هي الإجراءات التي يتبعها المدرس لمساعدة تلاميذه على تحقيق الأهداف، و قد تكون في شكل مناقشات، أو توجيه أسئلة، أو تخطيط لمشروع أو إثارة لمشكلات تحتاج لحلول، أو محاولة اكتشاف، والطريقة هي حلقة وصل بين التلاميذ و المنهج، و يتوقف عليها نجاح أو تجسيد المنهج إلى حين الانجاز، كما تتضمن الطريقة كيفية إعداد المواقف التعليمية المناسبة وجعلها غنية بالمعلومات والمهارات والاتجاهات المرغوب فيها. **(كمال عبد الحميد زيتون، 2005 ص 89)**

6- التغييـــر: في معناه العام هو التبديل أو التحول، في الطرق أو أساليب العمل، و قد يكون هذا التغيير اضطراريا أو عن رغبة في التحسين أو شعور يأخذ نحو التغيير للتوضيح أو التطوير أو التعديل.

فالتغيير من زاوية نفسية اجتماعية هو إحساس يميل به الشخص نحو الأحسن أو الأفضل، وللتغيير أصول أو مسببات تدعو إليه، كالجانب التشريعي عن طريق تعليمات و نصوص تدخل في إطار تحسين المناهج،

والجانب العلمي المتمثل في الدراسات و النظريات الحديثة التي تعمل على تطوير المناهج، و الجانب الثالث هو الواقع الاجتماعي، الثقافي و الإداري السائد و كذلك العناصر غير المتوقعة، إضافة إلى الجانب الشخصي للمدرس في اعتقاده، ثقافته، و تصوراته. **(فؤاد حيدر، 1994 ص 64)**

06. إجراءات الدراسة:

1.06. منهج الدراسة: استخدم الباحث المنهج الوصفي لملائمته موضوع الدراسة و فروضه.

2.06. عينة و مجال الدراسة: تمت الدراسة الميدانية في بعض ثانويات بسكرة، الجلفة، العاصمة، المدية فتمثلت العينة في 450 تلميذ موزعين على 30 مدرس و قدرت فترة إجراء التطبيق بثلاثة مواسم دراسية و هذا راجع إلى طبيعة أدوات الدراسة (ملاحظة التفاعل، ملاحظة طرق التدريس، الاختبار السوسيومتري)

3.06. وصف أدوات الملاحظـــة:

_. أداة ملاحظة التفاعل الاجتماعي الصفي:

بعد تسجيل الملاحظات نقوم بمقارنتها مع النتائج النظرية لشبكة الملاحظة للتفاعل الاجتماعي الصفي الموضوعة من طرف wright stone ومطابقتها معها لمعرفة ما إذا كان مستوى التفاعل الاجتماعي عالي، متوسط أو منخفضا حيث يكون:

اولا: تفاعل اجتماعي عالـــي: إذا تركزت التقديرات في العناصر الفرعية للمقياس كالآتي:

- نموذج التفاعل الاجتماعي المدرس، التلاميذ: العنصر رقم 03 فما فوق.
- درجة التفاعل الاجتماعي: العنصر رقم 03 فما فوق.

- نوعية التفاعل الاجتماعي: العنصر رقم 04 فما فوق.
- الاهتمام: العنصر رقم 04 فما فوق.
- الاستمتاع: العنصر رقم 04 فما فوق.
- دور التلاميذ: العنصر رقم 03.
- انفعالات/عواطف المدرس: العنصر رقم 03 فما فوق.
- أوامر و اقتراحات المدرس: العنصر رقم 03 فما فوق.
- توتر جو الفصل: العنصر رقم 03 فما فوق.
- انفعالات/عواطف التلاميذ: العنصر رقم 03 فما فوق.

ثانيا: تفاعل اجتماعي متوسط: يكون التفاعل الاجتماعي في هذا المستوى، إذا كانت التقديرات وسطية أو مزج بين العناصر الدالة على ارتفاع درجته (العنصر رقم 03 فما فوق) و بين العناصر الدالة على انخفاضه درجته (العناصر 02.01 مثلا) أو تكون التقديرات تركزت في العناصر الأولى من الفرع الثالث، و تركزت في العناصر الأخيرة من الفرع السابع مثلان فبهذا يكون تميز التفاعل بعداء المدرس و تسامحه مع التلاميذ في آن واحد.

ثالثا: تفاعل اجتماعي منخفض: يتميز التفاعل الاجتماعي بهذا المستوى إذا تركزت معظم التقديرات أو النتائج المحصل عليها من خلال الملاحظة في العناصر الأولى، خصوصا 02.01 من كل فرع من المقياس، فهنا يتصف التفاعل الاجتماعي بمحدودية و انخفاض، فيتميز بقلة الاحتكاك والتواصل بين المدرس و تلاميذه، و التلاميذ مع بعضهم مما يكشف أسلوب المدرس المباشر.

4.06. ثبـــات شبكـــة الملاحظـــة:

إن الثبات هو وظيفة قياس الملاحظ و ليس أداة الملاحظة، بمعنى أن أداة الملاحظة قد تجعل الباحث أن يلاحظ بعض الأحداث بثبات دون أدوات ملاحظة أخرى و هناك أكثر من طريقة لحساب ثبات نظام الملاحظة، وتعتبر طريقة اتفاق الملاحظين في حساب الثبات من أكثر الطرق استخداما، ويتطلب استخدام هذه الطريقة أكثر من ملاحظ في نفس الوقت كما ذكرنا سابقا، فاعتمدنا على المعادلة التي وضعها **كوبر COOPER 1974** حيث:

$$\text{نسبة الاتفاق} = \frac{\text{عدد مرات الاتفاق} \times 100}{\text{عدد مرات الاتفاق + عدد مرات عدم الاتفاق}}$$

و بإتباع نفس الخطوات، تحصلنا على نتيجة معبرة جدا الشيء الذي يؤكد على أن الملاحظة وافية فباستعمال معامل الاستقرار أو الوفاء المذكور سلفا، استعملت لنفس الغرض من طرف عدة باحثين.

حيث اتبعنا نفس الخطوات فقام الباحث بملاحظة المدرس رفقة زميل يقوم بنفس المهمة أثناء تفاعله مع تلاميذه و النشاط المبرمج، عن طريق نموذج ملاحظة التفاعل الاجتماعي الصفي و تسجيل الدوام، فتحصلنا على النتائـــج التاليـــة:

$$\text{نسبة الاتفاق} = \frac{30}{3+30} \times 100 = 86,95$$

5.06. المعالجـــة الإحصائيـــة:

اعتمد الباحث في معالجته الإحصائية على برنامج spss 0.13.

07. عرض و تحليل نتائج الدراسة:

الفرضية الجزئية الأولـــى: يتميز التفاعل الاجتماعي الصفي بمستويات تعكس المناخ الصفي.

1.07. عرض و تحليل نتائج ملاحظة التفاعل تفاعل الاجتماعي الصفي:

بعد الحصول على النتائج الخاصة بملاحظة التفاعل الاجتماعي الصفي قمنا بتحليلها، فحصلنا على استخراج ثلاث مستويات للتفاعل، عالي، متوسط، منخفض، و هذا حسب مفتاح شبكة الملاحظة المستعملة و قد سبق شرحها.

فمن خلال النتائج وبعد فرزها كانت نتائج تكرارات السلوكات الدالة على مستويات التفاعل الاجتماعي كالتالي:

1.1.7 مستـــوى التفاعل الاجتماعي العالي:

لقد ظهر ارتفاع أو علو درجة التفاعل الاجتماعي الصفي من خلال ارتفاع عدد التكرارات للسلوكات التي تركزت في الفروع الأخيرة (4-5) لكل عنصر في مقياس الملاحظة التفاعل الاجتماعي الصفي و كانت النتائج على النحو التالي:

العناصـــر	ن	الدرجـــات	المتوسط	الانحـــراف المعيـــاري	النسبـــة المئويـــة
تفاعل التلاميذ – المعلم	30	572	40,6	34,99	33,29
درجة التفاعل الاجتماعي	30	818	40,6	23,26	49,27
نوعية التفاعل الاجتماعي	30	778	38,5	33,62	39,37
الاهتمـــام	30	688	34,1	25,33	44,01
الاستمتـــاع	30	888	40,45	34,92	47,71

دور التلاميذ	30	1188	59,8	31,47	44,89
انفعالات قائد الفصل	30	762	38,1	21,85	39,54
أوامر واقتراحات المعلم	30	788	39,4	25,07	47,96
توتر جو الفصل	30	938	46,9	35,71	55,01
انفعـــالات التلاميذ	30	638	31,9	29,02	30,92

الجدول رقم 01 يوضح نتائج مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي العالي

من خلال النتائج الموضحة في الجدول رقم 01 يظهر ارتفاع مستوى التفاعل عالي أثناء درس النشاط التربوي البدني، وقد استخرجنا هذه النتائج بعد ملاحظتنا طول مدة حصص النشاط و فرز تكرارات السلوكات التفاعلية حسب كل عنصر وفروعه، حيث بلغت نسبة درجة التفاعل الاجتماعي 49.27 %. ونسبة الاهتمام بـــ 44.01، ودرجة الاستمتاع كانت عالية حيث بلغت71,47 وتبن درجة التفاضل الذي كانت تظهر التفاعل الاجتماعي والاستمتاع و الاهتمام العالية من خلال دور التلاميذ الواضح و الظاهر جليا أثناء النشاط بنسبة 44,89، كما يتجلى ذلك في نتيجة توتر الفصل التي كانت تظهر استرخائه و شعور التلاميذ بنوع من الحرية و الألفة مع مدرسهم, وعدم شعورهم بإحباط و ملل خلال عرض الدرس بنسبة 55,01، و هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أسلوب المعلمين غير المباشرين وشخصيتهم المتسامحة و الودودة . فيظهر ذلك من انفعالات و عواطف المعلمين في هذه الفترات المسرة والوقورة والدافئة والمؤيدة التي كانت بنسبة 39,54 وأوامر عير القسرية والاختيارية حيث تكون هناك فرص للتلاميذ كي يعبروا عن أرائهم في مضمون الدرس، أو نوعية النشاط الممارس كما يسمح لهم اختيار النشاط بأنفسهم فيكون دور المعلم موجها ومربيا. فكانت نسبة الأوامر غير

إجبارية وعير المكلفة للتلاميذ بـــ96,47 وهذا ما ينتج عنه رضا التلاميذ إبداء رغبة في العمل أكثر ويزيد احتكاكهم بمعلمهم فكانت نسبة انفعالات التلاميذ المطمئنة بـــ30.92 وكذا تفاعل المعلم والتلاميذ المتفتح والمتبادل المستمر حيث بلغ 33.29، والتفاعل الشخصي الحميم الذي بلغت نسبته 39,37. ونفسر هذا التفاعل الصفي العالي بتعاون وتعامل المدرس التربوي المستمر و الألفة بين المدرس و التلاميذ وكذا إلى شخصية المدرس المتفهمة لاهتمامات التلاميذ وإدراكه لخصائصهم النفسية والاجتماعية ومعرفته الشاملة لخصائص مهنته و المبادئ التي تكون عليه.

2.1.7 مستوى التفاعل الاجتماعـــي الصفي المتوسط:

من خلال فرز النتائج المحصل عليها بعد ملاحظتنا للمدرسين أثناء تدريسهم، استخرجنا مستوى متوسط للتفاعل الاجتماعي الصفي، حيث تتوسط نتائجه الفروع الأولى والأخيرة من كل عنصر مثلا: الفرع 02,03 من عنصر 08 أو تكرار نفس المدرس للفرع 01 من العنصر 02 والفرع 04 من العنصر 05 مثلا:

أن يكون أسلوب التدريـــس للمدرس مقيـــدا وجاءت النتائج علـــى النحو التالي:

العناصـــر	ن	الدرجـــات	المتوسط	الانحـــراف المعيـــاري	النسبـــة المئويـــة
تفاعل المعلم – التلاميذ	30	474	23,7	27,55	27,59
درجة التفاعل الاجتماعي	30	447	22,35	24,57	26,92
نوعية التفاعل الاجتماعي	30	454	32,7	23,64	33,09
الاهتمـــام	30	458	22,85	28,12	29,30

الاستمتـــاع	30	435	27,16	23,02	28,74
دور التلاميـــذ	30	271	15,05	30,94	10,24
انفعالات قائد الفصل	30	824	41,2	21,15	42,76
أوامر واقتراحات المعلم	30	418	20,9	27,81	25,44
توتر جو الفصـــل	30	285	14,25	17,36	16,71
انفعالات التلاميـــذ	30	758	35,2	26,06	36,74

الجدول رقم 02 يوضح نتائج مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي المتوسط.

يوضح الجدول رقم 02 نتائج السلوكات المتكررة خلال التفاعل الاجتماعي الصفي أثناء تدريس النشاط التربوي البدني، حيث بلغت درجة التفاعل الاجتماعي نسبة 26.92% وهي نسبة تدل على اعتدال التفاعل، أي لا هو بعال ولا منخفض إلى درجة الانعدام كما يظهر أن هناك تفاعل متبادل. وان كان عاديا أو محدود وكان خلاله التفاعل الاجتماعي غير منتظم بنسبة 22,35 حيث يكون في فترات قليلة خلال الدرس، حيث يكون التحكم كاملا بيد المعلم ويعطي الفرص للتلاميذ في تعبيرهم بشكل محدود، كما يكون في حالات توقف النشط أو استفسارات أو راحة قصيرة وتميز التفاعل الاجتماعي بتوسطه كذالك في نوعيته فكان المدرس خلاله متعاونا وديا في تعامله مع تلاميذه أحيانا وكان شبه رسمي أحيانا أخرى، وهذا ما اثر على درجة استماع التلاميذ فكانت نسبة الاستماع 28,74 والاهتمام 29,30 وهي نتائج متوسطة إذا قورنت بنتائجها في مستوى التفاعل الاجتماعي العالي، فأثر ذلك سلبا على دور التلاميذ خلال النشاط التربوي البدني فظهر محدودا من خلال نسبته الضئيلة التي بلغت 10,24 إذا ما قورنت بنتيجتها في

مستوى التفاعل الاجتماعي العالي كذلك ولقد انفعالات وعواطف قائد الفصل في هذا المستوى اغلبها متسامحة بنسبة 42,76 وانعكس هذا على توتر جو الفصل خلال التدريس الذي كان مسترخ نسبيا بنسبة 16,71 وراجع هذا كذلك إلى الأوامر واقتراحات المعلم على تلاميذه في هذا المستوى كانت قسرية نسبيا فلمس هذا نوع من الهيبة و المخافة لدى التلاميذ، فكانت الأوامر القسرية بنسبة 25,44 فاثر هذا على انفعالات التلاميذ وعواطفهم في توددهم وعفويتهم ومحاولتهم في الجانب المرح في مدرسهم، واستثارة المرح والانبساطية ليهم بنسبة 36,74.

ففي هذا المستوى من التفاعل الاجتماعي يكون المدرس ذا أسلوب مقيد حيث يكون غير مباشرا في تدريسه ولا غير مباشر فهو يمزج كلا الأسلوبين ونستطيع أن نصف شخصية المدرس بالمتخوفة من مشاعر تلاميذه فهو يخشى أن يكون مباشرا فيكرهه تلاميذه ويكنون له العداء ويخاف أن يكون غير مباشرا فلا يستطيع السيطرة على تلاميذه والتحكم في درسه حيث تنقلب تلك الحرية إلى فوضى.

3.1.7. مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي المنخفض:

يظهر مستوى التفاعل المنخفض من خلال محدوديته وانعدامه أحيانا أخرى حيث يظهر ذلك من خلال النتائج المحصلة عليها من الملاحظة والتي تركزت اغلبها في الفروع الأولى من كل عنصر من عناصر مقياس الملاحظة للتفاعل الاجتماعي الصفي فكانت النتائج على النحو التالي:

العناصـــر	ن	الدرجـــات	المتوسط	الانحـــراف المعيـــاري	النسبـــة المئويـــة
تفاعل المعلم – التلاميذ	30	672	28.1	31,68	39,11
درجة التفاعل الاجتماعي	30	395	19,75	29,64	23,79
نوعية التفاعل الاجتماعي	30	544	27,2	23,96	27,53
الاهتمـــام	30	417	20,87	29,01	26,67
الاستمتـــاع	30	438	21,9	27,32	23,53
دور التلاميذ	30	1188	59,8	31,47	44,89
انفعـــالات قائد الفصل	30	341	17,45	24,79	17,69
أوامر و اقتراحات المعلم	30	437	22,35	33,10	26,59
توتر جو الفصل	30	482	24,1	34,67	28,26
انفعالات التلاميذ	30	667	28,75	14,86	32,33

الجدول رقم 03 يوضح نتائج مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي المنخفض.

من خلال الجدول رقم 03 يتبين أسلوب المدرسين المباشر أثناء تدريسهم لنشاط الرياضي التربوي وهي النقطة التي تجعلنا نربط بها انخفاض مستوي التفاعل الاجتماعي و محدوديته وحتى انعدامه في بعض الأحيان، حتى يكون المدرس يلقي شروحا وعروض فيما يخص تقنية معينة، ولا يعطي التلاميذ فرص المشاركة، ولا يعطي درسه صفة المناقشة والأخذ والردفي الدرس بينه وبين تلاميذه، ففي هذا المستوى تركزت النتائج جلها في الفروع الأولى من كل عنصر التي توحي بتحكم المدرس وحده في درسه

مثله مثل المدرس في الطريقة التقليدية للتدريس، فقد بلغت نسبة درجة التفاعل الاجتماعي 23,79 % وهي نسبة ضئيلة إذا قورنت بمثيلتها في المستوى العالي والمتوسط، كما بلغت نسبة نوعية التفاعل التنافسي والعدواني 27,53 وتدل هذه النسبة على سلطة المدرسين واختيارهم للأسلوب المباشر والأوتوقراطي في تدريسهم طول حصة النشاط التربوي البدني، كما بلغت نسبتي الاهتمام والاستمتاع في هذا المستوى 26,67 وهي نسبة ضئيلة إذ تبين الاهتمام النادر لدى التلاميذ، ويلحظ من خلال تعبيرهم وملامحهم عدم الاهتمام ومحاولات التهرب من أوامر واقتراحات المدرسين وإن كانت إلزامية فيطبقونها عن كراهية وهذا ما تبينه نسبة الاستمتاع بنسبة 23,53 وهي نسبة قليلة إذا ما قورنت بمثيلتها في المستويين السابقين فمحدودية أو انعدام الاستمتاع يعود إلى الطريقة والأسلوب البيداغوجي المنتهجان من طرف المدرسين في تدريسهم وتعليمهم للتقنيات كطريقة للمحاضرة، وطريقة التفرد مثلا اللتان تتميزان بالتفاعل المنخفض.

وبطبيعة الحال في هذا المستوى الذي يكون فيه المدرس مباشرا يكون دور التلاميذ واضحا بنسبة 44,89 التي بدورها تبين نوع من القسوة في تعامل المدرس مع تلاميذه التي تتضح من خلال تفاعلات وعواطف قائد الفصل العدوانية والمغتاظة التي بلغت نسبة 17،69 وهي النتيجة التي لا تجدها لدى المدرس غير المباشر، والسمح في التفاعل الاجتماعي العالي. كما تبينها نتائج ونسبة وأوامر واقتراحات المعلم الإلزامية والملحة على تطبيق توجيهات المركزة على الناحية البدنية فقط بنسبة 26,59 وهذا ينعكس سلبا على توتر جو الفصل الذي يبدو من خلال النتائج الموضحة في الجدول قلق، وملامح التلاميذ المعبرة من الملل والاستياء بنسبة 28,26 وتوضح ذلك جليا انفعالات وعواطف التلاميذ المتهيبة والمتخوفة والتي بدورها تبين

انخفاض درجة التفاعل الاجتماعي لأنها عوامل تولد في التلاميذ عقدة نفسية تقلل فيه روح المبادرة، والمشاركة كما أن الخوف من سلطة المدرس تعيقه في سؤاله أو طلب شرح لفكرة ما.

وبالتالي لا يستطيع التعلم بشكل إيجابي ما دام أنه يشعر بندم على ممارسته للنشاط البدني، ونسبة التخوف كانت نوعا ما عالية 32,33 إذا ما قورنت بمثيلاتها في المستويين السابقين.

4.1.7. مناقشة نتائج التفاعل الاجتماعـــي الصفـــي:

حسب النتائج السابقة الذكر اتضح لنا التغير في مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي تارة عالي وتارة متوسط وأخرى منخفض ونرجع هذا إلى الشخصية التربوية للمدرسين من ناحية، و اتجاهاتهم البيداغوجية من ناحية أخرى فكان المدرس بشكل عام في المستوى العالي متفهما لحاجات التلاميذ ورغباتهم والمشاركة والتعبير سواء كان ذلك في النشاط الرياضي التربوي الفردي أو النشاط الرياضي التربوي الجماعي ومساهما في تطوير اتجاهاتهم النفسية و الدوافع التي تقترح وهذا وان دل على شيء فإنما يدل على أسلوبه غير المباشر و دوره الايجابي في التوجيه وتنشيط فوجه أو فصله، فلهذا كل ما كانت درجة التفاعل الايجابي عالية كانت درجة الاهتمام والاستمتاع ودور التلاميذ عالية، وينعكس ذلك على احترام و تقدير التلاميذ لمدرسهم ايجابيا فتزداد بذلك نسبة احتكاكهم به فلا يكون الاتصال بين المدرس والتلاميذ مقصورا فقط في المادة التعليمية بل يتعداه إلى مشاكلهم الشخصية وأمورهم اليومية اللاصفية كما نلمس ذلك من خلال أوامره واقتراحاته الاختيارية وغير القسرية في غالبها مما يسمح للتلاميذ في اختيار ما يرغبون فيه من نشاطات وتمارين بدنية ورياضية وقد يستمر ذلك حتى إلى تغيير طريقة

التدريس كما سنرى ذلك آجلا، وكون التفاعل الاجتماعي الصفي متوسط وهذا راجع إلى أسلوب المدرس البيداغوجي المقيد حيث يكون مباشرا في تدريسه تارة وقد يكون غير مباشر تارة أخرى. فتقلب الأسلوب نرجعه إلى تخوفه من انفعالات تلاميذه، فهنا يرى المدرس أن نوع الحرية التي يعطيها لتلاميذه في حركيتهم وديناميكيتهم مقيدة، و هذا حتى يتسنى له التحكم فرض سلطة نوعية داخل الفوج، كما أن التسلط المفرط قد لا يأتي بنتيجة فهو يتأتى بتمرد عليه أو ملاحظة تعابير العداء و الحقد الذي قد يكنه التلاميذ تجاهه. فحسب دراسة قام بها **GUY – MISSOUM** حول العلاقة الموجودة بين المدرب و المتدرب وجد فرقا كبيرا بين ما هو موجود و واقعي و ما هو غير موجود أي ما يتمناه المتدربين أن يتصف به مدربهم ويوجههم بصفة لبقة و مقنعة. فباختصار الجو الديمقراطي يتضح بان السلوكات ايجابية دائما سواء كانت في المجال التقني والمعرفي أو الجانب الإنساني والاجتماعي. ولاحظنا من خلال النتائج ظهور مستوى منخفض للتفاعل الاجتماعي الصفي، من خلال درجة التفاعل الاجتماعي المنخفضة وكذا نوعية التفاعل العدوانية، التي تدل على مباشرة المدرس في التدريس وفرض السلطة الكاملة على سير الدرس فهو الآمر الناهي، فحين يكون الاتصال من طرف واحد فقط غير متبادل فلا تكون أو لا ننتظر ظهور تغذية راجعة خلال الدرس فالنفس المسدودة لدى التلاميذ و الجو التربوي المتوتر الذي فرضه المدرس يحلق نوعا من الرفض والعداء لدى التلاميذ فيصبحون غير معنيين بهذا التعلم. فالجانب النفسي و الاجتماعي لا مكان له خلال التدريس هنا وهذا ما تبينه نتائج جو الفصل القلق و انفعالات التلاميذ المتخوفة وهي حقيقة تظهر كلما كان المدرس أكثر حرصا و انتباها فهذا التركيز وجدته حسب بعض الدراسات العلمية يولد ضغطا نفسيا **STRESS**.

إثارة لانفعالات سلبية كان يكبتها المدرس بداخله كالسب بالكلام الجارح أو ضرب الأشياء أو حتى الاعتداء الجسدي ... وهي عدوانية لا يحبذها المربون بصفة عامة و لا حتى قيم و مبادئ التربية.

فهذه هي إذن مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي و التي من خلالها كذلك أبرزنا خصائص ومميزات الجو التربوي, وصفات المدرس وأسلوبه وأسباب ظهور تلك المستويات. ومن هنا نبقى في تساؤلنا هل لهذه المستويات علاقة بطرق التدريس وما هي العلاقة التي تربط كل طريقة و أخرى خلال كل مستوى؟ وهل لكل مستوى تفاعلي طريقة أم طرق خاصة به ؟

8- عرض نتائج استعمال طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي خلال مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي العالي، المتوسط، المنخفض.

- الفرضية الجزئية الثانيـــة:

- تتغاير طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي و تغير مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي و نوع النشاط الرياضي التربوي الفردي.

النشـــاط الرياضـــي التربوي الفردي									
ط/ ت	التفاعل الاجتماعـــي العالـــي			التفاعل الاجتماعي المتوسط			التفاعل الاجتماعي المنخفض		
	ن	المتوسط	الانحراف	الخطأ	المتوسط	الانحراف	الخطأ	المتوسط	الانحراف	الخطأ
ط1	30	1.90	2.69	0.60	2.55	2.65	0.59	06	8.41	1.88
ط2	30	1.60	1.88	0.42	2.40	2.09	0.47	4.40	5.91	1.32

ط 3	30	4.40	2.95	0.66	3.45	2.42	0.54	3.20	3.04	0.68
ط 4	30	0.40	1.10	0.24	00	00	00	00	00	00
ط 5	30	2.05	1.85	0.41	0.70	1.03	00	00	00	00
ط 6	30	4.86	3.41	0.76	3.95	3.53	1.55	1.55	2.01	0.45
ط 7	30	5.60	3.99	0.89	5.05	3.83	1.55	1.55	2.01	0.45
ط 8	30	4.65	2.41	0.45	4.85	3.33	4.05	4.05	3.14	0.75

الجدول رقم 04 يوضح متوسطات استعمال طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي خلال مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي.

09. عرض وتحليل ومناقشة نتائج الفروق بين استعمالات طرق التدريس خلال مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي في النشاط الرياضي التربوي:

_ الفرضية الجزئية الثانيـــة:

- تتغاير طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي و تغير مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي و نوع النشاط الرياضي التربوي الفردي.

1.9. - إيجاد دلالة الفروق بين طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي خلال التفاعل الاجتماعي الصفي العالـــي:

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	2,77	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 01	1,90	2,69			

الجدول 05.

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	3,51	2,52	دالة عند 0,01

الطريقة 02	1,60	1,88			

الجدول 06

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	1,47	2,52	غير دالة
الطريقة 03	4,40	2,95			

الجدول 07

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	6,29	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 04	0,40	1,10			

الجدول 08

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	3,16	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 05	2,05	1,85			

الجدول 09.

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	1,37	1,72	غير دالة
الطريقة 06	4,80	3,41			

الجدول 10

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,60	3,99	0,95	1,72	غير دالة
الطريقة 08	4,65	2,41			

الجدول 11

2.9. إيجاد دلالة الفروق بين طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي خلال التفاعل الاجتماعي الصفي المتوسط:

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	3,16	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 01	3,95	3,53			

الجدول 12

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	0,19	2,52	غير دالة
الطريقة 02	4,85	3,33			

الجدول 13

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	2,09	1,72	دالة عند 0,05
الطريقة 03	2,55	2,65			

الجدول 14

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	2,68	1,72	دالة عند 0,05
الطريقة 04	2,40	2,09			

الجدول 15

الطريقـــة	المتوسط	الإنحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	2,54	1,72	دالة عند 0,05
الطريقة 05	3,45	2,42			

الجدول 16

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	5,89	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 06	00	00			

الجدول 17

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 07	5,05	3,83	5,71	2,052	دالة عند 0,01
الطريقة 08	0,70	1,03			

الجدول 18.

3.9. إيجاد دلالة الفروق بين طرق تدريس النشاط البدني الفردي خلال مستوى التفاعل الاجتماعي المنخفض:

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	1,97	7,72	دالة عند 0,05
الطريقة 02	4,40	5,91			

الجدول 19

الطريقـــة	المتوسط	الإنحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	1,68	1,72	غير دالة
الطريقة 03	3,20	3,04			

الجدول 20

الطريقـــة	المتوسط	الإنحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	3,19	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 04	00	00			

الجدول 21

الطريقـــة	المتوسط	الإنحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	3,19	2,52	دالة عند 0,01
الطريقة 05	00	00			

الجدول 22

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	2,05	1,72	دالة عند 0,05
الطريقة 06	1,55	2,01			

الجدول 23

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	2,06	1,72	دالة عند 0,05
الطريقة 07	1,55	2,06			

الجدول 24

الطريقـــة	المتوسط	الانحراف	ت المحسوبة	ت المجدولة	الدلالـــة
الطريقة 01	06	8,41	1,43	1,72	غير دالة عند 0,05
الطريقة 08	4,05	3,14			

الجدول 25

4.9.مناقشة نتائج الفروق بين طرق التدريس النشاط الفردي:

ما نلاحظه من خلال النتائج الموضحة لأهم الطرق المستعملة في تدريس النشاط التربوي البدني فلقد وجد أن الاستعمال يكون حسب اختلاف مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي فعند ملاحظة التفاعل العالي في تدريس النشاط الرياضي الفردي نجد بان الطريقة عالية الاستعمال هي الطريقة الاجتماعية وعند مقارنتها مع باقي طرق التدريس وجدنا فروقا دالة على عدم تجانسها و تماشيها معها في التدريس وهذه الطرق كانت طريقة التسميع

والاستجابة للنداء طريقة المحاضرة الدراسة الموجهة القليلة الاستعمال والتدريس الموجه هذه الطرق ليست على علاقة معها في تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي ويعود سبب هذه الفروق إلى ارتفاع مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي وكذا أسلوب المدرس البيداغوجي غير المباشر والاجتماعي بطبعه و هذا ما يل عليه اسم هذه الطريقة الاجتماعية وخلالها نستكشف بان هناك ديناميكية عالية وانسجام واضح بين المدرس والتلاميذ كما يدل على هذا عدم وجود فروق بين هذه الطريقة وطريقة المشروع والتمثيل الدرامي والتفريد التي تكون العمود الفقري للتفاعل الاجتماعي الصفي العالي فكلها (هذه الطرق) تبعث على الارتياح والاسترخاء لدى التلاميذ ويؤثر إيجابا على توتر الفصل الذي يكون دوره وهو مسترخيا تماما.

وأثناء نفس النشاط وخلال مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي المتوسط كانت الطريقة رقم 07 أي الطريقة الاجتماعية حاضرة. فكما ذكرنا سابقا قد يكون أسلوب المدرس مباشر وقد يكون غير مباشر وبمعنى خاص هو أسلوب مقيد. فهكذا كان المدرسون غير مباشرين في تدريسهم وهذا ما أعطى نوعا من الاسترخاء والارتياح والمرح الذي غطى جو الفصل فكانت الطرق المصاحبة لها والتي ليست فروق بينها هي الطريقة الوحيدة (طريقة التفريد). ففي هذا المستوى يعتمد المدرسون على طريقة التفريد بتكرار الفعل الحركي ويحسن التلاميذ تعلما، كما تكون الطريقة الاجتماعية كمنفذ يصبون من خلاله كل رغباتهم واهتماماتهم في المرح واللعب والترويح فهنا يعمل المدرسون على هدف تعليمي وآخر ترويحي فيميزون تعليم وتثبيت الحركات والمهارات في آن واحد حيث يكون التكرار أسلوبا لتعلمهم واللعب والتسلية قد يكون أسلوبا في إبداعهم.

وكانت الطريقة الأكثر استعمالا خلال انخفاض مستوى التفاعل الاجتماعي طريقة التسميع والاستجابة للنداء، حيث يكون المدرس هو الآمر الناهي ولا يكون لدى التلاميذ أدنى فرصة للتعبير أو الاحتجاج فالأوامر والاقتراحات إلزامية، نوعية التفاعل الاجتماعي عدوانية، توتر الفصل قلق وكذا انفعالات المتخوفة هي صفات لجو الفصل الاجتماعي تدل على الأسلوب المباشر الذي ينتهجه المدرس، فكان استعمال طريقة التسميع والاستجابة للنداء لأهمية النشاط وحرص المدرس على تعليم تلاميذه والطرق المصاحبة لها كانت طريقة المشروع، وطريقة التفريد، فعدم الاختلاف يعود إلى أهمية الموضوع المدرس وكذا السلطة المفروضة من طرف المدرس فتماشي الطرق الثلاثة مع بعضها لتماشيها مع طبيعة النشاط وأسلوب المدرس المباشر.

الاستنتاجـــات و التحقق من فرضيات البحث:

كان تركيزنا من حلال هذه الدراسة على مدى تأثير ظاهرة التفاعـــل الاجتماعي الصفي على طرق تدريس النشاط الرياضـــي التربـــوي، وهـــي دراسة اهتمت بأهم الأحداث و السلوكات في العلاقـــة التربويـــة مـــدرس – تلاميذ أثناء الدرس، فقمنا بتحليل نتائج التفاعل الاجتماعي الصفي عن طريق شبكة الملاحظة **WRIGHT STONE** المعدلة من طرف محمد زياد حمدان، فاكتشفنا أن هناك ثلاثة مستويات للتفاعل الاجتماعي عـــالي – متوســـط – منخفض، ولاحظنا بعد تحليل نتائج ملاحظة دوام السلوك التـــدريس لعفـــاف عبد الكريم و ربطها بنتائج ملاحظة المناخ الصفي حصلنا علـــى درجـــات الأهمية لكل طريقة بالنسبة لتدريس النشاط الرياضـــي التربـــوي و حســـب مستوى التفاعل الاجتماعي، فوجدنا الفروق الواضحة بين الطرق المنتهجـــة

والمعتمدة في كل مستوى تفاعل، ثم أكدنا ذلك من خلال ترابط و علاقة هذه الطرق بعضها البعض، و برهنا ذلك بترابط علاقة الطرق المنتهجة خلال التفاعل الاجتماعي، فوجدنا أن طرق التدريس تتغير بتغير مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي، و هذه النتيجة تثبت و تحقق الفرضية العامة التي بنيت عليها الدراسة، فالملاحظ لنتائج ارتباط مستويات التفاعل الاجتماعي قد غيرت طرق التدريس سواء كان في تدريس النشاط الرياضي التربوي الفردي أو الجماعي.

كما استنتجنا أن طريقة التدريس تدل مباشرة على أسلوب المدرس التربوي المنتهج أثناء التدريس و التفاعل الاجتماعي الصفي، فمستوى التفاعل الاجتماعي المنخفض مثلا تستعمل الطرق التالية: التسميع و الاستجابة للنداء و طريقة المحاضرة، طريقة التفريد، لتدل جميعها على أن أسلوب المدرس البيداغوجي المنتهج كان مباشرا، و خصوصا إذا رجعنا إلى أسباب انخفاض مستوى التفاعل الاجتماعي، فمن خلال نتائج ملاحظة التفاعل الاجتماعي نجدها ترتكز على الفروع الأولى لكل عنصر من عناصر شبكة الملاحظة، التي قد سبق شرحها، و بهذا نكون قد تحققنا من الفرضية الجزئية الأولى.

أما بالنسبة الفرضية الجزئية الثانية، فنلاحظ تماما أنها قد تحققت من خلال النتائج المحصل عليها، فحسب معاملات الارتباط بين مستويات التفاعل الاجتماعي و طرق التدريس النشاط الرياضي التربوي، و معاملات ارتباط هذه الأخيرة مع بعضها البعض خلال كل مستوى تفاعل اجتماعي صفي، فمثلا ارتباط طريقة التسميع و الاستجابة للنداء مع طريقة المحاضرة وطريقة التفريد، أين نجد العلاقة بينها ايجابية و قوية خلال مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي المنخفض، و نجدها سلبية عكسية بينها و بين طريقة

التمثيل الدرامي و الطريقة الاجتماعية و ليست لها أي علاقة مع طريقة التدريب الموجه خلال نفس مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي، و هذا ما يدل على أن الطرق تتغير بتغير مستوى التفاعل الاجتماعي.

وكذلك تحققت الفرضية الثانية حين قمنا بالمقارنة بين عنصري الاستمتاع و الاهتمام أثناء النشاط الرياضي التربوي خلال مستوى التفاعل العالي، والمنخفض لدى التلاميذ، فكانت نسبة الاستمتاع في التفاعل الاجتماعي الصفي العالي 47.74 % و كانت نسبة الاهتمام 44.01 %، أما خلال مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي المنخفض فكانت نسبة الاستمتاع 23.53 %، فقدرت نسبة الاهتمام 26.67 %، فمن هاتين النتيجتين نلحظ الفرق الكبير بين نسبتي الاستمتاع و الاهتمام خلال مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي، فنلمس هنا الإقبال الكبير لدى التلاميذ على الدرس في المستوى العالي، و يقابله نفور أو عدم رضا لديهم من الدرس. فالأول كان يميزه الاسترخاء والارتياح الذي يرجع إلى أسلوب المدرس غير المباشر، والثاني تميز بالتخوف والتوتر و عدم الارتياح ويرجع هذا إلى أسلوب المدرس المباشر.

كما تحققت الفرضية الثالثة, من خلال النتائج المتوصل إليها، فكل محك للعلاقات الاجتماعية يحتم ظهور و تغير طرق تدريس معينة، و وجدنا أن نتائج ارتباط محك الصداقة كان سلبيا تارة و ايجابيا تارة أخرى مع طرق التدريس، و هذا بدلالة إحصائية عالية، و كذلك بالنسبة لمحكي النشاط والعمل، فان دل هذا على شيء فإنما يدل على انعكاس ظاهرة التفاعل الاجتماعي الصفي على طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي.

10. الخلاصة العامة:

بعد عرض نتائج الفرضيات و تحليلها و مناقشتها، اتضح لنا وجـــود علاقة ارتباطيه بين ظاهرة التفاعل الاجتماعي الصفي وطرق تدريس النشاط الرياضي التربوي، و تختلف هذه العلاقة النوعية باختلاف مستويات التفاعل الاجتماعي الصفي، و لعل هذه النتيجة تسمح لنا بالقول أن التفاعل الاجتماعي الصفي يساهم في توطيد العلاقة البيداغوجية أو إضعافها، وتحسين التحصيل في النشاط الرياضي التربوي، و من النتائج المحصل عليهـــا فـــي الجانـــب الميداني تبدو منطقية إلى حد كبير، فالمدرس لا يستطيع فرض سلطته علـــى أفراد فصله المراهقين الذين يتصفون بصفات خاصة ومميزة ذكرت ســـابقا، ليتولد عنه نمط تفاعلي و هو الصراع، و الذي ينجر عنه العداء والكراهية.

فقد تتعمق الهوة بين المدرس و تلاميذه، و قد يستطيع فرض ســـلطته من خلال أسلوبه و حتى السمات والأخلاق التي يتصف بها، فتكون ســـلطة مولودة عن تعاون و تواصل دائمين، أو عن طريق تكيـــف المـــدرس مـــع مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي السائد.

و بعبارة أخرى، فقد أظهـــرت نتـــائج الدراســـة أن المدرســـين ذوي الأسلوب المباشر يتجهون إلى انتهاج طرق التســـميع و الاســـتجابة للنـــداء والمحاضرة و المشروع و كذا طريقة التفريد، مما يعني أن انخفاض مستوى التفاعل الاجتماعي الصفي، و هذا لاعتبارها طرقا تسمح بفـــرض الســـلطة المطلقة في التوجيه و التعليم، كما أنها وسيلة هامة في الضغط على التلاميذ ليكون تعلمهم في المستوى المأمول، و تكون النتائج متقاربة بين أفراد القسم، و بهذا تدل هذه النتيجة على أن المدرس المتميز بهـــذا الأســـلوب لا يهمـــه الجانب التربوي بقدر ما يهمـــه الجانـــب التعليمـــي التنافســـي (التـــدريب الرياضي)، فهذا يعني انه لا يعير أدنى اهتمام بالجانب النفسي الاجتماعي في تدريسه، و نلحظ خروج التدريس عن إطاره التربوي، غير أن المدرس الذي

يتميز بأسلوبه التربوي غير المباشر، يتجه غالبا إلى استعمال الطرق الاجتماعية، التمثيل الدرامي و طريقة التدريب الموجه و التفريد، باعتبارها أكثر أهمية في تعزيز العلاقات الشخصية الاجتماعية، و دعما للعلاقة التربوية، وتطوير مستوى التعليم و الدافعية لدى التلاميذ نحو النشاط الرياضي، وكذا أنها تسمح بتوفير المناخ النفسي الاجتماعي المناسب لعملية التدريس والتعلم، فهذا ما تدل عليه نتائج ارتباط هذه الطرق بمستوى التفاعل الاجتماعي العالي.

كما لاحظنا استعمال طرقا تمثل الأسلوبين معا، كطريقة المحاضرة والتمثيل الدرامي مثلا، فهذا كما ذكرنا في الباب الخامس يكون المدرس مقيدا أي يكون وسطيا بين الأسلوب المباشر و غير المباشر، و يعمد المدرس إلى انتهاج هذا الأسلوب خشية التفاعل الاجتماعي العالي الذي يتضمن الحيوية ومبادرة التلاميذ عالية، حيث يجد نفسه غير متحكم للوضع، و يحتمل الفوضى في هذه الحال، كما يخشى خلال مستوى التفاعل الاجتماعي المنخفض عداء و استنكار له من طرف التلاميذ و ابتعادهم عنه.

و النتائج المتوصل إليها من هذه الدراسة تتلخص في ما يلي:

- لظاهرة التفاعل الاجتماعي الصفي انعكاسا كبير على تغير طريقة تدريس النشاط الرياضي التربوي.
- يساهم التفاعل الاجتماعي الصفي في توطيد العلاقات الاجتماعية تلميذ – تلميذ و تعزيز العلاقة التربوية مدرس– تلميذ.
- يدل التفاعل الاجتماعي الصفي السائد على كفاءة المدرس في تدريسه وقيادته، و تحفيز التلاميذ، كما انه يساهم في تطوير اتجاهاتهم النفسية نحو النشاط الرياضي التربوي بطرف علمية و تربوية.

- إن تلاميذ هذه المرحلة عامة لا يحبذون الأسلوب التربوي المباشـــر، وطرق التدريس الجافة خالية الحياة، فهم دوما يقبلون على ممارســـة النشاط كوسيلة ترويحية و ترفيهية.

فبهذا إن ظاهرة التفاعل الاجتماعي الصفي السائد عبرت من خلال هـــذه الدراسة عن مدى انعكاسها على طرق تدريس النشاط الرياضي التربوي من خلال التغير في استعمالاتها التعليمية و التربوية.و بالتالي نجـــد ان نوعيـــة العلاقات بدورها تؤثر في السلوك، الاتجاهات، النظم... كما أن دراستنا هذه قد أسهمت كما أسهمت الدراسات السابقة المعلن عنها و غير المعلن عنهـــا لكل منها مقدار علمي لا يستهان به، فبدورنا قمنا بإبراز الجانب الأساسي في التدريس و بخاصة تدريس التربية البدنية و الرياضية هو التفاعل الاجتماعي الصفي و خصائصه و التي من واجب المدرس إدراكها و كذا حتى نعي دور حصص التعارف و الأوقات المستقطعة للشرح والتقييم من وجهـــة نفســـية اجتماعية.

و على هذا نستخلص من هذه الدراسة كذلك و من المهـــم الـــذكر أن نوعية العلاقات الاجتماعية في أي تجمع اجتماعي تؤثر بالسلب أو الإيجاب، في التغيير أو القرار، في الاستمرارية أو الزوال،... فكما ترجمها علماء علم النفس الاجتماعي وجدوا مثلا ان العلاقة المركزية و الدائرية و التتبعيـــة... في انتشار الإشاعة، و قد نستطيع تعميم هذه النتيجة و تمساهمتها في التغيير وصناعة القرار.

قائمـــة المراجـــع:

1. خير الدين عويس، عصام الهلالي: **الاجتماع الرياضي**، ط1 دار الفكر العربي القاهرة – مصر 1997.

2. محي الدين مختار: **محاضرات في علم النفس الاجتماعي**، د.م.ج. – الجزائر 1982.
3. عبد الله زاهي الرشدان: **التربية والتنشئة الاجتماعية**، ط1، دار وائل للنشر، عمان 2005.
4. صالح محمد علي أبو جادو: **علم النفس التربوي**، ط2 دار المسيرة، عمان 2000.
5. محمد مصطفى زيدان: **السلوك الاجتماعي للفرد**، مكتبة النهضة المصرية. – مصر 1965.
6. علي السيلمي: **العلوم السلوكية في التطبيق الإداري**، دار المعارف. – مصر 1971.
7. DELERIO (B.A): **PSYCHOPEDAGOGIE ET DYNAMIQUE DE L'ORIENTATION DE GROUPES SCOLAIRES. O.P.U. Alger 1986.**
8. BANY; A, JHONSON (L.V**): DYNAMIQUE DES GROUPES ET EDUCATION. Dunod, Paris 1969**.
9. FLAMENT(C): **RESEAUX DE COMMUNICATION ET STRUCTURES DE GROUPE** ; Dunod. Paris 1965.
10. لويس كامل مليكة: **سيكولوجية الجماعات و القيادة**، ط2 مكتبة النهضة المصرية، مصر 1970.
11. نشواتي عبد المجيد: **علم النفس التربوي**، ط3، دار الفرقان. بيروت لبنان 1987.
12. عماد الدين إسماعيل: **النمو في مرحلة الطفولة** ط1، دار القلم. الكويت.

13. DELERIO (B.A): **PSYCHOPEDAGOGIE ET DYNAMIQUE DE L'ORIENTATION DE GROUPES SCOLAIRES**. O.P.U. Alger 1986.

14. BANY; A, JHONSON (L.V): **DYNAMIQUE DES GROUPES ET EDUCATION.** Dunod, Paris 1969.

15. FLAMENT(C): **RESEAUX DE COMMUNICATION ET STRUCTURES DE GROUPE** ; Dunod. Paris 1965.

16. عماد الدين إسماعيل: **النمو في مرحلة الطفولة** ط1، دار القلم. الكويت.

17. خليل عبد الرحمان المعايطة: **علم النفس الاجتماعي**، دار الفكر للطباعة و النشر، القاهرة حسين حريم: **السلوك التنظيمي، سلوك الأفراد والجماعات في منظمات الأعمال**، دار الحامد للنشر عمان الأردن 2004.

الفعل العنفي الموجه نحو الفاعلين الطبيين الإستشفائيين مقاربة ابيدميو- سوسيولوجية لوحدات الاستعجالات بالمؤسسات الإستشفائية العمومية الجزائرية

دراسة ميدانية بالمركز الاستشفائي الجامعي – عنابة

الأستـــاذ: الطيب بولنوار
قسم علم الاجتماع
جامعة باجي مختار – عنابة

ملخَص:

ظاهرة تعنيف الأطباء من طرف المرضى ومرافقيهم ظاهرة ليست بالجديدة، لكن بروزها في الآونة الأخيرة شدّ لها الأنظار وأوْغل في البحث عن خلفياتها وتداعياتها، إذْ أن سقف مطالب المرضى عموما لا يتعدى الاستفادة من المساعدة الطبية المتخصصة لا غير، وقد تتوقف العلاقة عند هذا الحد لكن أن تستمر المعاناة وتُحين إجراءات التكفل بها تحت ذريعة المعوقات، هذا ما يدفع إلى بروز بعض من السلوكات غير السوية في التفاعل بين مختلف فاعلي العملية الاستشفائية. هذه التصرفات قد تتفاعل أكثر (سلبا أو إيجابا) بحسب ما توفر من إرادة وإمكانات، فردات الفعل ما يبررها، لكن يبقى المنضرر الأكبر فيها هو صحة المرضى والمجتمع بصفة أشمل.

الكلمات المفتاحية: عنف، علاقة، أطباء، مرضى.

المقدمـــــة:

تسود حاليا معظم المؤسسات الاستشفائية العمومية الجزائرية، حالة من التردي الوظيفي وتدني في مستويات الروح المعنوية، نتيجة تراكم المشاكل وصعوبة حلها من طرف الإدارة، مما أسفر عن بروز نوع من الفتور والإحباط الوجداني في ممارسة الوظائف. وقد ساعدت كثير من العوامل في إظهار هذه الوضعيات المتردية التي تقوض شروط الممارسة مثل: النقص الملاحظ قي توفير الأدوية بالنوعية والكمية المطلوبة، وكذا عدم مسايرة التطورات العلمية والتكنولوجية للمهن الطبية داخل المؤسسة، وتدني مستويات أداء الأعوان... كل هذه الشروط الموكلة والمنوطة بوظائف الإدارة تتحملها هي وتسعى ملزمة في تأمينها وتقديمها بغية ديمومة المرفق واستمرار الوظيفة (بشكل أدق)، لكن يبقى الإشكال قائما في كيفية ترشيدها وعقلانة استغلالها من طرف القائمين على العملية العلاجية أو الاستشفائية.

الإشكاليـــة:

في طيات الدينامية الاستشفائية والوظائفية يتباين أداء الإدارة وإستراتيجيتها في القدرة على تدوير ميكانيزمات المؤسسة، بحكم موقعها السُلَّمي وتجذورها في تكريس فعل السلطة. فأداء السلك الطبي لأدواره مرهون بحجم ونوعية تدخل الفاعلين الآخرين (خارج الوظيفة الطبية)، وخضوعه بالتالي لعدة اعتبارات وإلى كثير من التناقضات مثل: عدم تماثل الأدوار الموضوعية داخل المصالح، وتشتت جهود المتدخلين في العملية العلاجية، وعدم سعي المسؤولين في تذليل الفرقات، واختزال الاختلافات التي تتشكل عادة نتيجة هذه التفاعلات والاحتكاكات. فلا يمكن إذا للأدوار الطبية أن تتبلور ما لم يُفعل الدور المحوري للإدارة في ممارسة السلطة

وتسييرها المتزن لموارد المؤسسة المختلفة. كما يعمل التوافق الاستراتيجي بين السلطتين داخل المؤسسة على صقل الأدوار وانسيابها بما يضمن تراتبية في العلاقات بما تمليه المصالح المشتركة للمتدخلين، في إطارها القانوني أو العقدي بما يقلص من مظاهر الاحتقان والصراع. فتمكين الوظيفة الاستشفائية داخل المجتمع يبرز موقع المؤسسة بوضوح في إرساء رمزيتها وينشط مضمونها بما يكفل لها الديمومة وعدم الاندثار على غرار ما تقدمه مؤسسات المجتمع الأخرى.

وتعد وتيرة النشاطات الإستشفائية كمحصلة لأداء كل من الأطباء والإدارة لأدوارهم وتلازمهما الوجداني، فلا يمكن لطرف الاستغناء أو تحييد الطرف الآخر، ولا يحق له بالتالي ذلك ولو أراد، لأن المسؤولية وتبعاتها قد تتجاوزه عند الإخلال بها وتضطره للانصياع أو التعرض للعقاب والعزل الاجتماعي، فالعلاقة إذا هي علاقة حصرية تتصف بالتبعية المتبادلة.

وتكون الوجهة التي يقصدها المريض عادة في طلبه للمساعدة المتخصصة عموما هي وجهة الطبيب، هذا الأخير لا يمكنه كما أسلفنا ممارسة مهامه إلا بتوفر حد أدنى من شروط العمل الذي توفره إياها (كما سبق) الدوائر الإدارية المتخصصة، والتي لا يكون لها من مغزى إلا باستمرار الأداء الطبي وما تكفله لها حقيقة الواقع المرضي إبديمولوجيا وبسيكو- سوسيولوجيا.

إذْ أن العلاقة بينهما هي علاقة متبادلة، ولا جدوى من استمرار طرف دون مساعدة الأطراف الأخرى له، ضمن محددات هيكلية وتنظيمية خاصة. فتوفير الإدارة للأدوية وسعيها في جلب المعدات والتجهيزات المتخصصة، وتسخيرها لمستلزمات الممارسة كفيلة بإضفاء قيمة فارقة على طبيعة ودور

المرافق الإستشفائية علاجيا وإنسانيا. فجدوى الخدمة الطبية هي نتاج فعل مؤسس يسعى لتقديم الأفضل للمرضى، الذين هم في واقع الأمر أفراد مثلنا، اضطروا لمراجعة الأطباء لتصحيح الاعتلال الذي أصاب أجسادهم أو مداركهم الذاتية أو الجماعية.

ويعد الحضور العلمي والفيزيقي للأطباء في المواقف العلاجية أو الاستشفائية دليل آخر من الدلالات، وعاملا من العوامل الأساسية في مأزرة المرضى وممارسة مهنة الطب، ودافعا قويا لكل المتدخلين في تكريس أدوارهم بما في ذلك المرضى ومرافقيهم.

لكن ما نلاحظه الآن في الحياة اليومية، هو بروز النزعة الفردانية والبراغماتية في مختلف نماذج السلوك والمُعاملات الاجتماعية، بسبب انحلال الوازع القيمي للمجتمع وندرة الموارد وسوء تسيير ما توافر منها، حيث أفرزت هذه الوضعيات تداعيات خطيرة، عجلت في ألية تغيير وتحوير الاستحقاقات بما لا يتماشى وقيم المجتمع التقليدية.

وما كان تردي منظومة العلاقات داخل المجتمع من محض الصدفة أو متأتي من فراغ، بل أنه نتاج فعل تكدسي، قد يكون عن قصد أو بغيره ضمن مجموعة من الممارسات وأنماط السلوك المنحرف، حيث تبلورت هذه المظاهر أكثر من خلال عمليات التسريع في وتيرة التغير الاجتماعي كما سبق بما لا يخدم الجوهر الوجداني للمجتمع، فالتحولات الحاصلة كانت قوية وجدُ ارتجاجية، بدرجة أنها زعزعت قيم المجتمع ومعتقداته، فأضحت العنجهية والتبلد وجهان لممارسات الفعل المجتمعي؛ وأُسقط بالتالي ذلك على واقع العلاقة بين الأطباء والمرضى، حيث أصبحت هي الأخرى ترزح تحت وطأة الرداءة والوهن المؤسساتي والمجتمعي. هذا التصوير العام للواقع،

الذي تستشري فيه اللانمطية في السلوك وعجز الجهاز التوعوي والردعي للمجتمع من الإفاء بما يجب عليه القيام به، أنتج واقعا متشنجا وحالة من حالات التذمر الجمعي واللامبالاة بالنتائج على عموم حياة أفراد المجتمع. والذي أصبح يخر بمجرد أزمة بسيطة بسبب وهن الضمير الجمعي وآليات المجتمع الضبطية (غير مفعلة في الحقيقة بالقدر الكافي)، مقارنة بما كنا عليه قبل عشريتين، حيث لم يصب الوهن الاجتماعي دفة بعينها بل تغلغل فيها جميعا، وانتشر كما تنتشر الخلايا السراطانية في أنسجة الجسم، مسببة فقدان التوازن الاجتماعي وخللا في وظائفه الحيوية والوجودية على السواء.

فمن هذه المنطلقات، ارتأينا التقصي عن كنه ظاهرة الفعل العنفي أو التعنيفي، وإفرازاتها على واقع الممارسة الطبية بصفة عامة، وانعكاساتها على طبيعة العلاقة بين الأطباء والمرضى بشكل خاص وذلك من خلال الربط التالـــي:

II- سيكولوجية المرضـــى وديناميةالتفاعل:

تناول كل من ببرنغ وكهانة **"Bibring & Kahana"**[1] بالدراســـة مختلف صـــور ونمـــاذج السلوك وحصرهما لأنماط سيكولوجية مرضية تعتاد المستشفيـــات للتداوي، فتوصلا إلى ضبط عدد من الأصنـــاف، نذكر منها ما يلـــي:

- **مرضى اتكاليون:** يحتاج هؤلاء المرضى إلى الاهتمام الزائد عن اللزوم، حيث يُرجعوا حقيقة الإصابة بالمرض إلى عدم اهتمام الأهل والغير بهم.
- **مرضى منضبطون أو منظمون:** تتميز هذه الشريحة من المرضى بجديتها وإسهاماتها الفعالة في تسيير العملية العلاجية، من خلال حرسها ودقتها الشديدتين في تسجيل وتدوين كل ما تلاحظه وإفادة الأطباء به.

- **مرضـــى عاطفيون:** يحاول هذا الصنف من المرضى استدراج عناية الأطباء بسلوك جذاب، وينصاعوا للعلاج حالما يجدون استجابة من الأطباء، بل أنهم يدخلون معهم في توافق وتبعية تامة.
- **مرضـــى مضحون:** يعد هذا النوع من المرضى مشكلا حقيقيا، يواجه الأطباء أثناء تأدية مهامهم، فهم كثيري الشكوى واللوم والتبجح لأدنى مشكلة تعترضهم، ويرجعونها لسوء حظهم، فهم على غير استقرار وكثيرو التنقل من طبيب إلى آخر، بحثا عن المعاملة المثلى والعلاج الأليق.

كما توصل غوفمان "Erving Goffman " في دراسة أجراها في هذا المجال، حول ماهية علاقة التفاعل التي تنشأ بين الأطباء والمرضى في المواقف العلاجية، أين تبنى نوع جديد من العلاقات، وأطلق عليه: "علاقة التفاعل الاستراتيجي". ففي خضم الدينامية التفاعلية بين الأطباء والمرضى، يتصور كل طرف نفسه في مناورة حقيقية مع الطرف الآخر، فيسعى كل منهما للبحث عن أكبر قدر ممكن من المكاسب، شريطة أن يتصرف بأسلوب هادف وحذق يتوقع منه قرارات الطرف الآخر بما يخدم مصالحه وأهدافه. وقد يحدث ضمن حيثيات العملية التفاعلية هذه تناقض في المصالح وتختلف الرؤى وتحتدم المواقف إلى حد ارتكاب طرف لبعض الحماقات، أو يُقدم على تعنيف الطرف الآخر لفظا أو فعلا أو الاثنان معا.

III– سوسيولوجيـــا فعل العنفي داخل المستشفى

يُعرّف العنف أو فعل التعنيف اصطلاحا: بأنه المعاملة بشدة وقسوة[2]، وينتج غالبا عندما لا تلبى الحاجات، فتنشأ عنها ردات فعل عنيفة أو مظللة: كالسب والشتم إلى غاية الضرب والتشويه... ويتبلور ضمن

المواقف الاستشفائية واقع من الممارسة ونمطا من أنماط السلوك، الذي يفرض على الإدارة التدخل، باتخاذها لجملة من القرارات والتدابير الكفيلة باحتواء المواقف واستتابها، فلنتصور مثلا موت عائل أسرة الوحيد، فكيف يكون وقع مفارقته للحياة على كيان أسرته ومن يعيلهم؟، أو ينقضي أجل رب عمل يدير مشاريعه مع غيره من الشركاء بالمليارات داخل المستشفى؟، فما هو السبيل لاستيعاب هذه المواقف؟ وما هو موقف الفاعلين الاستشفائيين المباشرين تجاه تداعيات هذا الحدث الجلل؟ وكيفما يمكنهم تقديم تفسيرات بالأخص إذا نُعتت المؤسسة بالتقصير أو التهاون، وما هو موقف المؤسسة إذا كانت الإدارة والسلك الطبي على غير وفاق؟.

لقد عايشنا كثيرا من هذه الوضعيات بالمستشفيات (كوننا إطارات أولا في الصحة وطلبة في علم اجتماع الصحة والمرض)، حيث يولي الأطباء عادة اهتماما كبيرا ولا يعطوا الوقت الكاف فيها لاستقبال عائلات المرضى لتفسير وضعية المرضى الصحية كلما تسنح به الفرصة، فهم يتحججون دائما بضيق الوقت وثقل المهام وضرورة تفرغهم واستعدادهم الدؤوب لاستقبال حالات أخرى، لكن من يملأ هذا الفراغ يا ترى؟ والقاعات تعج كلها بالمرضى والمرافقين؟.

بما أن الوضع حازم ويتصف بالجدية، فإن طائلة هذا الفراغ الذي يتركه الأطباء يلقي بضلاله مباشرة على عاتق الأعوان بكل ثقله ومنغصاته، بينما يتوارى الأطباء في هذا الوقت العصيب عن الأنظار. فالوضع إذا شديد الحساسية ومفتوح على كل الاحتمالات وتداعياته قد تكون لها انعكاسات وخيمة بحسب درجة ومستوى فطانة الفرق وحنكتها في التعامل مع هذه الحالات، فعامل المصلحة البراغماتي أو الإنساني قد يكون هو الطاغي في كيفية تدخل الأطراف الفاعلة وبحثها عن حلول سريعة (ولو ظرفية) لمثل

هذه الوضعيات، فالعلاقة العاطفية التي تربط المرضى بذويهم قد يكون لها وقعها هي الأخرى، بما قد يثقل كاهل الفرق بتبعاتها واكراهاتها النفسية والفيزيقية. فبينما يطلب المرضى المساعدة، يكرس الأطباء الأسلوب النمطي (الأبوي) في التعامل مع المرضى حتى يتجاوبوا وينصاعوا للأوامر الطبية، دون أن يتركوا حيزا كبيرا لمناقشة الحيثيات لأنهم (الأطباء) يرونها عائقا مثبطا لنشاطهم[3].

هذا التوصيف للمواقف، تجعل ميكانيزمات العلاقة أشبه ما يكون بميكانيكا المحركات، فالتسلسل الإجرائي أو الممارساتي لأداء الأطباء ينحو منحى تقويض شبه كلي للاعتبارات الشخصية أو المكانة الاجتماعية للمرضى، خصوصا إذا ما كنا في وحدات الاستعجالات أو الحالات الطارئة. فهذا النوع من التصرفات التي نلاحظها مرار وتكرار داخل المستشفيات تكون بواعث للملاسنة وعاملا من عوامل المشاحنة، بالأخص إذا كان المريض ذا حضوة أو نفوذ.

هذه الوضعيات والمواقف التي تعايشها الفرق الطبية بحكم تكرار حدوثها يوميا وبشكل روتيني، تكون مفرخة حقيقية، وتبرز أكثر عندما تتفاعل عوامل أخرى مثلا: قلة المستشفيات أو بعدها أو اكتظاظ ما توفر منها، ناهيك عن نقص التأطير البشري وقصور الدعم التكنولوجي والمالي فيها[4]. وقد يوصم المشهد الاستشفائي أكثر واقع أنماط سلوك الفرق في تعاملها مع الحالات الخطيرة على حساب غيرها من الحالات المرضية الأقل حرجا، فترزح الدينامية الاستشفائية أو الاستعجالية هي بدورها تحت وطأة زحمة الحالات التي تنتظر دورها في العلاج، وقد يؤجج كل من عاملي الوقت والمعاناة البيئة العامة للمرفق، لاعتقاد مرافقي المريض بخطورة وضعه، فإذا ما لم يقوموا بشيء ما يستدعي الاهتمام، فصحته قد تسوء أو

ربما يهلك، ففي ظل غياب شبه تام لعمليات الاتصال أو التواصل من طرف القائمين على ذلك المرفق مع المرضى ومرافقيهم، يحتقن الوضع العام ويصبح ملائما لكل تصعيد أو احتكاك.

وتعد طريقة الاستقبال وسرعة التكفل بالمرضى، عامل يخفف من التوتر، ويُصبغ دينامية السلوك التفاعلي في مثل هذه المواقف أو الوحدات، وتُشعر المرضى ومرافقيهم بالآمان، وخلافا لذلك تصبح تلك المواقف أكثر عدائية، أين ينسلخ فيها طالب الخدمة من قيمه وأعرافه الاجتماعية.

IV- بناء ووظيفية المرافق الإستشفائية

المرفق الإستشفائي عموما هو بناء ليس كغيره من البناءات يختص بوظيفة طبية أو جراحية بعينها، ويضم مجموعة من الوظائف والمهام التي لا يمكن إنجازها ما لم يتوفر الحد الأدنى من الشروط، فشكل وبناء المصالح وتفصيلاتها الداخلية مثلا، تختلف من مستشفى إلى آخر بما فيها وحدات الاستعجالات التي تنقسم بدورها إلى ثلاثة أنواع رئيسية وهي:

1- استعجـــالات طبية

2- استعجـــالات جراحية

3- استعجـــالات طبية – جراحية.

عادة ما تقع وحدات الاستعجالات عند مداخل المستشفيات، فهي البوابات الأمامية ومرآة المصالح الإستشفائية، ويكمن نوع النشاط في جوهر تفصلاتها الهندسية واللوجستيكية، وتبقى بعض القواسم قائمة على غرار قاعات الانتظار والمعاينات والتمريض، ولكل وحدة استعجالات نمطها وخصوصياتها، ويمكن دمجها جميعا فيما يسمى بالقطب، الذي يسهل خدمة المرمى العام للمؤسسة سوى فيما يخص التكلفة الاقتصادية أو تجميع عمليات

التكفل المتخصصة في مكان واحد. وتحتوي وحدات الاستعجالات الطبية– الجراحية عموما، على كل المكونات الهيكلية والوظيفية لوحدات الاستعجالات الطبية والجراحية بمعنى الاستقبال والتوجيه، قاعات الانتظار (هاتف ثابت، دورات المياه، تلفزيون ملون من الحجم الكبير نسبيا مثبت على قنوات ترفيهية، موزّع للمشروبات والمأكولات الخفيفة، جرائد...)، قاعات التمريض، قاعات العمليات الجراحية، قاعات الإنعاش، مخبر للتحاليل، الأشعة، الصيدلية، مكتب الدخول، الأمن والوقاية... ولكل هذه المهمات والوظائف ما يقابلها من عتاد وتأطير وتمويل والتموين... ويُعين بالمناسبة على رأس كل وحدة طبية أو جراحية طبيب أو جراح (حسب الاختصاص)، ويساعده في الإشراف عليها شبه طبي متمرس، الكل يباشر مهامه تحت مسؤولية طبيب رئيس مصلحة، الذي يخضع هو بدوره إلى سلطة مدير المؤسسة إداريا ولرئيس المجلس الطبي أو العلمي تقنيا.

أما فيما يخص طرق وعمل هذه الوحدات، فيتم عموما حسب نظامين اثنين متعارف عليهما دوليا:

1- نظـــام عادي.

2- نظـــام بالتناوب.

يغطي النظام العادي كل أيام الأسبوع ما عدا أيام العطل بكل أنواعها، وذلك من الساعة الثامنة (8س) صباحا إلى غاية منتصف النهار (12س) ومن الساعة الواحدة بعد الزوال (13 س) إلى غاية الساعة الرابعة والنصف مساء (16:30 س)، أما ما يخص النظام بالتناوب فيخضع لعملية تنظيمية خاصة وحصرية تشمل كل أيام الأسبوع ليلا ونهارا بما في ذلك أيام العطل والأعياد، مهما كانت الظروف، فهو الأجدى ويتماشى تماما مع الطبيعة والوظيفة العامة الدينامية للمرفق.

وتتألف التركيبة البشرية عموما داخل نقاط الاستعجالات على ما يلـــي:

- طبيب أو جراح رئيس وحدة.
- مراقب طبي رئيس وحدة.
- أطباء مختصون أو أطباء مقيمون أو أطباء عامون أو طلبة في الطب...
- ممرضات بكل رتبهن ودرجاتهن.
- أعوان استقبال وتوجيه.
- أعوان تنظيف.
- أعوان أمن ووقاية.

وتدعمهم في ذلك مصالح أخرى تغطي مجمل نشاطات المؤسسة، وتعمل هي بدورها بالنظامين (المؤسسة شبه مفتوحة ليلا / نهارا وعلى مدار السنة).

- مصالح المدير ومن له تفويض بالتسيير الإداري .
- مراقبون طبيون منسقو النشاطات شبه الطبية.
- أعوان أمن ووقاية.
- الإطعام، المحول الهاتفي، الصيانة، المغسلة، النقل، مكتب الدخول، الصيدلة، المخبر، الأشعة... .

وتخضع نشاطات المؤسسة[5] برمتها للتخطيط والضبط، وكل من يخل بالسير الحسن للمرفق يتعرض للعقوبات لأن التهاون في تطبيقها قد يضر مباشرة بسلامة المرضى ويضع المؤسسة أمام مسؤولياتها المدنية والقضائية[6].

V- توصيف عام للبيئة داخل المرافق

تتصف البيئة العامة داخل وحدات الاستعجالات بالحركة والتنقل فالكل له وجهته، بما في ذلك المرضى: فمنهم من هو على كرسي أو كرسي

متحرك، أو على حمالة إسعاف، وآخر لا يطيق الجلوس من شدة الألم أو لطول الانتظار، وهناك من لا يأبه بمن حوله فيضحك صارخا من دون أن يعطي لأي كان اعتبارا، حيث يحاول الأعوان التعامل مع هذه الحالات بفطنة تارة وبفظاظة أحياناً أخرى. فكم من مرة تحصل ويصل دور مريض للمعاينة وتدخل حالة مستعجلة، يهب لها الجميع، قد تضطره للانتظار أكثر، فلا يتمالك أحدهم نفسه فيصب جم غضبه على كل من يعترضه أو حتى من يلامسه من المرضى الآخرين، ذلك أمام أنظار ومسامع الأعوان والممرضات، فكثيرا ما يتفوه المرضى أو مرافقيهم بكلام نابي يجرّح كرامة العاملين، فيدخل الجميع في سباب وعراك، يضطر الأطباء للخروج من مكاتبهم ليستتب الهدوء والسكينة، فلا يسلموا هم كذلك من تداعياتها البذيئة والنابية.

وقد يكون مكان العراك أو التعنيف مكتب الطبيب نفسه، فكم من مريض أو من يرافقه، من يحاول إملاء بعض الإملاءات على الطبيب. فيراها الطبيب تطاولا عليه وتدخلا في مهامه وعلى مكانته، فينهر من يتفوه بها، فتثور الثائرة، ويُتهجم عليه. فيُحكم مرة أخرى على المرضى بالانتظار، وتكبر المعاناة أكثر ويسخط المرافقين على أداء المرفق وتتعكر الأمور، ويصير الوضع أكثر حدة فيقرر الأطباء عندها توقيف النشاط إلى غاية استتباب الهدوء، ولا يعودون إلى أماكن عملهم إلا بعد أن يسود الهدوء وتزول الضوضاء. هذه الظاهرة ما كنا لنسمع بها داخل المستشفيات، وعادة ما كانت تُنسب للملاهي الصاخبة أو لميادين المنافسة غير الشريفة، لكن أن تسود الحياة الاستشفائية، فهذا ما سنحاول الغوص فيه أكثر بحكم ممارستنا المهنية وحبا منا لمعرفة حقائق أخرى عن هذه الظاهرة. **فما الذي يدفع**

المرضى ومرافقيهم لارتكاب مثل هذه السلوكات تجاه الأطباء ومعاونيهم داخل المستشفيات يا تـــرى؟

وبهدف معرفة واقع وحقيقة هذه الظاهرة، طرحنا ثلاث تساؤلات فرعية عن أسبابها مع الالتزام بتقديم أنفسنا لكل من المرضى ومرافقيهم والأطباء محل الفعل العنفي وكذا مدراء المناوبات في المؤسسات المعنية، وقد شملت الدراســـة بالمناسبـــة 720 مريـــض ومرافق و 184 طبيب و38 إطار إداري.

أثبتت الملاحظة بالمشاركة والتقصي الميداني بصفة عرضية (عن حقيقة الظاهرة) على مستوى كامل وحدات الاستعجالات بالمركز الاستشفائي الجامعي، الذي يضم في هياكله خمس وحدات للاستعجالات في كل من مستشفى: ابن رشد (جراحية وطبية- جراحية)، ابن سينا (طبية وطبية- جراحية)، د. ضربان (طبية وطبية جراحية)، عيادة القديسة تيراز (طبية) وعيادة طب وجراحة العيون، علما أن موقع هذه المؤسسات الجغرافي هو مدينة عنابة مركز. وقد استغرقت هذه الدراسة مدة سنة كاملة، أي من بداية 2011/03/01 إلى غاية 2012/02/29، حيث أدركنا أن للظاهرة خلفيات وأسباب كثيرة، فمنها ما هو مرتبط بطبيعة المرض أو بنمط الممارسة أو بشكل السلطة السائدة داخل كل مستشفى على حدى، حيث تواجه الفرق والطوقم الطبية في كثير من الأحيان انتقادات لاذعة، بحكم عدم جدية المتدخلين في إيجاد حلول سريعة وناجعة لما آلت إليه الوضعية العامة التراكمية، التي أضعفت كل الاجتهادات وقوضت من روح المبادرة، فاستكان الجميع للأمر الواقع، وأصبحت كلمة "**تحطي راسي**" هي السائدة. واستقال الأطباء بالتالي من ممارسة حقهم الشرعي في معالجة ومتابعة المرضى

بالشكل الصحيح والمضمون، الذي يكفل لهم هم أولا السلامة والكرامة، فمن جراء تبعات مسؤولية اتخاذ القرارات الصارمة، يضطر الأطباء في الدخول في سجال مع غيرهم، فعرضهم ذلك لكثير من الإكراهات، حيث وصل بهم المطاف إلى غاية الاستهتار والتعدي عليهم بالضرب المبرح نتيجة فشل الإدارة وعدم قيامها الوصايا بما يجب عليها أن تقوم به، خصوصا فيما تعلق بعمليات التحسيس والضبط وردع التصرفات والتلاعبات المشينة حيال المهنة، التي لم تنصف إلى حد بعيد، وعليه تبادرت لنا جملة من المعوقات التي أفرزتها هذه البيئة الصراعية على غرار ما سيأتي.

VI- نتائـــج الدراســـة:

من خلال الزيارات وجلسات الاستماع وملاحظتنا للوقائع حية وعلى المباشر، تمكنا من رصد وضبط أسباب بروز وتفاقم هذه الظاهرة من خلال ثلاث وجهات نظر مختلفة، حيث نسردها كما جاءت على لسان ممن اتصلنا بهم أو تحدثنا إليهم طيلة المدة المشار إليها أو كلما سنحت به الفرصة لزيارة تلك الوحدات.

1-**المرضـــى ومرافقيهم:** يُرجع كثير منهم استفحال هذه الظاهرة للعوامل المرفقية والمعاملتية التالية:

- الاستقبال الجاف غير اللبق،
- عدم الاهتمام بالجانب النفسي والاجتماعي والاقتصادي للمرضى،
- طول مدة الانتظار،
- عدم إعارة الاعتبار للمرضى إلا لمن كانت له معارف أو حضوة،
- عدم الإحساس بمعاناة المرضى ومرافقيهم على الرغم من إلحاح هؤلاء على ضرورة التكفل بمصابهم،

- عدم التقيد بمبدأ أسبقية التكفل بمن وصل أولا والاضعان للمرضى أو لمرافقيهم المشاغبين أو المسبوقين...
- تجميع كل الحالات المرضية في قاعة انتظار واحدة. (بما فيهم المرضى الذين هم تحت تأثير الكحول أو المهلوسات...)، أين يُحشر الجميع في مكان واحد، دون إعتبار أو مراعاة للعامل النفسي أو القيمي للمرضى الآخرين،
- اقتصار المؤسسات على توفير عدد قليل من الأطباء المختصين، مما يفرض على كثير من المرضى التنقل لمسافات بعيدة ومضنية لمراجعة مختص على حسابهم الخاص،
-عدم توفر الأجهزة المناسبة والإطارات الطبية الكفئة، مما يُرغم المرضى على اللجوء للمخابر والعيادات الخاصة للكشف عن مختلف الأمراض ومعالجتها،
- شيوع الأخطاء الطبية في التشخيص والعلاج،
- عدم الاهتمام بنظافة وسلامة الأماكن والآلات والأغذية المقدمة للمرضى.

2- **الأطبـــاء:** بما أنهم هم من يقدم المساعدة المتخصصة وعلى علاقة مباشرة بالمرضى، فقد انصبت آرائهم كلها في الخانة التالية:

-عدم مسايرة المنظومة الصحية للتطورات العلمية والتكنولوجية، وللتغيرات السوسيو- ديمغرافية والاقتصادية للمجتمع،
- قصور الإدارة في تثمين وظائف التخطيط وتقييم النتائج[7]،
- عدم إرساء السلطات العمومية لميكانيزمات فعالة تظفي دينامية تحفيزية وأخرى وظيفية داخل المستشفيات: كتشجيعها لآلية التكوين وتحسيس المرضى ومرافقيهم بأهمية الثقافة الصحية والحسّ المدني،
- تدعيم الفرق الطبية بعوامل الإسناد والدعم وتشجيع المبادرات[8]،

- إعادة النظر في آليات التنسيق بين الإدارة والسلك الطبي، بما يخدم مصالح الجميع ويحفظ كرامة المرضى،
- إضفاء الطابع الإنساني على المعاملات كثقافة مؤسساتية، وتمكين دور الأطباء في تأهيل جوانبها المادية والمعنوية.

3- **الإدارة الإستشفائيـــة:** تتحمل هي بدورها عبءًا كبيرًا في تسيير المواقف الاستشفائية، عبر إشرافها على مجمل التدابير والإجراءات التي تُنشط الدينامية الاستشفائية، حيث تعمل الإدارة على توفير وترشيد استعمال موارد المؤسسة[9] بما يدفع بعملية العلاج (من المفروض) نحو الأفضل، وتعترض الإدارة في هذا الصدد جملة من المعوقات التي تُصعّب من تطبقاتها على مجموع الخطـــوات التي تراها كفيلة بتحسيـــن أداء المرافق:

- خضوع المؤسسة لازدواجية السلطة،
- محدودية موارد المؤسسة واعتمادها بشكل شبه كامل على الموازنات السنوية التي ترصدها الدولة مركزيا،
- ضيق هامش تحرك المؤسسة فيما يخص التخطيط والتخطيط الاستراتيجي، كاستحداث تخصصات جديدة أو استقدام كفاءات أو مهارات عالية،
- تعرض نشاطات المؤسسة الدائم للمساءلة الاجتماعية والقانونية،
- عدم التنسيق أو تكاتف الدوائر المجتمعية في تثمين الوظيفة الصحية داخل المجتمع.

خاتمـــة:

تساهم كثير من العوامل في إبراز ظاهرة الفعل العنفي ضد الأطباء من طرف المرضى ومرافقيهم، فمن ضمن تلك العوامل ما هو موضوعي، يتعلق أو يرتبط بوتيرة ودينامية نشاط المؤسسات الإستشفائية، ومنها ما هو

وهمي يتحجج بمسألة تراكم المشاكل وصعوبة حلها من طرف الدوائر المتخصصة في إدارة المستشفيات (محلية أو مركزية)، فانعكست هذه الوضعيات على طبيعة الأداء العام للمرافق وأسقطاته على طبيعة ومستويات الخدمة الطبية المقدمة للمرضى. حيث أفرزت هذه السلوكات أو الممارسات مظاهر صارخة، ألقت بظلالها على نمطية العلاقة التي تنشأ بين الأطباء والمرضى في ظل المواقف العلاجية أو الاستشفائية المتصفة عادة بعدم المرونة والانغلاق.

قائمـــة المراجـــع:

1- نادية محمد السيد عمر، "**علم الاجتماع الطبي– المفهومات والمجالات**"، دار المعرفـــة الجامعية، الإسكندريـــة، مصر، 1998م، ص- ص: 177-178.

2- **المنجد الأبجدي**: دار الشرق، ط9، بيروت، لبنان، 1993م، ص: 626.

3- محمد الجوهري: " **الصحة والبيئة– دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية** " القاهرة، مصر، 2007 م، ص-ص: 10-11.

4- Brahim Brahmia: " **La formation des praticiens en économie de la santé; facteurs de rationalisation des dépenses**", In, (le gestionnaire), ENSP, El Marsa, Algérie, 01 et 02 juillet 1979, P: 58.

5- إحسان محمد الحسن: "**علم الاجتماع الطبي – دراسة تحليلية في طب المجتمع**"، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2008م، ص- ص: 75-96.

6- محمد حسين منصور: "**المسؤولية الطبية**"، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، دون ذكر سنة النشـــر.

7- نور الدين حاروش: " **إدارة المستشفيـــات العمومية الجزائرية**"، دون ذكر دار النشر، الجزائر، 2008م، ص ص: 268-298.

8- للمزيد أنظـــر:

www.anmtph.fr/documents/14violencesBesancon.pdf.le: 5/9/2012.

www.anmtph.chez.tiscali.fr/violence.htm.le: 6/9/2012.

www.atousanté.com/souffrance-medecin.le: 8/9/2012 .

9- للمزيد أنظر:

- Jean Marie Clément: "**les pouvoirs à l'hôpital**", Paris, Bréger-Levrant, 1990.

نشأة وتطور الخدمة الطبية في المستشفيات الإسلامية من العهد النبوي إلى القرن7هـ

الأستاذ: رابح أولاد ضياف
قسم التاريخ وعلم الآثار
جامعة 8 ماي 1945 – قالمة

ملخَص:

عرفت البيمارستانات الإسلامية حالة من التطور مطردة فقد كانت بسيطة في العصر الأموي، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين، وساعد على ذلك اهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية.

وقد انتشرت البيمارستانات لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد فكان ذلك سببا في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، إذ أصبح في البيمارستان الواحد الجرائحية والكحالة والطبائعيون والمجبرون والنفسانيون وغير ذلك من التخصصات الطبية. كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت لها كل أسباب الراحة حيث كانت الأبواب مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع.

الكلمات المفتاحية: البيمارستان، الرعاية الصحية، التمريض، الجراحة، الكحالة.

لقد اهتم الإسلام في مضامينه التشريعية والأخلاقية بصحة المسلم وسلامة جسده، لذلك درج المسلمون على الحفاظ على سلامة البدن ورعاية الصحة الفردية والعامة، لأن ذلك من متطلبات الأهلية للقيام بأحكام التكليف المتعلقة بالشؤون العبادية، كالقدرة البدنية لوجوب الحج والصيام وغيرهما مما يدخل في هذا السياق.

لذلك عملوا على بناء دور الشفاء في مختلف الظروف والأحيان، وقد كان هذا الاهتمام قسمة بين الحكام والعامة لتطوير هذا الصرح العظيم في تاريخ الحضارة الإسلامية الذي بقيت بعض آثاره إلى العصر الحديث.

وعليه تعد قضية الرعاية الصحية وبناء المستشفيات (البيمارستانات) في العهد الإسلامي في العصر الوسيط جانب حضاري مهم، وهذا ما يدفعنا إلى البحث والكتابة في هذا الموضوع الذي لم ينل حقه من الدراسة على الرغم من أهميته .

وهذا ما يجعلنا نسأل عن حظ الاهتمام بصحة الإنسان وسلامته البدنية في الإسلام؟ وعن الواقعية الإجرائية في تجسيد هذه السياسة في حياة المسلمين؟ وعن المكتسبات المعرفية المتعلقة بالطب والتداوي عند العرب المسلمين؟ وما مدى استفادتهم في هذا المجال من الحضارات التي سبقتهم؟ وعن السياسات التي اتبعها الحكام والأمراء المسلمين في هذا المجال؟ وغيرها من التساؤلات التي نحاول الإجابة عنها من خلال هذا المقال.

لما جاء الإسلام قضى على الكهانة والدجل وحرَّم المداواة بالسحر والشعوذة، وأباح الطب الطبيعي، وسمح النبي صلى الله عليه وسلم بالعلاج من الأطباء ولو غير المسلمين، فلما مرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في حجة الوداع عاده النبي صلى الله عليه وسلم، وقال له: (إني لأرجو أن يشفيك الله حتى يضر بك وينتفع آخرون) ثم قال للحارث بن كلدة

الثقفي(عالج سعدا مما به)، رغم أن الحارث بن كلدة على غير الإسلام، وكان طبيب العرب في زمانه من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى بلاد فارس وتعلم الطب عن أهل جند يسابور وغيرها في الجاهلية ثم رجع إلى الطائف[1].

لذلك اهتم الإسلام بصحة الإنسان الذي يعد محور التكليف الذي جاءت به شريعة الإسلام، فينبغي أن يتمتع بالصحة التي تسمح له بأداء الواجبات الشرعية كالصلاة والصيام والحج، وهي من الشعائر التي يشترط فيها توفر السلامة البدنية لأدائها، فإن اختل شرط الصحة البدنية خففت هذه الواجبات إلى القدر الذي يمكن أداؤها على وجه الرخصة والتيسير، وإلا سقط بعضها وعلق وجوبها إلى أن تتوفر السلامة البدنية.

وقد ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية بنعمة العافية وضرورة المحافظة عليها، قال

الله تعالى: **(وَنُنَزّل منَ القُرآنِ مَا هُو شِفاءٌ ورحمةٌ للمؤمِنِينَ ولا يَزيدُ الظَّالمينَ إلا خَسَارَا)**[2]، وقوله **(وأيُّوب إِذْ نَادَى رَبَّه أَنِّي مَسَّني الضُّرُ وأنتَ أرحمُ الرَّاحِمينَ، فاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُر)**[3] وغيرها من النصوص.

أما عن الطب والصحة في السنة النبوية فقد جمع الإمام البخاري أحاديث نبوية صحيحة في كتابين من صحيحه، يحتوي الكتاب الأول على ثمانية وثلاثين حديثا في هذا الباب، والثاني يحتوي على إحدى وتسعين حديثا في نفس الباب، وهناك عدة مصنفات عن الطب النبوي منها كتاب الطب النبوي للذهبي، وكتاب الأحكام النبوية في الصناعة الطبية للحموي، وكتاب الطب النبوي لشمس الدين محمد بن أبي بكر وغيرها من المصنفات[4].

تذكر المصادر أنه لما مرض سعد بن معاذ رضي الله عنه أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تنصب له خيمة في المسجد حتى يتمكن من زيارته، وكانت الخيمة لامرأة مجاهدة يقال لها رفيدة كانت تعمل على مداواة الجرحى، وكانت متميزة بالجراحة في تدخلاتها الطبية[5]، وكانت امرأة صالحة، وقد حبست نفسها على خدمة من كان مريضا من المسلمين، وكانت تساعدها أختها كعبة بنت سعيد الأسلمية، فكانت تلك الخيمة النواة الأولى للمارستانات في تاريخ الحضارة لإسلامية، وكانت رفيدة أول ممرضة في الإسلام[6].

أولا- تعريف البيمارستـــان:

البيمارستان بفتح الراء وسكون السين لفظة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار و ستان)، (بيمار) وتعني المريض أو العليل أو المصاب، و(ستان) وتعني مكان أو دار أو موضع، ومن ثم يكون معنى البيمارستان (موضع المرضى) أو (دار المرضى)، واختصـــرت لفظة البيمارستان في الاستعمال في ما بعد فصارت مارستان[7] ومديره يسمى (الساعور)[8].

وكانت البيمارستانات منذ أول عهدها عبارة عن مستشفيات عامة لمعالجة المرضى من مختلف الأمراض سواء كانت هذه الأمراض باطنية أم جراحية أو رمدية أو عقلية، وربما تتعرض هذه المؤسسات الصحية لعوادي الزمن من حين لآخر، فتحل بها الكوارث فتتعطل عن أداء وظيفتها العلاجية، فيهجرها المرضـــى، ولا يلازمها إلا من عجز على هجرانهـــا، من الذين لا مكان لهم سواها كالمجانين أصحاب الأمراض العصبية، بمعنى أن البيمارستان أصبح للأمراض العصبية[9]، فاقترنت لفظة البيمارستان بالمجانين، فأصبحت كلمة البيمارستان إذا أطلقت لا تنصرف إلا إلى مأوى المجانين[10].

ولم تكن البيمارستانات مقتصرة على علاج المرضى فحسب، بل كانت كذلك بمثابة معاهد علمية يدرس فيها الطب والحالات التي تعرض عليهم، فكان بالبيمارستان إيوان كبير بمثابة قاعة محاضرات، يجلس فيه كبير الأطباء ومعه بقية الأطباء والطلاب الذين هم بصدد تعلم الطب، وإلى جانبهم الآلات والمصنفات الطبية، فتدور بينهم المناقشات حول مختلف المسائل المتعلقة بالصنعة، والإطلاع على مختلف الكتب التي صنفت في هذا الفن،إلى جانب ذلك يقومون بالزيارات الميدانية لإجراء الفحوص التجريبية، وهي بمثابة الدروس التطبيقية التي يقوم بها الطلبة على المرضى[11].

ثانيا- نشأة وتطور البيمارستانات في الإسلام حتى نهاية العصر العباسي:

أما عن بداية نشأة البيمارستانات فإن المصادر التاريخية تؤكد عدم وجودها عند اليونانيين، كما أنها لم توجد عند الرومان إلا بيوتا لرعاية المسنين والعجزة، والمصابين من جنودها في العمليات الحربية، كما أن أوروبا المسيحية لم تعرف مثل تلك البيمارستانات إلا بيوتا للرحمة حين شهد العالم الإسلامي البيمارستانات المتخصصة في مختلف الخدمات الطبية[12].

فقد اهتدى المسلمون إلى إنشاء البيمارستان كمؤسسة صحية تمريضية منذ عهد مبكر من تاريخ الحضارة الإسلامية.

1- العصــر النبــوي(1-11هـ /622-632)م:

لقد كان لعرب ما قبل الإسلام دراية ببعض المعارف الطبية، التي اهتدوا إليها عن طريق التجربة[13] أو اكتسبوها من خلال اتصالاتهم بالأمم الأخرى، إلا أنهم لم تكن لهم أماكن مخصصة لمعالجة المرضى، وقد برز بعض الأطباء من الذين اشتغلوا بالطب، مثل الحارث بن كلدة[14].

وفي غزوة الخندق أقام النبي صلى الله عليه وسلم خيمة لمعالجة الجرحى[15]، لذلك يعد النبي صلى الله عليه وسلم أول من أنشأ بيمارستانا في الإسلام، في وقت لم يكن للعرب ولا لغيرهم مكانا لمعالجة المرضى.

2- العصـــر الراشـــدي (11-40هـــ/632-660م):

شهدت فترة الخلفاء الراشدين حالة البساطة في الدولة الإسلامية في شؤونها المختلفة كتلك الحالة التي كانت عليها في عهد النبوة، وذلك من حيث البناء الحضاري، كتشييد المرافق العامة والمؤسسات الإدارية وبناء القصور والجسور وغيرها، لأن المرحلة كانت مرحلة البناء الروحي والعقدي الذي إنبنت عليه الحضارة الإسلامية فيما بعد وهو الأهم، وانشغال المسلمين بالدعوة للإسلام من خلال حركة الفتوح الإسلامية التي تعد من أولويات المرحلة كل ذلك كان سببا في عدم التفاتهم إلى تشييد العمائر والاهتمام بالصناعات المختلفة ومن بينها صناعة الطب إذا ما قارنا هذا العصر بالعصر الأموي والعباسي.

استـــمر الطب على حالته البسيطة في عهد الخلفاء الراشدين، ولم تنشأ فيه البيمارستانات بعد، كما أن العرب المسلمين في هذه الفترة لم يختلطوا بعد مع غيرهم من الأمم الأخرى إلا بعد انطلاق حركة الفتوح الإسلامية في الشرق والغرب، لذلك ظل الطب في هذه الفترة بملامحه البسيطة يعتمد على الأعشاب والنباتات الطبية وعلى الكي والحجامة أحيانا أخرى إلى مطلع العصر الأموي[16].

ومع ذلك فقد أبدى الخلفاء الراشدون عناية بالجانب الصحي بالقدر الذي يستجيب لطبيعة أولوية المرحلة، فقد حرص أبو بكر الصديق على السلامة الصحية للجنود وعدم إرهاقهم بالمسير، فقد أوصى القائد عمرو بن العاص

بذلك عند توجهه إلى فلسطين بالرفق بالجنود المسلمين وعدم إرهاقهم بالمشي لمسافات طويلة لأن فيهم ضعيف البدن الذي لا يقدر على المشي لأميال طويلة، وتزويد الجيش بالإسناد الطبي، ومراعاة الحالة الصحية والنفسية للجنود وغيرها من مظاهر اهتمامه رضي الله عنه في هذا الجانب[17].

كما أبدى خليفته من بعده عمر بن الخطاب اهتماما بالصحة العامة فكان يحذر من الإسراف في تناول الطعام والإكثار من أكل اللحوم، وأمر بإتمام الرضاعة للأطفال، وتوفير الطعام للمحتاجين، ويظهر اهتمامه كذلك بصحة الأمة من خلال موقفه من الأوبئة والأمراض المعدية ورعاية المجذومين، وتقديم الإعانات للجرحى وأسر الشهداء[18].

3- العصـــر الأمـــوي (41-132هـــ /661-749م):

اعتمد المسلمون في العصر الأموي والعباسي الأول على الأطباء الأعاجم وغير المسلمين وكان أغلبهم من النصارى الذين تلقوا فنون الطب في مدارس الرها ورأس العين ونصيبين وأنطاكية وجند يسابور والإسكندرية وحران وحظوا بحسن المعاملة من طرف المسلمين، فاندمجوا داخل المجتمع الإسلامي مما جعلهم ينقلون معارفهم الطبية وخلاصة الأبحاث الطبية اليونانية والسريانية والهندية والفارسية التي كانت من الأسس التي إنبنى عليها الطب الإسلامي[19].

و شهد مطلع العصر الأموي تطورا طفيفا في الطب، من خلال تعرف المسلمين في هذا العصر على المؤلفات الإغريقية وغيرها، وكان لمعاوية بن أبي سفيان طبيبان نصرانيان دمشقيان وهما ابن آثال الذي كان على معرفة بالأدوية والسموم، والآخر هو أبو الحكم الدمشقي، فكان طبيبه الخاص،

ويعتمد عليه في معالجة أهل بيته، وقد ترك ذرية من الأطباء المعروفين في العصر الأموي[20].

وفي عهد معاوية بن أبي سفيان بدأ التأسيس الفعلي للمارستانات، فقد أنشأ معاوية مارستانا إسلاميا في عاصمة الدولة الأموية دمشق سنة 60 هـ/679 م تحت المؤذنة الغربية من الجامع الأموي[21].

كما أولى معاوية ابن أبي سفيان اهتماما بالبيمارستانات المتنقلة لتقديم الخدمات الطبية للحجيج، وعين لهم الأطباء[22].

أما الخليفة مروان بن الحكم (65هـ/684م) كان من الخلفاء الذين اهتموا بالطب فقد ترجم له طبيبه الخاص" ماسرويه " كتابا طبيا للقس السكندري "أهرن" المعروف بالكناش[23].

وفي العصر الأموي عرف العرب مدرسة الإسكندرية القديمة، فعرفوا المؤلفات اليونانية في الطب، ونقلوها إلى السريانية ثم إلى العربية، ويقال أن أول من قام بترجمتها في الإسلام كان على يد خالد بن يزيد (ت:85ه /704م)، ومن أطباء العصر الأموي المشهورين "تياذوق" (ت:90هـ/ 708 م) الذي عاصر أول عهد دولة بني أمية، وكان تياذوق هذا صديقا للحجاج بن يوسف الثقفي، وكان محل ثقة الحجاج فوثق به فكان من خدامه وخصه بمعالجة أمراضه[24].

وقد كان " تياذوق " طبيبا ماهرا فاضلا له نوادر وألفاظ مستحسنة في الطب، عاصر دولة بني أمية في أول عهدها ومشهورا عندهم، وقد خدم عبد الملك بن مروان بصناعة الطب وكان يعتمد عليه ويثق بمداواته وكان يجري عليه الأموال الوافرة والافتقاد الكثير[25].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86-96ه/705-714م) تم إنشاء أول مارستان فعلي ثابت سنة 88 هـ/706م[26]، وأسكن به العميان، وحبس

المجذومين أن يخرجوا على الناس وأجرى لهم أرزاقا حتى لا تنتشر العدوى بين العامة[27]، واقتدى الحجاج بن يوسف بالوليد بن عبد الملك في بناء البيمارستان ففعل مثله[28]، ذكر ياقوت الحموي عن يأجج فقال أنه مكان من منازل عبد الله بن الزبير، فلما قتله الحجاج أنزله المجذومين[29].

وفي خلافة عمر بن عبد العزيز(99-101هـ/717-719م) تم إنشاء ملجأ للفقراء، مزودا بالزيت والطحين والعجين، واعتبر هذا الملجأ بمثابة مارستان لوجود الأدوية به، وبعض ما يحتاجه المرضى من المستلزمات[30].

وقد أمر عمر بن عبد العزيز بترجمة كتاب الطبيب أهرن بن أعين القس إلى العربية وذكر أن هذا الكتاب عثر عليه في خزائن الكتب فأمر بإخراجه ووضعه في مصلاه واستخار الله عز وجل في إخراجه إلى المسلمين للانتفاع به، فلما تم له ذلك أربعون صباحا أخرجه إلى الناس وبثه في أيديهم[31].

وكانت مرافق الرعاية الصحية في هذه الفترة بسيطة، ثم توسعت وأضيفت لها بعض مستلزمات خدمات التمريض، حتى أصبحت بعد قرن من الزمن تتوفر بها التسهيلات التي يريدها المريض، من علاج وطعام وشراب وثياب، فتوسعت وزودت بالعقاقير والأطباء البارزين[32]، وقد شارك في بنائها أهل البر والإحسان، لأنها كانت مظهرا من مظاهر أعمال البر والخير[33].

4- العصر العباسي(132-656هـ/749-1258م):

في العصر العباسي شهدت البيمارستانات تطورا كبيرا، وذلك لاهتمام الخلفاء والسلاطين بالعلوم الطبية والرعاية الصحية، إذ تبارى الخلفاء والسلاطين والأمراء والأعيان والميسورين على إنشاء البيمارستانات، وأوقفوا لها الأوقاف الكثيرة، مما ساهم في تطور الخدمات الصحية

بالبيمارستانات، وتنظيم العمل بها، وقسمت إلى أقسام خاصة وعامة يرتادها مختلف فئات المجتمع، سواء كانوا مسلمين أم ذميين أغنياء أم فقراء صغارا أم كبارا[34].

ومن الخلفاء العباسيين الذين اهتموا بإنشاء البيمارستانات الخليفة أبو جعفر المنصور(136-158هـ/753-774م)، ويعد أول من استقدم الأطباء من جنديسابور، وهو الذي أنشأ دارا للعجزة والأيتام ومعالجة الجنون[35]، وهناك من الباحثين من يرى أن هذه الدار التي بناها المنصور إنما هي مارستان وهي أول مارستان عباسي، وقيل أنه لما شيد المنصور هذا المارستان قال في حفل افتتاحه (إني أكرس هذا المارستان للرفيع والوضيع، وأقف هذا الوقف لمنفعة الملك والمملوك، وللجندي والأمير، وللعظيم والحقير، وللرجال والنساء)[36].

كما رتب الخليفة العباسي المهدي(158-169هـ/774-785م) المخصصات للمجذومين والمسجونين، إلا أن الفضل في تأسيس مارستان بكامل تجهيزاته المعروفة في ذلك العصر يرجع إلى هارون الرشيد (170-193هـ/786-808م)، ودعا الطبيب الشهير " جبرائيل بن بختيشوع " من مدرسة جند يسابور لرئاسته، فأصبح ذلك البيمارستان محور النشاط الطبي في الإسلام، ومركزا لتقدم الطب الإسلامي[37].

إلا أن هناك من المصادر التي تذكر أن هارون الرشيد خامس بني العباس قد أمر جبريل بن بختشوع أن ينشئ مارستانا في بغداد، فأنشأ مارستانا له وظيفتان مزدوجتان أولهما علاج المرضى، والثانية تعليم الطلبة الراغبين في مهنة الطب والعلوم الطبية[38]، ورشح لرئاسته ماسويه الخوزي من أطباء مدرسة جنديسابور، وتولى جبريل بن بختشوع رعايته[39].

وبني مارستانا آخر في بغداد تحت رعاية البرامكة، وكان الطبيب ابن دهني طبيبا ورئيسا له[40]، ولما اشتهر مارستان بغداد أخذت المدن الأخرى في تقليدها، وكان الفتح بن خاقان وزير المتوكل قد أنشأ مارستانا في مصر عرف بمارستان المعافر، ولما تولى ابن طولون مصر أنشأ بها سنة 259 هـ/872م مارستانا عرف بمارستان ابن طولون، وانفق على بنائه 60.000 دينارا، وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك إلا المرضى من العامة والمجانين وغيرهم، وكان أول مارستان بمصر، وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وحبس عليه عوائد مالية تضمن بقاءه، وكان يتعهده بنفسه كل يوم جمعة حتى ساءه أحد المجانين فقطع زيارته[41].

وفي عهد الخليفة المعتصم (218-227 هـ/833-841م) أنشأ مارستانا في بغداد أشرف عليه بنفسه، وكان ينفق عليه كل يوم عشرة دنانير فيما يخص نفقات الأطباء والبيمارستان[42]، ويعطي الأرزاق للأطباء والكحالين، واهتم بالخدم والقومة الذين يخدمون المجانين، كما كان يتكفل بثمن الطعام والشراب والخبازين والبوابين، ومن يتكفل بالمؤن وكان يعرف هذا البيمارستان بالصاعدي أو العتيق[43].

وفي عام 302 هـ / 914م بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت: 334هـ/945م) مارستانا بالخريبة.

وقد كانت تلك الإنفاقات على بناء المارستانات خلال فترة أزمات مالية لم تكن الوضعية المالية لبيت المال تسمح بالإنفاق إلا على الضروريات[44].

وفي عهد الخليفة المقتدر (295-319هـ /907-931م) ازداد بناء البيمارستانات[45]، وفي سنة 295هـ/907 م أمر بإصلاح البيمارستانات في جميع أنحاء الدولة، وتوفير ما يحتاج إليه المرضى من الأدوية، والمواد الغذائية والتموينية[46]، وأصبحت مهنة الطب لا يمكن أن يمارسها، ما لم

يمتحن داخل البيمارستان، وذلك عندما سجلت أخطاء طبية في التشخيص، أو وصف العلاج، فأمر المقتدر بمنع الأطباء من ممارسة مهنة الطب، حتى يتحصل من يزاولها على إجازة بمزاولة المهنة، فأمر الخليفة المقتدر الطبيب سنان بن ثابت بن قرة بالإشراف على امتحان الأطباء، وإجازة من ثبتت كفاءته، فأجرى سنان بن ثابت هذا الامتحان لنحو 900 طبيب في بغداد[47].

وفي عام 306 هـ/918م أشار الطبيب ثابت بن قرة الحراني على الخليفة العباسي المقتدر(295-319هـ/907-931م) أن يبني مارستانا ينسب إليه، وجعله عند باب الشام، وسمّاه البيمارستان المقتدري[48]، وانفق عليه من ماله في كل شهر مائتي دينار[49].

وفي أول محرم من عام 306هـ/918 م افتتح مارستان السيدة شغب أم الخليفة المقتدر[50]، وكان افتتاحه من قبل أبو سعيد سنان بن ثابت، وقد اتخذه بسوق يحي على نهر دجلة، وجلس فيه ورتبت الأطباء والخدم والقومة، وبلغت النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار[51]، ومبلغ النفقة عليه في العام سبعة ألاف دينار[52].

ومن الأطباء الذين خدموا في البيمارستان المقتدري يوسف الواسطي، الذي لازم البيمارستان، وقرأ عليه جبريل بن بختشوع، كما عمل به كذلك جبريل بن عبيد الله بن بختشوع، كان عالما مقتدرا متقنا لمهنة الطب، وكان من أطباء المقتدر، ولازم البيمارستان والعلم والدرس، فأقـام ببغداد ثلاثين سنة، ثم انتقل إلـى ميافارقين، فالتحق بممهد الدولة حيث توفـي سنة 396هـ /1005م[53].

وفي سنة 311 هـ/923م كان للوزير ابن الفرات مارستانا، ففي سنة 313 هـ/925 م قلد الوزير ابن خاقان(ت:247 هـ/861 م) الطبيب

أبو الحسن سنان بن ثابت مارستان ابن الفرات بدرب المفضل، الذي ينفق عليه من ماله مائتي دينار كل شهر[54].

وزادت البيمارستانات في العهد العباسي، وشهدت تطورا عما كانت عليه من قبل، وقد اشتملت بغداد وحدها على ما يزيد عن عشرة مارستانات، وما يقارب المائة في سائر الأمصار الإسلامية، ومن الإضافات الجديدة للمارستانات في هذا العهد أن عهد بالتمريض للعبيد[55].

كما أضيفت الحدائق للمارستانات، تزرع فيها الأعشاب والنباتات الطبية[56]، وظهر كذلك نظام الدوام المستمر والمتابعة الطبية في نظام عمل البيمارستان، حيث سمح للمريض بالتردد المستمر على الطبيب المعالج في أي وقت[57].

ومن أشهر الأمصار الإسلامية التي عرفت انتشار البيمارستانات هي أنطاكية ودمشق وحلب والقاهرة والقدس ومدن إسلامية أخرى، ومن أشهرها البيمارستان البويهي و العضدي في بغداد، أما البيمارستان البويهي فقد بدأ في إنشائه معز الدولة بن بويه سنة 355هـ/965م وكان بناؤه في موضع السجن الجديد ببغداد، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وأن تكون غلال الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء البيمارستان[58].

أما البيمارستان العضدي فقد أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من بغداد، وافتتح في صفر سنة 372 هـ/982م، ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان، ونقل إليه من الأدوية و الأشربة والعقاقير شيء كثير وكل ما يحتاج إليه[59]، فغرم عليه مالا عظيما، حتى قيل أنه ليس له مثيل في الدنيا، وأعد له من الآلات الشيء الكثير، واجتمع فيه من الأطباء أربعة وعشرون طبيبا[60].

و في سنة 449 هـــ/1057م حل التلف بمرافق البيمارستان العضدي، فنظر عميد الملك في البيمارستان فوجده قد خلا من الدواء والشراب، وأتلفت الأفرشة والمرضى يفترشون الأرض، فوجد عند رأس المريض بصلة يشمها، وعطش بعضهم فقام بنفسه حيث الماء فوجد فيه حمأة ودودا، وذكر أن يهوديا يعرف بالهاروني قد استولى على البيمارستان، وأكل أوقافه، فخلص عميد الدولة البيمارستان من أيدي الطامعين، وكان على بابه سوق فيها مائة دكان قد دثرت فأعادها، وجمع فيه من الأشربة و الأدوية والعقاقير التي يعز وجودها شيئا كثيرا، وأقام الفرش واللحف للمرضى، والأراييح الطيبة والأسرة والثلج والمستخدمين، والأطباء والفراشين[61].

وكان فيه ثمانية وعشرين طبيبا ونساء طباخات وبوابون وحراس، والحمام، والبستان إلى جانبه فيه أنواع الثمار والبقول، والسفن على مائه تنقل الضعفاء والفقراء، والأطباء يتناوبون فيه، وتعددت تجهيزاته من حيث الأطعمة والعقاقيـــر الطبية وغيرها، فتوفر به السكر واللوز والمشمش والخشخاش وسائر الحبوب والبراني الصينية فيها العقاقير، والتمر الهندي والزنجبيل وعود الرند والمسك والعنبر والراوند الصيني والترياق الفاروقي، وصناديق فيها أكفان، وقدور كبار وصغار، وذكر أن فيه أشياء لا يوجد مثلها في بيوت الخلفاء[62].

وفي عهد الخليفة المقتدي بأمر الله (468-487 هـــ/1075-1094م) حل الطاعون في بغداد وضواحيها سنة 478هـــ/ 1085م، وهو من أخطر الأمراض الفتّاكة في ذلك العصر، فاستعصى على الأطباء أن يصفوا له علاجا لا من المسخنات ولا من المبردات، وفتك بالناس فتكا ذريعا، حتى قيل أن الميت يمكث اليوم واليومين لا يجد من يغسله، أو يكفنه أو يحفر له قبرا خشية العدوى، فخصص المقتدي بأمر الله مكانا للناس لدفن الموتى، وهي

ضيعة تعرف بالأجمة فامتلأت بالقبور، وانتقل الوباء إلى الشام وخراسان والحجاز، كما انتشر الجذري فأصاب الأطفال، وقحط الناس، فأمد المقتدي بأمر الله الفقراء بالأدوية والمال، وأمر أطباء البيمارستان مراعاة جميع المرضى، وأن يعالجوا بالمجان، وأرصد البيمارستان لاستقبال المرضى وعلاجهم[63].

وفي عهد المستنصر بالله (623-649هـ/1226-1251م) أنشأ مارستانا في مكة بالجانب الشمالي من المسجد الحرام سنة 627 هـ/1229م و بنى دورا للضيافة وأماكن عامة لعلاج المرضى، وهي بمثابة مارستانا عاما، كما أنشأ مارستانا خاص بالمدرسة المستنصرية، وجعل فيه الأطباء وما يلزم لعلاج المرضى وكان يعرف بمارستان المستنصر[64] ويرجع تاريخ وقفه إلى سنة 638 ه/1240 م[65] و بنى بمكة والمدينة دورا للمرضى وأرسل إليها ما تحتاج إليه من العقاقير والمركبات والأدوية[66].

ولما انتشرت البيمارستانات في مختلف أمصار البلاد الإسلامية لا سيما في عاصمة الخلافة بغداد كان ذلك سببا في نشأة المدارس الطبية، وظهور التخصص في فروع الطب وعلومه، فأصبح في البيمارستان الواحد يوجد به الجرائحية والكحالة والطبائعيون[67] والمجبرون والنفسانيون وغيرها من التخصصات الطبية.

كما رعي جنس المرضى الملازمين للمارستان، فقد كان لكل من الرجال والنساء قسم خاص به[68]، كما قسمت البيمارستانات إلى أقسام خصص كل منها لمرض من الأمراض ولكل قسم طبيب فأكثر[69]، وبفعل التطور الذي شهدته البيمارستانات في العصر العباسي أدى ذلك إلى تطور الخدمات الطبية وتحسينها، حتى أصبح المريض يعرض نفسه على الأطباء فتشخص حالته

المرضية ثم يوجه إلى القسم المختص، وهي بمثابة الإسعافات الأولية التي تقدم للمريض قبل العلاج[70].

وكان المرضى الذين هم بحاجة إلى الإقامة بالبيمارستان يوزعون على القاعات حسب أمراضهم، ويكون بكل قسم من تلك القاعات أطباء حسب حاجة وعدد المرضى[71].

كما أصبحت البيمارستانات توفر حاجيات المرضى والأطباء، كما تطورت في عمرانها وصارت أكثر زخرفة، وكانت تطلى باللون الأبيض لما لهذا اللون من دلالات طبية ونفسية، فكانت غرف المرضى تطلى باللون الأبيض[72].

ومن مظاهر تطور الخدمات الطبية بالبيمارستانات، فقد عرفت الجراحة وسائل التخدير المفقدة للحواس والمسكنة للآلام قبل إجراء العمليات الجراحية[73]، كاستعمال عشب البنج والزوان.

ومن التطور أيضا الذي شهدته البيمارستانات في العصر العباسي أن عرفت صناعة الأدوية، كما ظهرت صيدليات لصرف الأدوية وحفظها وتخزينها، كما تضمنت البيمارستانات قاعات كبيرة لتدريس الطب[74].

كما اعتمدت البيمارستانات على مجانية العلاج، وتحملت الدولة نفقاته ونفقات أجور الأطباء والخدمات المتعلقة بالمرضى، وتوافرت في مستشفيات الخلفاء والسلاطين كل أسباب الراحة من أسرة وثيرة ناعمة، وكانت أبوابها مفتوحة أمام الفقراء وكل فئات المجتمع دون تمييز[75].

ونظرا لأهمية الخدمات الطبية التي تقدمها البيمارستانات فقد أصبحت تخضع لنظام الحسبة والقضاء ومتابعة المقصرين وغير الأكفاء الذين يمارسون الطب، ومراقبة الأخطاء الطبية، فإذا دخل الطبيب على المريض وشخص مرضه يسأله عما يجد من الألم، ثم يرتب له وصفة من الأشربة

والعقاقير، ثم يكتب نسخة لأولياء المريض بشهادة من حضر معه عند المريض، ثم يأتي المريض في يوم الغد فينظر الطبيب إلى مرضه وإلى الدواء، ويسأله عن مدى تحسنه أو سوء حالته بسبب تناوله للدواء، فيثبت الحالة بالكتابة ويسلمها إلى أهله، فإن كان يوم الغد فعل كذلك، وفي اليوم الرابع إلى أن يبرأ المريض أو يموت، فإن برئ المريض من مرضه أخذ الطبيب أجرته، وإن مات حضر أولياؤه عند الطبيب المشهور وعرضوا عليه النسخ التي كتبها لهم الطبيب المعالج، فإن رآها على مقتضى الحكمة وصناعة الطب من غير تفريط ولا تقصير من الطبيب المعالج، قال هذا قضاء وقدر، وإن رأى الأمر بخلاف ذلك، قال لهم خذوا دية صاحبكم من الطبيب المعالج، فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه[76].

وينبغي للمحتسب أن يأخذ على الأطباء عهد أبقراط الذي أخذه على سائر الأطباء، ويحلفهم أن لا يعطوا أحدا دواء مضرا، ولا يركبوا له سما، ولا يصفوا سموما عند أحد من العامة، ولا يذكروا للنساء الدواء الذي يسقط الجنين، ولا للرجال الذي يقطع النسل، وليغضوا أبصارهم عن المحارم عند دخولهم إلى المرضى، ولا يفشوا الأسرار، ولا يهتكوا الأستار[77].

أما الكحالين فيمتحنهم المحتسب بكتاب حنين المتضمن لعشر مقالات في العين، فمن وجده قيما فيما امتحنه به عارفا بتشريح طبقات العين، وعدد السبعة، وعدد رطوبتها الثلاثة، وما يتفرع عن ذلك من الأمراض، وكان خبيرا بتركيب الأكحال، وأمزجة العقاقير وغيرها من الشروط التي يجب مراعاتها لممارسة طب العيون، أذن له المحتسب بالتصدي لمداواة أعين الناس[78].

ومن مظاهر التطور الذي صارت عليه البيمارستانات في هذا العصر أن جلبت إليها المياه، وجمعت في برك وبحيرات من أجل توفير جو من الراحة

النفسية والهدوء في نفوس المرضى، فقد كانت هــذه من الناحية الصحية أفضل من المستشفيات الحديثة من حيث سعتها وجمال موقعها ونظافتها وكثرة مياهها وتهويتها[79].

ومن المظاهر الحضارية التي تميزت بها البيمارستانات في هذا العصر أن وجدت بها ساعات كبيرة عند مدخل البيمارستان حتى يتم ضبط الأوقات للأطباء والمرضى، كما كان يؤتى بالقصاصين إلى البيمارستانات للترفيه عن المرضى، كما كان يوقف للمرضى مراوح من خوص لاستعمالها في أيام الحر الشديد، وكان في مدينة طرابلس الشرق وقف غريب حيث تم توظيف اثنان يمران بالبيمارستان كل يوم ويتحدثان بجانب المريض بحديث خافت يسمعه المريض بما يوحي إليه بتحسن حاله واحمرار وجهه، وبريق عينيه، مما يبعث الأمل في نفس المريض ويرفع من معنوياته ويساعده على الشفاء[80].

ومن ذلك أيضا وجود الناقلات التي يحمل عليها المرضى العاجزين عن المشي بسبب سوء حالتهم المرضية أو من بترت أطرافهم، أو الحالات الاستعجالية، أو نقل المرضى من بيوتهم إلى البيمارستان[81].

وكان يفد على البيمارستانات كبار العلماء من الفقهاء والنحاة والشعراء والمتكلمون والأصوليون والمحدثون واللغويون وعلماء الفلك والمفسرون والرياضيــون، مما جعل من البيمارستانات مجمع للعلوم والعلمــاء الموسوعيين، وقد كان لأولئك العلماء دور بارز في تمويل البيمارستانات ماليا من خلال تلك الأوقاف التي جعلوها للمارستانات[82].

كما أن الجانب المعماري لهذه البيمارستانات الذي كان غايــة في دقة الإنجاز لأولئك المهندسين المسلمين، فقد كانت من مفاخر العمارة الإسلامية رونقا وجمالا، فكانت إضافة جديدة في العمارة الإسلامية، فكانت بمثابة

قصور رائقة حسنا واتساعا كما يصفها ابن جبير عندما يصف مارستان القاهرة الذي بناه السلطان صلاح الدين (البيمارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قــصر من القصور الرائقة حسنا واتساعا) [83].

أما عن المارستانات في منطقة المغرب الإسلامي فإن أقدم مارستانات المغرب هو المارستان الذي أنشأه المهدي بن تومرت (485-524هـ/1092-1129م) [84]، ومارستان يعقوب المنصور الموحدي سنة 621 هـ/1224م، وبذلك يكون قد تأخر ظــهور المارستانــات في المغرب عن المشــرق شأنها شأن المنجزات الحضارية الأخــرى كالمدارس، كما يبدو أيضا أن المارستانات المغربية لم تحاكي مثيلاتها المشرقية، حيث أن المارستانات المغربية كانت عامة، وأن وظيفتها الأساسية كانت تطبيبية فحسب، على خلاف أن المارستانات المشرقية منها من كانت تقدم الدروس الطبية للطلبة، أي التي اهتمت بالناحية العلاجية والعلمية[85].

رابعا- خدمــات الجرايــة على المرافق الصحية في الإسلام:

1- الجرايــة على المارستانات:

أ- العصــر الأمــوي:

كان أول من أجرى على المرضى في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما قدم من أرض الشام مر بقوم مجذومين من النصارى، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم[86].

و شهد العصر الأموي إنشاء أول مارستان في الإسلام يقدم الخدمات الطبية المجانية لعامة الناس، وقد أورد مؤرخو الإسلام عن هذه الفترة الخدمات التي قدمها الوليد بن عبد الملك (86-96هـ/705-714م) لذوي الأمراض المزمنــة كالمجذومين، حيث ذكرت المصادر في حــوادث سنــة

88 هـــ/706م أنه حبسهم ومنعهم من أن يخرجوا على الناس وأجرى عليهم أرزاقا ومنعـــهم من أن يسألوا الناس[87].

إلا أن المؤسف أن المصادر لم تسعفنا بطبيعة هذه الجرايات والأرزاق ولا بالمكان الذي أنشأ فيه الوليد البيمارستان، فقد ذكرت عرضا دون تحديد طبيعة هذه الخدمات.

وكانت هذه المجذمة التي أقامها الوليد بن عبد الملك أول مجذمة في تاريخ الطب الإسلامي، ثم انتشر هذا النوع من الإقامات الصحية لرعاية المرضى المجذومين حتى لا يخرجوا على الناس خشية العدوى، وقد امتثل الحجاج بن يوسف لهذه السياسة الصحية، فحجز المجذومين والزمنى من أهل العراق، وأجرى عليهم الأرزاق، وكانت هذه الدور النواة الأولى التي أنشئت منها المارستانات الخاصة بذوي العاهات والزمنى وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (99-101هـــ/717-719م) اتخذ دارا للعجزة والفقراء، وزدها بالتمر والزيت والطحين[88].

ب- العصـــر العباســـي:

لم تظهر في العصر العباسي الأول الخدمات الطبية بالشكل الذي صارت عليه في العصور الأخرى، حيث لم تذكر المصادر عن ذلك إلا النزر القليل كاتخاذ الخليفة أبو جعفر المنصور(136-158 هـــ/753-774م) دورا للعجزة والأيتام ومعالجة الجنون[89].

ذكر الطبري في حوادث سنة 162هـــ/778م أن الخليفة العباسي المهدي (158-169هـــ/778-785م) أمر أن يجرى على المجذومين وأهل السجون في الأفاق[90]، والظاهر أن تمويل هذه الجرايات كان من بيت المال حيث أن الطبري لم يذكر إن كان المهدي قد أوقف شيئا لضمان وجود العوائد المالية التي تُكفل تسديد تلك الرواتب دوريا، كما أنـــها تضمن استمـــرارها

وبـــقاءها، وغالبا أن مثـــل هذه السياســـة تكون مرتبطة بظروف سياسية معينة، وتنتهي بانتهاء أسبابها، أو بانتهاء أصحابها، لذلك فالوقف يضمن استمرار وبقاء أصول هذه الجرايات.

كما ذكر أن الخليفة المعتصم بالله العباســـي (218-227هـــ /833-841م) قد بنى بيمارستانا في بغداد أشرف عليه بنفسه، وأوكل أمر بناءه للطبيب أبي بكر الرازي، وكان المعتصم يخرج عشرة دنانير يوميا أي ما قدره ثلاثمائة دينار شهريا كنفقة على هذا المارستان، وكان يتكفل بنفقات الأطعمة والمؤن وجرايات الأطباء والمستخدمين، وعرف هذا المارستان بالصاعدي أو العتيق[91].

أما العصر العباسي الثاني فقد أوردت المصادر الأخبار عن الخدمات الطبية التي رصدتها الدولة، سواء المتمثلة في الجهود التي قدمها الخلفاء في هذا المجال، أو التي كانت بمبادرة من رجال الدولة أو الأمراء والميسورين من مختلف فئات المجتمع.

وتمثلت تلك الجهود في إقامة المؤسسات الصحية التي تقـــدم الخدمات الطبيـــة مثل المارستـــانات بمختلف أنواعها سواء الثابتة أو المنقولة وأُرصدت لها الأموال لتوفير اللوازم الضرورية من دواء وطعام ولباس وآلات للجراحة والتضميد وصيدليات لصرف الأدوية وحتى مرتبات شهرية وإعانات مالية للمرضى وغيرها، لذلك سنستعرض خدمات الجراية الصحية بالبيمارستانات العباسية.

- **بيمارستانـــات بغـــداد:**

1)- بيمارستان أبي الحسن علي بن عيسى الجراح:

في عام 302هـ/914م بنى الوزير أبو الحسن علي بن عيسى (ت:334ه/945 م) مارستانا بالخريبة وأنفق عليه من ماله، وقلده أبا عثمان سعيد بن يعقوب الدمشقي متطيبه، وهو أحد النقلة المجيدين، وكان منقطعا له[92].

وأنفق عليه من ماله، وكتب إلى متولي الوقف الخاص بالبيمارستانات (يجب أن يدفأ المرضى و الممردين- المجانين- بالأغطية والكسوة والفحم، ويقام لهم القوت ويصل إليهم العلاج)[93] إلا أنه لا تذكر المصادر أوقافا لهذا البيمارستان، ومع ذلك فإن عدم الإشارة لا يعني أنه لم ترصد له النفقات المالية الكافية لتقديم الخدمات اللازمة للطعام والدواء وغيرها، لما عرف هذا الوزير من أعمال الخير والبر فقد كانت جرايته من الأموال تجري على نحو خمسة وأربعين ألف إنسان جرايات تكفي حاجاتهم[94].

وكان يستغل ضياعه في السنة سبعمائة ألف دينار ويخرج منها في وجوه البر ستمائة ألف دينار وستين ألف دينار، وينفق أربعين ألف دينار على خاصته، وكانت غلته عند لزوم بيته وعزله عـــن الوزارة نيفا وثمانين ألف دينار، ينفـــق على نفسه وخاصته ثلاثين ألف دينار، ويصرف الباقي في وجوه البر[95].

أمام هذا اليسر المالي وما عرف عن هذا الوزير من أفعال البر والإحسان والإنفاق في وجوه الخير فلا شك أن بيمارستانه قد ناله حظ وافر من هذه الأمـــوال، لأنه لا يعقل أن ينفق هذه الأمـــوال ولا يخص بيمارستانـــه بنصيب منها.

2)- البيمارستان الصاعدي:

كان ببغداد في عهد الخليفة المعتضد (279-289 هـــ/892-901م)، وكانت نفقاته وأرزاق المتطببين والكحالين، ومن يخدم المرضى المجانين

والبوابين والخبازين، وأثمان الطعام والأدوية والأشربة التي تقدم لمرضى المارستان 450 دينارا في الشهر[96].

3)- بيمارستان المقتـــدر:

المعروف بالبيمارستان المقتدري الذي أنشأه الخليفة المقتدر (295-319هـ/907-931 م) سنة 306 هـ/918م بإشارة من الطبيب سنان بن ثابت بن قرة الحراني، وجعله عند باب الشام، محلة كانت بالجانب الغربي من بغداد، وسمي هذا المارستان بالمارستان المقتدري[97]، وكان يجري عليه كل شهر مائتي دينار[98]، وكان مبلغ نفقته في العام 7000 دينار في السنة من الخليفة المقتدر[99].

4)- بيمارستان السيدة أم المقتدر:

بنته السيـــدة شغب أم الخليفة المقتدر سنة 306 هـ/918م وفتحه الطبيب سنان بن ثابت، وكان موقعه بسوق يحي بالجانب الشرقي من بغداد، بين الرصافة ودار المملكـــة التي كانت عند جامع السلطان بين بساتين الزاهر على شاطئ دجلة، وبلغت جرايات النفقة عليه في كل شهر ستمائة دينار[100]، وسبعة آلاف دينار كل عام[101]، على يدي يوسف بن يحي المنجم، لأن سنانا لم يدخل يده في شيء من نفقات المارستان[102].

5)- بيمارستان ابن الفرات:

بناه الوزير ابن الفرات قبل القبض عليه من الخليفة المقتدر وعزله، وفي سنة 313 هـ/925 م عين الوزير أبو علي محمد بن عبيد الله بن يحي بن خاقان وزير المقتدر بعد ابن الفرات على إدارته الطبيب أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة، وقد كان ابن خاقان يجري على المارستان من ماله مائتي دينار كل شهر كنفقات للخدمات التي تقدم للمرضى المقيمين به[103]، وكان هذا المارستان عبارة عن جامعة خصصها الوزير ابن

خاقان للموظفين العاملين تحت إمرته، وكان يحق لهم التداوي فيه، ونيل مختلف أنواع العلاج والعناية بلا مقابل[104].

6)- بيمارستان الأمير أبي الحسن بجكم:

أنشأه الأمير أبو الخير أمير الأمراء أبو الحسن سنة 329 هـ/940م بإشارة من الطبيب سنان بن ثابت، وقد أقيم هذا المارستان فوق ربوة على الشاطئ الغربي من دجلة حيث كان قصر هارون الرشيد، وقد بناه احتسابا للأجر من الله تعالى ورحمة وشفاء للناس، لما عرف عن هذا الأمير من صلاح وحب للخير وعطفا على الضعفاء والمساكين وقد أجرى عليه أموالا عظيمة، واستمر هذا المارستان زمنا طويلا، ثم جدده عضد الدولة سنة 368هـ/987م، وأعيد فتحه سنة 371 هـ/981م، وزوده بالأطباء والخزان والوكلاء والحرس [105].

7)- بيمارستان معز الدولة بن بويه:

أنشأه معز الدولة بن بويه سنة 355 هـ /965 م، وكان بناؤه في موضع السجن الجديد ببغداد، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وأن يكون مغلّ الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار إلا أنه مات قبل أن يكتمل بناء البيمارستان[106].

فقد كان في أوقافـــه مستغلات في منطقـــة الرصافة، وضياع في منطقة كلواذي و قطربل وجرجرايا بلغت عوائدها المالية نحو الخمسة آلاف دينار، فضلا عن بناء قناطر على الخندق في الياسرية والزياتين ببغداد جعل عوائدها المالية جراية على المستشفى[107].

8)- البيمارستان العضـــدي:

أما البيمارستان العضدي فقد أنشأه عضد الدولة بن بويه في الجانب الغربي من بغداد، وافتتح في صفر سنة 372هـ/982 م، وهو من أكبر البيمارستانات، ولشهرته سميت المنطقة التي بني بها بسوق المارستان[108]، حتى قيل أنه ليس له مثيل في الدنيا. ورتب فيه الأطباء والخدم والوكلاء والخزان، ونقل إليه من الأدوية والأشربة والعقاقير شيء كثير وكل ما يحتاج إليه[109]، فغرم عليهم مالا عظيما، وأعد له من الآلات ما يطول شرحه[110]، واجتمع فيه من الأطباء أربعة وعشرون طبيبا[111]، يعالجون المرضى، ويطبخون الأدوية، والخليفة يجهزهم بما يحتاجون إليه من الأدوية[112].

ومن الذين وقفوا على المارستان العضدي شباشي الحاجب (ت: 408 هـ/1017م) فقال ابن كثير عن أوقافه (وقف دباها على المارستان وكانت تغل شيئا كثيرا من الزروع والثمار والخراج)[113]، والواضح أن هذه الأوقاف هي جرايات تتعلق بالطعام والأموال لتقديم الخدمات الصحية لمرضى المارستان.

وأورد ابن الجوزي في حوادث سنة 408 هـ/1017م عن أوقاف "دباها" أن عوائدها السنوية من الغلة (كان ارتفاعها أربعين كرا وألف دينار) [114].

وفي سنة 501 هـ/1107 م حظي البيمارستان العضدي بمساعدة مالية من طرف السلطان محمد شاه السلجوقي عندما زار بغداد، وذلك بعد أن عولج فيه بعض غلمانه، فبعث بمائة ألف وقال تصرف في مصالح المارستان[115].

و في حدود منتصف القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كانت بالمارستان العضدي بناية تدعى دار المارستان يأوي إليها المجانين الذين يؤثر فيهم حر الشمس وقيظها، فيقيدهم الأطباء السلاسل ويمكثون بالمارستان

و يعيشون على نفقة الخليفة، ويتفقدهم أطباؤه مرة في كل شهر فيطلقون سراح من برء منهم[116].

وأعيد ترميم هذا المارستان سنة 448 هـــ/1056م في عهد الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـــ/ 1030-1074م)، وزوده بمختلف الأدويـــة والعقاقير النادرة والفـــرش واللحف والعطور والأســـرة والأطبـــاء والمستخدمين[117]، وجعل فيه الحمامات وبستانا كبيرا فيه مختلف أنواع الثمار[118].

وقد وصفه ابن جبير حين زار بغداد سنة 580 هـــ/1184م بأنه من جملة الخدمات التي كانت تقدم به جرايات الطعام المتمثلة في الأغذية التي كانت تقدم به فقال (وتتفقده الأطباء كل يوم اثنين وخميس، ويطالعون أحوال المرضى به، ويرتبون لهم أخذ ما يحتاجون إليه، وبين أيديهم قومة يتناولون طبخ الأدوية والأغذية) [119].

وأعاد زرع بستانه بمختلف أشجار الفاكهة، وكانت تدخر به ما يجرى على المرضى من الأطعمة فزوده بمخازن للأغذية المتنوعة، والفاكهة المجففة، والسكر[120]، وقد أشار ابن جبير إلى أن البيمارستان كان يقدم به الطعام المجاني للمرضى[121].

9- بيمارستان تتش السلجوقي بباب الأزج:

وهو من بيمارستانات العصر السلجوقي بباب الأزج، إحدى محـــلات بغداد وينسب إنشاؤه إلى خمارتكين خادم تاج الدولة تتش بن ألب أرســـلان، الذي أنشأه سنة 507هـــ/ 1113م[122]، وزود هذا المارستان بالفحم والكسوة ومؤن الطعام والدواء لفترات طويلة[123].

وقد ذكر ياقـــوت الحمـــوي عما بناه الخادم خمارتكين ببغداد وهي المدرسة والمارستان والرباط فقال (وجميع ما ذكرناه في بغداد موجود

معمور الآن جار على أحسن نظام، عليه الوكلاء يجبون أمواله ويصرفونها في وجوهها) [124].

وفي النص دلالة واضحة عن رصد الأموال لهذه المؤسسات التنشية التي أنشأها خمارتكين، ومن بينها المارستان، من أجل أن تستمر في تقديم خدماتها الخيرية.

ويبدو أن هذا المارستان التنشي ظل قائما يقدم الخدمات الطبية إلى مطلع القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وما يؤيد ذلك ما ذُكر أن أبا الحسن الدوتائي قد توفي بهذا المارستان سنة 607 هـ/1210 م[125].

- **بيمارستان واســط:**

أنشأه مؤيد الدولة أبو علي الحسن بن الحسن الرُّخَّجي البويهي، وزير شــرف الدولة بن بهــاء الدولة، مدبر دولة الخليفة القــادر سنة 413هـ/1022م، وهو من المارستانات الوقفية في العراق، ويعرف بالمارســتان المؤيدي، وأكثر فيه من الأدويـــــة والأشربة والعقاقير ورتب له الخزان والأطباء وغير ذلك مما يحتاج إليه[126]، ووقف عليه الوقوف الكثيرة، وفرض له أموالا تنقل من بيت المال[127].

- **بيمارستانات منطقة الجزيرة:**

1)- البيمارستان الفارقي بميافارقين:

ذكر أن سبب بناء هذا المارستان هو أن نصير الدولة بن مروان صاحب ديار بكر في أيام الخليفة القائم بأمر الله (422-467 هـ/1030-1074م) مرضت ابنة له وتأثر لمرضها كثيرا فنذر إنْ برئت أن يتصدق بوزنها دراهم، فلما عالجها زاهد العلماء منصور بن عيسى النسطوري وبرئت مما كانت تشكو منه، أشار على نصير الدولة أن يجعل هذه الدراهم التي

يتصدق بها تكون في بناء مارستان ينتفع به الناس، ويكون له به أجر عظيم وسمعة حسنة، فأمر نصير الدولة ببناء المارستان بميافارقين، وأنفق عليه أموالا كثيرة ووقف عليه أملاكا تدر عليه بأموال طائلة، تجري على مرضى المارستان، وتكفل حاجتهم من الطعام والدواء والكسوة والإقامة اللائقة، وجعل فيه من الآلات وكل ما يحتاج إليه شيئا كثيرا جدا[128]، مما حقق له شهرة كبيرة على صعيد قدرته في تقديم الخدمات الطبية للمرضى كافة، كما اتخذ بهذا المارستان مجلس علمي يترأسه زاهد العلماء ويجيب على المسائل و الجوابات[129].

2)- بيمارستان الموصل:

ذكر ابن كثير في حوادث سنة 572 هـ/1176م أن الأمير مجاهد الدين قايماز نائب قلعة الموصل قد بنى (جامعا حسنا ورباطا ومدرسة ومارستانا متجاورات بظاهر مدينة الموصل)[130]، وأوقف عليه الأوقاف[131]، من غير تفاصيل تتعلق بتلك الوقفيات، أو بطبيعة الخدمات المقدمة، ومهما يكن من أمر فإن عوائد هذه الأوقاف لا تخلوا من أن تكون عينا أو رزقا لمرضى المارستان وإنفاقا في شؤونه المختلفة، وتولى شؤون المارستان الحسن بن علي بن سعيد بن عبد الله علم الدين أبو علي الشاقلاني من طرف جمال الدين بن محمد بن علي بن أبي منصور وزير الموصل، وقد ذكر ابن جبير عندما زار الموصل هذا المارستان (وأمامه مارستان حفيف من بناء مجاهد الدين المذكور) [132].

- **بيمارستانات الشـــام:**

لقد قام بعض الباحثين[133] بإحصاء البيمارستانات الموجودة في بلاد الشام لاسيما في القرنين السادس والسابع الهجريين الثاني والثالث عشر الميلاديين

فأحصيت تسعة بيمارستانات، منها ثلاثة بدمشق، وهي (المارستان الصغير) و(مارستان باب البريد) و(المارستان الكبير النوري) الذي أنشأه السلطان نور الدين محمود، ومنها مارستان حلب ويسمى (النوري) أيضا نسبة إلى منشئه، ومنها مارستان حماة، ومارستان القدس الذي يسمى المارستان الصلاحي نسبة إلى منشئه صلاح الدين الأيوبي، ومارستان عكا الذي أنشأه صلاح الدين أيضا، والمارستان القيمري نسبة إلى منشئه سيف الدين أبي الحسن علي بن يوسف القيمري، ومارستان الجبل بقرية نيرب بالقرب من دمشق[134].

وهي المؤسسات الصحية التي صرحت المصادر بوجودها ببلاد الشام في تلك الفترة، إلا أنها لم تزودنا بالأخبار الكافية عن تلك البيمارستانات من حيث تاريخ نشأتها، وعن طبيعة الخدمات التي كانت تقدم بها من طرف واقفيها ومنشئيها، والأموال المرصودة لها، إلا أن المصادر قد خصت الحديث عن المشهورة منها مثل البيمارستان النوري الكبير.

البيمارستان النوري الكبير بدمشق:

وقد بني هذا المارستان على مرحلتين، الأولى وتضم البناء الأساسي في عهد نور الدين محمود سنة 549 هـ/ 1154م، والثانية حين وسعه الطبيب بدر الدين بن قاضي بعلبك سنة 637 هـ/ 1239م، وأضاف إليه دورا كانت حوله ليزيد في قدرة إستعابه للمرضى[135]، وهو أحد ثلاثة بيمارستانات التي شيدت في دمشق، وهي البيمارستان الدقاقي، و النوري، والقيمري[136].

وهو أكثر البيمارستانات شهرة، وذلك لإحكام التنظيم فيه، وكثرة الأطباء الذين مارسوا به التطبيب[137]، قال عنه ابن الأثير: (و بنى المارستانات في البلاد ومن أعظمها البيمارستان الذي بناه بدمشق، فإنه عظيم كثير الخراج،

بلغنـــي أنه لم يجعله وقفا على الفقـــراء فحسب بل علـــى كافة المسلميـــن من غني وفقيـــر، وكان أبناء صـــلاح الدين وأهله ليأخذون الأدوية من البيمارستـــان) [138].

وقد كان ابن أبي أصيبعة (ت: 649هـــ/1251 م) يتردد إلى بيمارستان نور الدين الكـــبير ولـــه الجامكية والجراية، والناس يقصدونه من كل ناحية لما يجدون في مداواته من سرعة الشفاء وأن أمراضا كثيرة مما تكون مداواتها بالحديد يبرئها بذلك على أجود ما يمكن، ومنها ما يعالجها بالأدوية ويبرئها بها ويستغني أصحابها عن الحديد[139]، وقد ذكر ابن أبي أصيبعة عن نفسه: (وكان لي أيضا في ذلك الوقت- حوالي سنة 632 هـــ/1234 م- مقرر جامكية وجراية لمعالجة المرضى في هذا البيمارستان) [140].

وقال عنه ابن كثير (وبنى بدمشق بيمارستانا حسنا لم يبن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضا)[141].

وذكر في سبب بناء هذا المارستان أن السلطان نور الدين أسر أحد ملوك الفرنجة في إحدى غزواته فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ الفداء فاختلفوا عليه، ثم حسن في رأيه إطلاقه وأخذ الفداء، فحين رجع الملك الأسير مات ببلده، فأعجب نور الدين ذلك، وابتنى من ذلك المال البيمارستان الذي بدمشق[142].

وكان البيمارستان النوري يقدم الخدمات الطبية من جهة ويعالج المرضى ويأوي إليه من يحتاج منهم إلى إيواء، ويقدم العلاج والأدوية، وفيه جناح للأمراض العقلية، وكان من جهة ثانية مدرسة للعلوم الطبية، حيث تقدم فيه الدروس للطلبة[143].

وقد رصد له نور الدين الأوقاف والجرايات ومما اشترطه أن من جاء مستوصفا فلا يمنع من شرابه، ولهذا لما جاء إليه شرب من شرابه، وذكر أن

هذا المارستان لم تخمد نار مطبخه منذ بني إلى زماننا هذا أي زمن ابن كثير[144].

وقيل عن وفرة الطعام بهذا البيمارستان أن بعض الناس أصبحوا يتمارضون ليدخلوا إليه ويأكلوا و يتمتعوا بأطيب الأطعمة المختلفة التي تجرى على المقيمين به من المرضى.

➢ **بيمارستانات مصر:**

1)- بيمارستان ابن طولون أو العتيق:

من البيمارستانات التي أنشأت بمصر مارستان أحمد ابن طولون أو المارستان العتيق، ويعرف كذلك بالمارستان الأعلى[145]، تم إنشاؤه سنة 259 هـ/872 م وقيل سنة261هـ/874 م، ذكر أن مبلغ تكلفته 60000 دينار[146].

ويعد مارستان ابن طولون أول مارستان أنشأ بمصر ومكان بناءه الفسطاط[147]، وشرط ألا يعالج فيه جندي ولا مملوك إلا المرضى من العامة والمجانين وغيرهم، وألحق به حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأجرى عليه عوائد مالية تضمن بقاءه، وكان يتعهده بنفسه كل يوم جمعة حتى ساءه أحد المجانين فقطع زيارته[148].

وحبس عليه دار الديوان ودوره في الأساكفة والقيسارية وسوق الرقيق، وشرط إذا جيء بعليل تنزع عنه ثيابه ونفقته وتحفظ عند أمين المارستان ثم يلبس ثيابا ويفرش له ويغذى ويراح بالأدوية والأغذية والأطباء حتى يبرأ، فإذا أكل فروجا ورغيفا أمر بالانصراف، وأعطي ماله وثيابه[149].

ويبدو أن العوائد المالية للأوقاف المرصدة لهذا المارستان كانت كثيرة ومتنوعة، بين أسواق وقيساريات ودكاكين وحمامين ودور لضمان إيرادات دورية تضمن استمرار الخدمات الطبية لمرضى المارستان.

أما البند الوارد في شروط الواقف بألا يعالج فيه جندي ولا مملوك، فهو رغبة الواقف ألا تحتكر خدمات المستشفى من قبل المتسلطين، ويحرم منها من هم في حاجة ماسة لتلك الخدمات من العامة والمعوزين.

و قد ظل مارستان ابن طولون يقدم الخدمـــات الطبية للمرضى حتى بعد انتهاء الدولة الطولونية، فقد زاره الخليفة الفاطمي الظاهر، وتفقد المجانين فيه، وأعطى لكل مريض 50درهـــما وللمشرف عليهم 500 درهم، وأوصى برعايتهم وتقديم الطعام والدواء لهم[150].

2)- البيمارستان الأسفل:

شيده كافور الإخشيدي بالفسطاط سنة 346 هـــ/957 م بمصر، وحبس عليه جميع ما بناه من قيسارية ودور وحوانيت وميضأتين وسقايتين وأكفان الموتى، وكان في هذا البيمـــارستان من الأزيار الصيني والقدور والنحاس والطسوت، وغير ذلك ما يساوي ثلاثـــة ألاف دينـــار، ونقل إليه من البيمارستان الأعلى الذي بناه أحمد ابن طولون أضعاف ذلك[151].

وظل هذا المارستان يقدم الخدمات الطبية إلى عهد الفاطميين، والظاهر أنهم استمروا في دعم بيمارستانات العصر السابق لعهدهم[152].

3)- البيمارستان الناصري أو الصلاحي:

بناه صلاح الدين الأيوبي على قصر للفاطميين سنة 577 هـــ/1181م، عندما استولى صلاح الدين على مصر سنة 567 هـــ/1171 م استولى على القصر واتخذ منه صلاح الدين مارستانا، وهو المعروف بالمارستان العتيق،

وقيل أن القاعة التي بذلك القصر مكتوب على حيطانها القرآن الكريم، ومن خواصها أنها لا يدخلها النمل لطلسم بها، ولما قيل ذلك لصلاح الدين قال هذا يصلح أن يكون مارستانا، وذكر كذلك أن قصر أولاد الشيخ من جملة القصر الكبير كان قاعة فسكنها الوزير الصاحب معين الدولة حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه في أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب فعرف به المارستان العتيق(153).

وجعل له صلاح الدين مشاهرة مبلغها مائتا دينار، و غلات، واستخدم له أطباء وكحالين وجرائحيين وشارفا وعاملا وخدّاما، ووجد الناس به رفق ونفع، و قد أخبر ابن جبير عن هذا المارستان عندما زار القاهرة سنة 578 هـ /1182م، وذلك في زمن صلاح الدين، وعن جرايات الطعام التي كانت تجرى على المرضى على النحو الذي يليق بهم (ومما شاهدناه في مفاخر هذا السلطان، المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة، حسنا و اتساعا، أبرز لهذه الفضيلة تأّجرا واحتسابا، وعين قيما من أهل المعرفة، وضع لديه خزائن العقاقير ومكنه من استعمال الأشربة وإقامتها على اختلاف أنواعها، ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرّة يتخذها المرضى مضاجع كاملة الكسى، وبين يدي ذلك القيم خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضـــى بكرة وعشية، فيقابلون من الأغذيـــة والأشربـــة بما يليق بهم)(154).

خامسا- مجانية العلاج و الخدمات في المارستانات الإسلامية:

فقد كانت المارستانات الإسلامية تقدم العلاج للمرضى الوافدين إليها بالمجان، فإذا اكتشف الطبيب الذي يقوم بالفحص الأولي أن المريض بحاجة لأن يقيم بالمارستان، يجعل له بطاقة شخصية يسجل فيها الطبيب تشخيصه

للمرض، وتصوراته حول أساليب العلاج، وتبقى معه هذه البطاقة طيلة إقامته بالمارستان. (155)

ويتحمل المارستان كل نفقات العلاج المتعلقة بالمريض وطعامه وشرابه وما يلزمه من الدواء طيلة إقامته بالمارستان، وعند خروجه منه يعطى مبلغا من المال يعتمد عليه حتى يبرأ، ويتمكن من التكسب(156).

وهناك من الأطباء المسلمين من جعلوا بيوتهم أشبه بالمارستان لمعالجة المرضى دون مقابل مثل الطبيب الطيب القطيعي أبو عبد الله، فقد كان بيته ملجأ للمرضى الضعفاء فيعمل على علاجهم، ورعاية صحتهم، وإطعامهم بالمجان وإعطائهم الأموال التي يستعينون بها(157).

وكان المريض المقيم بالمارستان يعالج مجانا ويتولى المارستان نفقات العلاج والطعام له، فيخصص للمريض المقيم بالمارستان سرير مفروش بأفرشة لائقة، ويعطى الدواء الذي وصفه له الطبيب، والغذاء الذي يناسب حالته الصحية، فيقدم له لحوم الأغنام والأبقار والطيور والدواجن، وكان يمنع من الأطعمة التي لا تناسبه(158).

وقد كان الخلفاء والأمراء يتفقدون أحوال المرضى المقيمين بالمارستانات بأنفسهم(159)، فقد كان مجاهد الدين قايماز يدخل إلى المارستان الذي بناه بالموصل ويقف على أحوال المرضى، ويسأل عن ظروف إقامتهم، وما يشتهونه من الأطعمة، وكان يتفقد داره التي أقامها للمرضى والعميان، وقرر لهم ما يحتاجون إليه كل يوم، وكان يأتيهم بنفسه في يوم الاثنين والخميس، ويزور كل واحد منهم في بيته ويسأله عن حاله، ويتفقده بشيء من النفقة، ويباسط المرضى ويمزح معهم ، ويجبر قلوبهم(160).

وكذلك كان عليه الأمر بالمارستان الذي بناه السلطان صلاح الدين بمدينة القاهرة الذي كان بمثابة قصرا من القصور الرائقة حسنا واتساعا، وضعت

به الأسرة التي يتخذها المرضى كمضاجع كاملة الكسى، وجعل فيه خدمة يتكفلون بتفقد أحوال المرضى ويعطونهم من الأغذية و الأشربة التي تليق بهم[161].

وقد كان يعالج أصحاب الأمراض العقلية والنفسية مجانا، فقد ذكر أن عبد الغافر السروستاني غلب عليه العشق حتى حمل إلى المارستان ببغداد وقيد، وظل مقيما به حتى عفي مما ابتلي به[162].

وقد كان ببعض مرافق بيمارستان صلاح الدين بالقاهرة موضع متسع الفناء فيه مقاصير عليها شبابيك الحديد اتخذت كمحابس للمجانين، ولهم من يتفقد أحوالهم ويقابلها بما يصلحها، وقد كان السلطان صلاح الدين يتابع تقديم تلك الخدمات بنفسه[163].

وقد كان أطباء المارستان يحصلون على أجور من الدولة لقاء عملهم، أو من العوائد المالية التي يتحصل عليها المارستان من أموال الأوقاف، وكانت هذه الأجور تتماشى مع المرتبة العلمية لكل طبيب وهي تتراوح بين خمسة عشرة وخمسة وعشرين دينارا في الشهر بالإضافة إلى بعض الخدمات الثانوية التي يؤمنها المارستان للطبيب المنتمي إليه مثل السكن وعلف الدابة ، وقد تبارى كثير من الأطباء في معالجة المرضى المعوزين مجانا، فضلا عن الخدمات المجانية التي كان يقدمها المارستان[164].

هوامش:

[1] – عامر النجار: في تاريخ الطب في الدولة الإسلامية، دار الهداية، القاهرة، ص41–42.

[2] – سورة الإسراء الآية 82.

[3] – سورة الأنبياء الآية 84.

[4] – عامر النجار: المرجع السابق، ص43.

[5] – أسماء يوسف أحمد آل ذياب: الرعاية الصحية والطبية في القــرن الأول الهجــري (1–101ه /622–719م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشارقة، السنة الجامعية 2010–2011 ، ص101–102.

[6] – فرج محمد الهوني: تاريخ الطب في الحضارة العربية الإسلامية، الدار الجماهريــة للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، مصراتة، 1986 ،ص193.

[7] – ابن أبي أصيبعة موفق الدين أبو العباس أحمد بن قاسم بن خليفة بن يونس الســعدي الخزرجي: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، منشــورات دار مكتبــة الحياة، بيروت، ص47.

[8] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص193. سعيد إســماعيل علــي: المرجــع الســابق، ص532. نزيه شحادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربيــة، ط1، بيــروت، 2006، ص320.

[9] – عز الدين فراج: فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربي، القاهرة، (د،ت)، ص168.

[10]– سعيد إسماعيل علي: سعيد إسماعيل علي، معاهد التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، 1986، ص532.

[11] – مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار السلام، ط1، القاهرة، 1998، ص109.

[12]– فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص193–194.

[13] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص421.

[14] – ابن هشام أبو محمد جمال الدين الحميري المعافري: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى الســقا وآخرون، شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبــي وأولاده ، ط2، القــاهرة، 1375ه/1955م، ج1، ص325.

[15] – ابن هشام: المصدر السابق، ج2، ص239.

[16] – عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

[17] – أسماء يوسف: المرجع السابق، ص 111–112.

[18] – نفسه، ص ص 113–119.

[19] – علي حسين الشطشاط: تاريخ الجراحة في الطـــب العربـــي (مـــن القـــرن 3-7ه/ 9-13م)، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط ، المملكة المغربية، 1997، ج1، ص69.

[20] – عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

[21] – القلقشندي أبو العباس أحمد: صبح الأعشى في صناعة الإنشـــاء، تحقيـــق يوســـف الطويل، دمشق، ط1، دار الفكر، 1987، ج1، ص 431.

[22] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 175.

[23] – علي حسين الشطشاط: المرجع السابق، ج1، ص70.

[24] – عامر النجار: المرجع السابق، ص45.

[25] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص179 .

[26] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

[27] – الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط2، القاهرة، 1968.، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار الكتب العربية، ط1، بيروت، 1992 .ج6، ص 287. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1977.، ج4، ص246.

[28] – جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإســـلامي، منشـــورات دار مكتبـــة الحيـــاة بيـــروت، ج3، ص 208. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195.

[29]– ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج5، ص 424.

[30] – مؤمن أنيس عبد الله البابا: البيمارستانات الإسلامية حتى نهاية الخلافـــة العباســـية، رســـالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009، ص17.

[31] – أسماء يوسف: المرجع السابق، ص160-161.

[32]– فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص195- 196 .

[33]– نزيه شحادة: صفحات من الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، ط1، بيـــروت، 2006، ص330.

[34]– ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية في الموصـــل، دار الكتـــب الحديثـــة، القاهرة، ص171. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص17.

[35]– جرجي زيدان: المرجع السابق، ج 3، ص208.

[36] – عبد الحميد العلوجي: تاريخ الطب العراقي، بغداد، مطبعة أسعد، 1967، ص136. حنيفة الخطيب: الطب عند العرب، دار الأهليـــة للنشـــر والتوزيـــع، بيـــروت، 1986، ص203.

[37] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196.

[38] – ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص410.

[39] – أحمد عيسى بك: تاريخ البيمارستانات في الإسلام، دار الرائد العربـــي، بيـــروت، ط2، 1981، ص178.

[40] – نفسه، ص178. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص196. ضـــيف الله يحـــي الزهراني: المرجع السابق، ص410.

[41] – المقريزي: المصدر السابق، ج4، ص 267. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208–209. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

[42] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.

[43]– مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص18.

[44] – الزهراني، ضيف الله يحي: النفقات وإدارتهـــا فـــي الدولـــة العباســـية مـــن ســـنة (132 هـــ/243 هـــ)، مكتبة الطالب الجامعي، ط1، مكة، 1986، ص411.

[45] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيـــق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج23، ص28.

[46]– ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص411.

[47] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302. مؤمن أنيس عبد الله البابـــا: المرجـــع السابق، ص19.

[48] – ابن كثير: البداية والنهاية، دار هجر للنشر والتوزيـــع والإعـــلان، ط1، الجيـــزة، 1997.، ج14، ص807. فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص197.

[49] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص183.

[50] – ابن الجوزي: المنتظم، ج13، ص178. السيوطي: تاريخ الخلفاء، دار الغـــد الجديـــد، ط1، القاهرة، 1428 ه/2007 م.، ص 351.

[51] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807.

[52] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقـــاهرة، دار الكتـــب العلميـــة، ط1، بيروت، 1992.، ج3، ص216.

[53] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184.

[54] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184. ضيف الله يحي الزهراني: المرجع السابق، ص413.

[55]– الحميري محمد بن عبد المنعم: الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر، ط2، بيروت، 1980، ص197.

[56] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، ط2، بيروت، 1982، ج12، ص315.

[57] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص245.

[58] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص186.

[59] – ابن العبري أبو الفرج غريغوريس الملطي: تاريخ مختصر الـــدول، دار المســـيرة، بيروت، (د،ت)، ص172. ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص410.

[60] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص 189.

[61]– أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص189– 190.

[62]– نفسه، ص 190.

[63] – ابن الجوزي: المنتظم، ج16، ص240. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

[64]– السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 413. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع السابق، ص20.

[65]– كمال السامرائي: مختصر تاريخ الطب، دائرة الشؤون الثقافية والنشر، بغداد، (د،ط)(د،ت)، 1984، ج1، ص 613.

[66] – الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج23، ص156. الكتبي: فوات الوفيات، ج3، ص170.

[67]– الكحالة: أطباء أمراض العيون و الطبائعيون: الأطباء المختصون في الأمـــراض الباطنيـــة. ابن أبي أصيبعة، ص416.

[68]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416. البيضـــاوية بلكامـــل: البيمارســـتانات وأدوارها التطبيقية والتعليمية، يوم دراسي حول الثقافة أساس التفاهم والتطور والحـــوار، المعهد الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس، الرباط، 1998م، ص269.

[69]– عامر النجار: المرجع السابق، ص331. البيضـــاوية بالكامـــل: المرجـــع الســـابق، ص269.

[70]– البيضاوية بلكامل: المرجع السابق ،ص565.

[71]– محمد عبد الله أحمد القدحات: الحياة الاجتماعية في بغداد في العصر العباسي الأخير (656/575)هـــ، دار البشير، عمان، 2005، ص263.

[72]– النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنـــون الأدب، تحقيـــق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004، ج33، ص152.

[73] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص123. مؤمن أنيس عبد الله البابـــا: المرجـــع السابق، ص25.

[74] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص628، مؤمن أنيس عبد الله البابـــا: المرجـــع السابق، ص25.

[75] – زيغريد هونكة: شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون، وكمـــال الدسوقي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، ط8، بيروت، 1993، ص 229.

[76] – ابن الإخوة: ضياء الدين القرشي المعروف بابن الإخوة: معالم القربة فـــي أحكـــام الحسبة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1421 هـــ/2001 م، ص178.

[77] – ابن الإخوة: المصدر السابق، ص178– 179.

[78] – نفسه، ص179.

[79] – نزيه شحادة: المرجع السابق، ص331.

[80] – عبد الله ناصح علوان: التكافل الاجتماعي في الإسلام، دار السلام، ط5، القـــاهرة، 1983، ص 80.

[81] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج10، ص21.

[82] – مؤمن أنيس: المرجع السابق، ص27. أحمد أحمد بدوي: الحياة العقلية في عصـــر الحروب الصليبية بمصر والشام، دار نهضة مصر للطبـــع والنشـــر القـــاهرة، 1972، ص30.

[83] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[84] – ابن أبي أصيبعة، ص485 ــ 524 . مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع الســـابق، ص39.

[85] – البيضاوية بالكامل: المرجع السابق، ص278.

[86] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص 218.

[87] – الطبري: المصدر السابق، ج6، ص437. ابن الجوزي: المنـــتظم، ج6، ص287. ابن الأثير: الكامل، ج4، ص246.

[88] – فرج محمد الهوني: المرجع السابق، ص140 و196 و218.

[89] – جرجي زيدان: المرجع السابق، ج 3، ص208.

[90] – الطبري: المصدر السابق، ج8، ص142.

[91] – مؤمن أنيس عبد الله البابا:المرجع السابق،ص55.

[92] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص179.

[93] – ابن أبي أصيبعة: المرجع السابق، ص 302.

[94] – الصفدي: الـــوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط و تركـــي زكـــي، دار إحيـــاء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000، ج 21، ص246.

[95] – الصفدي: المصدر السابق، ج 21، ص245– 246 .

[96] – عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص137.

[97] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807. فرج محمد الهوني: المرجع الســـابق، ص197.

[98] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص183.

[99] – السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 351. خير الدين الزر كلـــي: الأعـــلام، دار العلـــم للملايين، ط15، بيروت، 2002، ج3، ص168.

[100] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص807.

[101] – ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج3، ص216.

[102] – عبد الحميد العلوجي: المرجع السابق، ص 137.

[103] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص184.

[104] – حنيفة الخطيب: المرجع السابق، ص207.

[105] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415. مؤمن أنيس عبد الله البابا: المرجع الســـابق، ص37.

[106] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص186.

[107] – رعد محمود البرهاوي: خدمات الأوقاف في الحضارة العربية الإسلامية إلى نهاية القـرن العاشر الهجري، المجمع العلمي، بغداد، 2002، ص192.

[108] – ابن جبير: المصدر السابق، ص201.

[109] – ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص410.

[110] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص189.

[111] – نفسه، ص 189.

[112] – محمد عبد الله أحمد القدحات: المرجع السابق، ص 263.

[113] – ابن كثير: المصدر السابق، ج 15، ص575.

[114] – ابن الجوزي: المنتظم، ج15، ص126.

[115] – عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص300.

[116] – مصطفى جواد وأحمد سوسة: دليل خارطة بغداد قديما وحديثا، مطبعـة المجمـع العراقي، 1958، ص 143.

[117] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص416.

[118] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص415– 416، مصطفى السباعي: المرجـع السابق، ص111.

[119] – ابن جبير: المصدر السابق، ص 201.

[120] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص195.

[121] – ابن جبير: المصدر السابق، ص201.

[122]– ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص220.

[123]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص302.

[124]– ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص15.

[125]– عبد الحسين مهدي الرحيم: المرجع السابق، ص303.

[126] – ابن كثير: المصدر السابق، ج15، ص594.

[127] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص197.

[128] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص198–199.

[129] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص198.

[130] – ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص519.

[131] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص200.

[132] – ابن جبير: المصدر السابق، ص 179.

[133] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص ص 229–232.

[134] – إبراهيم مراد: بحوث في تاريخ الطـــب والصـــيدلة عنـــد العـــرب، دار الغـــرب الإسلامي، ط2، بيروت، 1981، ص236.

[135] – عبد القادر الريحاني: العمارة العربية الإسلامية خصائصها وآثارها في ســـورية، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1979، ص109–110.

[136] – نفسه، ص108.

[137] – نفسه، ص236.

[138]– ابن الأثير: الباهر، ص 170.

[139] – إبراهيم مراد: المرجع السابق، ص239.

[140] – ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 706.

[141] – ابن كثير: المصدر السابق، ج16، ص481.

[142] – نفسه، ج16، ص486.

[143] – عبد القادر الريحاني: المرجع السابق، ص109.

[144] – ابن كثير: ج16، ص 486.

[145] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص68.

[146] – ابن كثير: المصدر السابق، ج14، ص 590.

[147] – المقريزي: الخطط، ج4 ، ص267.

[148] – نفسه، ج4، ص267. جرجي زيدان: المرجع السابق، ج3، ص208–209. فرج محمـــد الهوني: المرجع السابق، ص197.

[149] – أحمد عيسى بك: المرجع السابق، ص70.

[150] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص204.

[151]– أحمد عيسى بك: المصدر السابق، ص74.

[152] – رعد محمود البرهاوي: المرجع السابق، ص204–205.

[153] – أحمد عيسى بك، ص76– 77.

[154] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[155] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26. ابن كثير: المصدر السابق، ج11، ص 138.

[156] – محي الدين عبد الواحد بن علي التيمي المراكشي: المعجب في تلخـيص أخبـار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، (د،ت)، ج1، ص287.

[157] – التنوخي أبو علي المحسن بن علي القاضي: الفرج بعـد الشـدة، تحقيـق عبـود الشالحي، بيروت للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص309.

[158]– الرازي أبو بكر محمد بن زكريا: الحاوي في الطب، تحقيق هيـثم طعيمـي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2002، ص272.

[159]– المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص287.

[160] – ابن خلكان، ج4، ص116.

[161] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[162] – السبكي: المصدر السابق، ج7، ص173.

[163] – ابن جبير: المصدر السابق، ص26.

[164]– ابن أبي أصيبعة: المصدر السابق، ص 243.

الحاكمية التفاعلية وتنامي دور الشباب في الإقليم

– دراسة استكشافية إمبريقية لمدينة عنابة –

الأستاذة: لبنى أحمان
قسم علوم الإعلام والاتصال
جامعة باجي مختار – عنابة

ملخَص:

تركز هذه الدراسة على واحد من الموضوعات المعاصرة في الحاكمية، التفاعلية، والتي أخذ يتزايد الاهتمام بها في الوقت الحاضر. لقد تم اعتماد مفهوم " الحاكمية التفاعلية " وتوظيفها للدلالة على ارتباطات الأطراف المتداخلة في حاكمية الاقليم والتغيرات التي ارتبطت في أحد جوانبها بالإقبال المكثف للشباب على استخدام القنوات والشبكات التفاعلية. ولما كان الشباب طاقة حيوية وقوة تغيير فعلية فقد عمدت هذه الدراسة إلى فحص مكانة شباب مدينة عنابة في حاكمية الإقليم وهذا باعتماد أسلوب الدراسة الاستكشافية الإمبريقية؛ إذ تسنى لنا القيام بمحاولة نمذجة إطار إدماجي تشاركي لكل الشركاء يفعل التطبيقات الحيوية لتكنولوجيا القنوات التفاعلية.

الكلمات المفتاحية: الحاكمية التفاعلية، الإقليم، الشباب، الشبكات.

مقدمـــة:

يعيش العالم اليوم تحولات عميقة تأصلت في المجتمع من خلال ما جاءت به التطورات العلمية والتقنية الهائلة مركزة بشكل واضح في ثورة الاتصالات عبر شبكة الانترنت التي شكلت عمقا تتدفق فيه بشكل مستمر كل العناصر المعرفية والتجارية والثقافية والعلمية والترفيهية والاتصالية. لقد أفضت هذه الهيكلة والتركيبة الجديدة المتآلفة عنقوديا إلى فرض واقع اجتماعي جعل من الشبكات التفاعلية المختلفة قوى كامنة، تعمل على تشكيل ملامح عصر جديد اتسم بتغيرات جذرية، أدت في سياق ثورة المعلومات إلى بناء مجتمع المعلومات وتدشين بنى الاقتصاد المعرفي أو الاقتصاد الإلكتروني الذي انعكس تأثيره على أساليب عيش الأفراد وتعلمهم وعملهم، وعلى أساليب تعامل وتفاعل الحكومات مع المواطن أو المجتمع المدني.

فلم يعد الانترنت مجرد شبكة عالمية لتبادل المعلومات، بل إن انعكاسات استخداماتها قد اخترقت كل المجالات السياسية والإعلامية والاقتصادية والثقافية والعلمية والاجتماعية، لتصبح بذلك العلاقة بين التنمية وبين استخدام المعلومات وتوليد المعارف واضحة، وتستلزم تفعيل دور المشاركة بين فئات المجتمع في مختلف مراحل اتخاذ وتطبيق القرارات.

كل ذلك يستوجب تبني أسس حاكمية جديدة تسعى إلى الاستجابة لاحتياجات الأفراد الحالية وانتظاراتهم المستقبلية في ظل المسؤولية والشفافية والمحاسبة والمشاركة في صنع القرارات ورسم السياسات وتنفيذها.

الإشكاليـــة

إن الأطر الجديدة للتفاعلات والتعاملات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية التي رسختها الشبكات التفاعلية قد فرضت على الساحة الدولية

والمحلية أسسا حاكمية أكثر تفاعلا وديناميكية لما تحققه من مرونة زمنية. فمن جهة توفر التكنولوجيا الحديثة فرصا وإمكانيات متعددة للممارسة الفردية والجماعية. ومن جهة ثانية تمكن على المستوى التنظيمي السلطات العمومية من ممارسة دور أكبر فيما يتعلق بجودة تقديم الخدمات وتوزيع الأدوار والمسؤوليات بشفافية. وتتمظهر على المستوى الفردي في علاقة الفرد بالإقليم؛ التي تعد تقاطعا والتقاء لبناء التصورات، ودور هذا الأخير في وضع حيز لتطبيق مختلف السياسات العمومية وتقييم لدرجة التمكين المحققة. بتعبير آخر بناء السلم المناسب لمناقشة كل القضايا المرتبطة بحياة الفرد والمجتمع المدني بشكل أوسع في الإقليم.

إن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه إلا عبر إعادة النظر في الممارسات القائمة، وتحليل البنيات المؤسساتية؛ بإعادة صياغة قواعد وميكانيزمات لا شخصانية لتأطير الفعل والممارسة المؤسساتية في الإقليم الذي لم يعد مجرد معطى محدد مسبقا، وإنما باعتباره خلاصة بناء للواقع[1] من قبل مختلف الفاعلين. إن هذا الطرح يستوجب اعتماد مبادئ الشفافية والمشاركة الفعلية التي تجيز للمواطن الحصول على المعلومات والمعارف الدقيقة والموضوعية ليتمكن من المشاركة في صنع القرارات وتجسيدها والمحاسبة على نتائجها. إن هذا التوجه بدأ بالتأسيس لممارسة قائمة على التمكين والمرافقة وهي فلسفة جديدة تؤكد على أهمية إدارة السكان المحليين لشؤونهم المختلفة بما يحقق التنمية المحلية. ونظرا لارتباط التنمية المحلية بإقليم محدد فإن الدراسات في هذا المجال تعد بمثابة إعادة اكتشاف لمفهوم الإقليم، حيث تعرف **(DECOSTER, D-P., 2002)** التنمية المحلية بأنها سيرورة تجديد إقليمي جماعي مستديم[2]؛ إذ تتجذر هذه العملية في مدى الاندماج ودرجات التبادل المحققة بين الفاعلين الاقتصاديين والسلطات العمومية والمجتمع

المدني، مما يستوجب إعادة هيكلة سلم الحاكمية وهيكلة جديدة للفعل الجماعي الذي تجسد في القوى الجديدة التي أعادت تكوين تدفقات الفاعلين.

وعليه؛ تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة إبراز التحول في مرتكزات حاكمية الإقليم. فمن جهة أصبحت الشبكات التفاعلية الاجتماعية بمثابة فاعل أساسي يستمد مكانته من الإقبال والاستخدام المكثف لهذا النوع من الاتصال. ومن جهة ثانية تنامي تأثير الشباب باعتباره قوة تغيير حقيقية والرأسمال الاستثماري لكل إقليم. لذلك عمدت هذه الدراسة إلى توظيف مفهوم يتجاوز الطرح والمرتكزات المتعارف عليها في أدبيات الحاكمية ألا وهو " الحاكمية التفاعلية " تعبيرا عن قوة وتأثير هذه الشبكات في شتى مناحي الحياة الاجتماعية ومن خلالها تنامي دور الشباب في حاكمية الإقليم.

وعليه؛ وبهدف القيام بمحاولة نمذجة للحاكمية التفاعلية يمكن في ضوئها استكشاف واقع ومرتكزات الممارسة في مدينة جزائرية (عنابة)، اتجهت هذه الدراسة رأسا إلى فحص مكانة شباب مدينة عنابة في حاكمية الإقليم من خلال عدة متغيرات تمس مختلف جوانب الحياة الاجتماعية، وترتبط في وجودها بجملة الفاعلين المعنيين بحاكمية الإقليم، وهي المرفق العمومي، والقطاع المنتج والجمعيات.

منهجيـــة الدراســـة

إن التعريف المنهجي للدراسة هو أسلوب لتأكيد وجهة النظر حول الموضوع، وطريقة إنباء عن كيفية عرض وتقديم النتائج. إذ تندرج هذه الدراسة في إطار الدراسات الاستكشافية الإمبريقية غير الاستقصائية، على اعتبار جوهري مفاده أن تنامي دور الشباب في الإقليم ليس بفعل أطر تنظيمية مدركة. وإنما ذلك عائد للإقبال المكثف للشباب على استخدام شبكات

التواصل التفاعلية. ورغبة في القيام بعمل إمبريقي والتقرب قدر الإمكان من الميدان كان لابد من اختيار المقاربة النوعية وفق منهج الاستقراء التحليلي **(L'induction analytique)**. إذ سيوجه الميدان التحليل بتفضيل الالتقاء المباشر مع الفاعلين خاصة الشباب، مما سيمكننا من فهم وإدراك دوافع الفاعلين، وديناميكية السلوكات وخصائص الأفعال والعمليات من خلال تفضيل أسلوب التساؤل "كيف" وليس " لماذا " لأن ما يهمنا هو العمليات وليس المبررات، عبر إحصاء مختلف الفاعلين في حاكمية إقليم المدينة محل الدراسة وتصنيفهم بالتركيز على توصيف دقيق لمكانة الشباب التي نعتقد أنها تنامت من خلال الإقبال المكثف على استخدام شبكات التواصل التفاعلية. إن هذه المكانة تتضح من خلال توضيح طبيعة العلاقات الاتصالية القائمة في أبعادها المرتبطة بمستويين أساسيين:

المستـــوى الأول؛ ويرتبط بطبيعة المشاريع الموجهة للشباب، من حيث طرق تصميمها، توزيعها ومدى تنوعها واستهدافها لأكبر عدد ممكن من شباب المدينة.

أما المستـــوى الثاني؛ يتعلق بنوع الإشباعات المحققة في الإقليم بالنظر لهذه المشاريع؛ وهو ما سيوضح مدى الاشراك الفعلي لفئة الشباب في تصميم وإطلاق المشاريع؛ ومن خلالها رسم التصورات والتطلعات لنموذج حاكمية أكثر تفاعلية يستجيب لهذه التطلعات ويدمج فئة الشباب باعتبارها فاعلا أساسيا في كل عمليات البناء والتغيير المجتمعية. ولذلك مرت الدراسة بثلاث مراحل أساسية:

1. مرحلة معاينة **الفاعلين المؤطرين (Acteurs cadres)** على مستوى إقليم مدينة عنابة. والتي اعتمدت المقاربة الفهرسية لوصف وتصنيف فئات

الفاعلين والتي خلصت إلى تحديد أولي لثلاثة مجموعات من الفاعلين هي: السلطات العمومية، المؤسسات الاقتصادية وفئة المجتمع المدني. وقد تم اعتماد أداة المقابلة المفتوحة ونصف الموجهة مع هذه الفئة والتي بلغ عددها **45** مفردة. وهذا بهدف تكوين إطار أولي لمعرفة التفكير والطرح الأولي المتضمن في الإشكالية. أي استكشاف أولي للممارسة وللبرامج الموجهة للشباب قبل الذهاب لمقابلة الفئة المستهدفة في هذه الدراسة.

وعليه، تم إحصاء جميع المشاريع الموجهة لفئة الشباب على مستوى مدينة عنابة وقد تم اعتماد التقسيم الإداري النظامي المعتمد[3]. بإحصاء المشاريع الموزعة على القطاعات الإدارية وفقا لتحليل المراسيم التنظيمية والنصوص القانونية وتدقيقها تبعا للمقابلات التي تمت على مستوى القائمين على إدارة وتسيير هذه القطاعات. وقد استمرت هذه العملية من تاريخ أكتوبر **2012** إلى غاية جانفي **2013**.

2. مرحلة التعرف على **الفاعلين الشباب (Acteurs jeunes)** وقد تم التعرف عليهم من خلال الشبكة التنظيمية الوظيفية للتنظيم الإداري من حيث كونهم حملة المشاريع ورؤساء جمعيات أو تنظيمات أي منخرطون ولهم نشاط مميز بحكم انتمائهم النظامي والتطوعي. وقد جاء هذا بهدف استكمال الصورة المشكلة من خلال النتائج المتوصل إليها في المرحلة الأولى. لقد بلغ عدد الفاعلين الشباب المتعرف عليهم في هذه المرحلة 125 مفردة وبهدف تحقيق نوع من التكامل في هذه الدراسة بين المعطيات النوعية والكمية[4] فقد تم تصميم استمارة مكونة من عشرة محاور تمس مختلف جوانب الحياة في إقليم مدينة عنابة. حيث تنوعت الأسئلة بين أسئلة مفتوحة وأسئلة ذات الإجابات أو الاختيارات المتعددة وأسئلة القياس وفقا لسلم قياس. وهذا بهدف موضعة هذه الفئة في الإقليم والتعرف على

انتظارا تهم وتطلعاتهم فيما يخص جودة الخدمات والمشاريع، وعلاقاتهم بالفاعلين في الإقليم. واستمرت هذه العملية أربعة أشهر من مارس إلى جوان 2013.

3. في هذه المرحلة تم انتقاء عينة عشوائية ممثلة لإقليم مدينة عنابة حسب التنظيم المشار إليه سابقا مكونة من 80 مفردة تتراوح أعمارهم بين 15– 30 سنة وقد روعيت إجراءات التمثيل من حيث الانتماء والنوع، وهي معاينة مرت بعدة مراحل ــ لا يتسع المجال لتفصيلها في هذا المقام ــ استجابة لتحقيق مستوى من الموضوعية وتحقيقا لأهداف الدراسة. وفي هذه المرحلة تمت مقابلة الشباب وجها لوجه في مقابلات نصف موجهة تم تسجيلها لإيجاد التفسيرات والتعمق في فهم النتائج المتوصل إليها في المرحلتين السابقتين. للإشارة فإن تحديد الفئة العمرية للشباب تعرف العديد من التباينات لما تتميز به هذه المرحلة العمرية. ولذلك فقد ارتكز الاختيار في هذه الدراسة على العديد من المؤشرات السوسيولوجية والإجراءات التنظيمية المتعلقة بالتشغيل وغيرها. وقد استغرقت هذه العملية أربعة أشهر من سبتمبر إلى ديسمبر 2013.

أسس الحاكميـــة التفاعليـــة

في الواقع لا يوجد تعريف واحد وترجمة موحدة لمفهوم الحاكمية **(Gouvernance)**، ذلك أن هذا المفهوم عرف عدة استخدامات في مجالات كثيرة وبمعاني متباينة في المؤسسات والتنظيمات ولدى المنظمات الدولية. ودون الخوض في البعد التاريخي للمفهوم وتطوراته فإن تبني المفهوم من قبل الهيئات الدولية مكّن من تمييز ثلاثة ميادين كبرى على الأقل لتفعيل المفهوم: المستوى الدولي **(Gouvernance Globale)** مستوى الدولة

(Gouvernance d'Etat) وعلـــى مستـــوى المؤسسة **(Gouvernance d'entreprise)**. وبالموازاة مع هذه التجزئة النسقية لمستويات الممارسة يتم تفريع النظم والأنساق القائمة لأنساق فرعية بغرض توضيح حدود الممارسة في إطار التصور العام للمفهوم؛ مثل الحاكمية المحلية وحاكمية الإقليم وغيرها.

ورغم التباينات والدعوات التي صاحبت إطلاق هذا المفهوم خاصة بعد تبنيه من قبل الهيئات الدولية، والتي رأى فيها البعض نوعا من التسييس للفشل في إدارة الشؤون العامة للدول، فإنه يوجد إجماع لدى الباحثين والدارسين بأن المفهوم لا يمكن اختزاله في مجرد مبادئ التسيير والإدارة. فالحاكمية جاءت منسجمة والتطلعات المناهضة لطرق التسيير الكلاسيكية وإدارة الشؤون العامة للدول والمؤسسات، وهو ماجاء مع دعوات التأسيس لمبادئ الحكم الراشد.وعليه؛ يتضمن المفهوم في محدداته المعرفية ضرورة اعتماد بنيات مؤسساتية غير شخصانية تكفل تحقيق النجاعة والشفافية والإدماج الكامل لكل الشركاء دون استثناء، بمعنى اعتماد مقاربة شاملة إدماجية تشاركية وغير إقصائية.

تعرف الحاكمية بأنها " مجموعة من القيم والتوجهات التنظيمية التي تمكن المجتمع من تسيير سيروراته الاقتصادية والسياسية والاجتماعية على جميع المستويات بفضل التفاعل بين الحكومة والمجتمع المدني والقطاع الخاص، إنها الأداة التي تمكن المجتمع من تحقيق تفاهم وتوافق وعمل تعاوني"[(5)]. فالحاكمية تجمع الميكانيزمات والسيرورات التي تجعل المواطنين والمجموعات تفهم مصالحها وتتجاوز اختلافاتها وتباياناتها، بل تتقبلها بهدف ممارسة حقوقها وواجباتها القانونية على أكمل وجه.

وفي هذا السياق تجمع العديد من النظريات **(Pierre,2001)**[6] على أهمية اعتماد التسيير والإدارة التقاسمية والمؤسسات البينية بين القطاع العام، القطاع الانتاجي والقطاع الثالث الجمعوي. ونتيجة لهذا يقترب التنظيم السياسي من نموذج الشبكة. فتزداد بموجبه العلاقات الترابطية خاصة مع تطور الروابط الالكترونية التي تحقق التزامنية واللاتزامنية وتسمح بتبادل الأفعال في نمط حوار بين الفاعلين في الوقت الحقيقي[7]. الأمر الذي يؤدي إلى إيجاد حكم تفاعلي مبني على أساس التبادل المباشر بين مختلف الفاعلين عبر هذه القنوات والأجهزة والبرامج. من هنا تتضح معالم ما اصطلحنا على تسميته الحاكمية التفاعلية من حيث كونه يشير إلى الممارسة مقابل النظرية، وهي فعل اتصالي يتجاوز الحدود الكلاسيكية المتعارف عليها من خلال الشبكات والوسائط المتعددة.

بناء على ما تقدم فإن الربط بين مفهومي الحاكمية والتفاعلية في كلمة واحدة وهي " الحاكمية التفاعلية" جاء بهدف تفعيل وتجاوز الفعل التسويقي الذي يطرح في الدوائر والنقاشات الرسمية، والذي يعطي الكثير من الوهم. ولما ارتبطت التفاعلية في العديد من الجوانب بالديمقراطية وحرية الاختيار بين الوسائل والبرامج والمضامين والمشاركة والحوار[8]، جاءت محاولتنا لدمج الحاكمية بالتفاعلية لتحقيق نوع من القيمة المضافة للمفهومين وبالتالي تصبح الحاكمية التفاعلية تعبير يتجاوز الدلالات الجزئية للمفهومين منفصلين للدلالة عن سياق توليف للعديد من المبادئ والأسس التي يمكن تلخيصها في كون الحاكمية التفاعلية ترتكز وتعمل في ذات الوقت لتحقيق ما يلي:

- ✓ الديمقراطية التفاعلية بدل الديمقراطية النيابية
- ✓ المشاركة بدل الاستشارة
- ✓ الشراكة لتعميق الادماج

- ✓ التمكين عوض الدعم
- ✓ الشفافية والمساءلة

أ. **الديمقراطيـــة التفاعلية بدل الديمقراطية النيابية؛** وتتحقق من خلال المشاركة الفردية للمواطنين في القضايا والقرارات التي لها تأثير مباشر في حياتهم عبر تحديد جملة المطالب التي تحدد معالم السياسات العامة من قبل النظام بدل إنابة الممثلين للتعبير عن مطالبهم وتطلعاتهم. والنموذج التفاعلي يقتضي بدوره تفاعل السلطات مع هذه المطالب بالاستجابة لها عن طريق تحويلها إلى تشريعات وقوانين تدستر مساهمات مختلف الفاعلين وتشرعها، ليصبح النظام مجرد أداة ينتجها المواطن لتكون في خدمته[9]. ولا يقتصر دور المواطن في هذا النموذج على تحديد المطالب بل يتعداه إلى تقييم نتائج التشريعات والنصوص القانونية لمعرفة مدى تلائمها مع رغباته وتطلعاته؛ لإعادة ما لا يحقق ذلك للسلطة بغرض الوصول إلى الانسجام القائم على اتصال مباشر آني وتفاعلي من دون وساطة قد تعيق عملية تبادل وتدقيق المعلومات والمعارف في الاتجاهين.

ب. **المشاركـــة بدل الاستشارة؛** بحيث يصبح المواطن شريكا حقيقيّا في عملية صنع القرار وتنفيذه، ويقيم نتائجه بدل الاكتفاء بالاستشارة التي كثيرا ما تكون شكلية واستعراضية وغير ملزمة للمسيرين الذين ينفردون بتطبيق تصوراتهم تحت غطاء الاستشارة دون وجود تغذية مرتدة للعملية. ولذلك تمكّن القنوات التفاعلية بكل تطبيقاتها من الوصول إلى هذه المشاركة الآنية وفي الزمن الحقيقي[10]. والدليل على ذلك بعض التطبيقات الرائدة في الدول الإسكندنافية التي توصلت إلى ربط مسؤوليها وحتى وزرائها عبر الدوائر المتخصصة بالمواطنين لمتابعة المداولات

والنتائج المتمخضة عنها خطوة بخطوة بناء على معطيات الواقع والوعود الانتخابية التي قدمها كل تكوين سياسي.

ت. **الشراكـــة لتعميق الادماج**؛ وتعني خلق جو تعاوني بين جميع الأطراف بشكل متكافئ متكامل وشفاف عن طريق المساهمة والمعالجة المتساوية لمصالح كل الأطراف[11]. مما يؤسس لمناخ عمل قائم على الاعتراف بأحقية الطرف الآخر دون إنقاص أو تهميش، ويحتكم فيه على أساس الاستحقاق في كل المجالات والمستويات بإدراج قضايا واحتياجات جميع الأطراف ضمن الخطط والسياسات وإتاحة فرص التغيير.

ث. **التمكين عوض الدعم**؛ وذلك بتوسيع إمكانيات وقدرات الأفراد في المفاضلة بين البدائل والتأثير والتحكم في عوامل القوة والقدرة[12] التي تقرر وتؤطر الاختيارات وترسم مسارات النجاح وأساليب تحقيقها وتقييمها.

ج. **الشفافية والمساءلة**؛ وهما الركيزتان الأساسيتان في الحاكمية التفاعلية والتي ترتبط بسهولة تدفق المعلومات الدقيقة والموضوعية وسهولة استخدامها، والتحقق من وثوقيتها وصدقها ومصدرها. مما يسمح باتخاذ قرارات سليمة تولد نتائج تلبي الاحتياجات العامة بالاستفادة القصوى من الموارد المتاحة. بمعنى يصبح الانشغال الأساسي للقائمين على إدارة الشؤون العامة هو تعظيم المنفعة للقرارات المتخذة. إن هذا التعظيم لا يتحقق إلا مع اكتمال دائرة التغذية للقرارات والنتائج المرتبطة بنظام المساءلة.

الشبـــاب أداة لتعريف هوية الإقليم

يعتبر الشباب ثروة بشرية هائلة قادرة على مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل، وعلى تغيير المجتمع وتحديثه في كل الظروف التي يعيشها بما

يحقق التنمية. والحديث عن هذه الشريحة يقودنا بالضرورة إلى التساؤل عن تعريف هذه المرحلة الحياتية التي قال عنها **(Bourdieu P.,1980)** إنها مجرد كلمة تعني بناء مصطنع وايديولوجي بحت[13]. فالحقيقة الاجتماعية للشباب ــ كعمر من الحياة ــ تعني الانتقال أكثر من الحالة، أي المرور من عمر الطفولة إلى البلوغ. إلا أن هذا الممر لا يعني طبعا التخطي البسيط للعتبة الديمغرافية، بل معاناة للذات من منظور اجتماعي، كونه مرحلة تحضيرية للتمرن على أدوار الراشدين.إن هذا التعريف يجسد نظرة محدودة للشباب تبلور التعريف الكلاسيكي للبالغ أو للبلوغ كمرحلة حياة[14] تعرف بشغل أوضاع وأدوار اجتماعية عائلية مهنية أساسية؛ كامتلاك عمل وتكوين أسرة.

غير أن المنظور الحديث للشباب يجعل منه مرحلة تجريب تبنى فيها المكانة خطوة بخطوة، وتتطلب أقلمة التطلعات مع الفرص الصعبة المنال والتحديد أحيانا. مما يجعل من الشباب مرحلة انتقالية طويلة وغير مؤكدة؛ نميز فيها ثلاثة مراحل تحتية وهي: مرحلة المراهقة، مرحلة ما بعد المراهقة ومرحلة الشباب البالغ[15]. إن هذا التصور يركز على فكرة أن الدخول في حياة البلوغ أو الرشد تسبقه مرحلة تحضيرية جد طويلة، يجمع فيها الأفراد عبر مراحل جزئية الأصول الضرورية لنجاح هذا الدخول من نضج عقلي وجسمي واجتماعي، واكتمال الشخصية، واقتناء المهارات والمعارف، وتكوين العلاقات. لذا تتسم مرحلة الشباب بالديناميكية والمجالية والمرونة والطاقة، في ظل السعي لتحقيق واثبات الذات والقدرة على اتخاذ القرارات والإبداع والتغيير.

وعليه يتضح بأن الشباب هم حملة مستقبلهم الخاص ومستقبل مدينتهم أو إقليمهم بكل أبعاده الفيزيائية والقيمية والرمزية. ولهذا يتوجب تبسيط وتسهيل كل الصعوبات التي تعيق وصولهم للتكوين والثقافة والترفيه والسكن والعمل

والنقل وغيرها من الخدمات. إن ظاهرة الشباب في واقع الأمر ليست مشكلة، وإنما هي فرصة حقيقية للإقليم، فمن دون الشباب لا مجال للحديث عن الخلق والإبداع، ومن دون إبداع لا وجود للمشاريع التجديدية، ومن دون مشاريع لا وجود للمدينة كإقليم حي وديناميكي. لهذا السبب فالحاكمية التفاعلية للإقليم تعني الإيمان الجازم بالشباب والاستثمار فيه. فالشباب ليس مجرد فاعل يؤثر في الإقليم بل هو طموح وتطلع حقيقي لتطوير هذا الأخير. لهذا يتوجب على الشباب الإحساس بهذا الإقليم والعيش وفق منطق التفاعل الايجابي؛ كي يتمكن من المبادرة وتطوير مشاريعه الخاصة من خلال خياله وطاقته وقدرته على إدماج التكنولوجيات الجديدة والاندماج في الفضاء الرقمي، فهو القادر على حمل مسارات التغير والتطور للإقليم وتسريعها.

أبعـــاد الدراسة الميدانية

تربط هذه الدراسة بين الإقبال المتنامي للشباب على استخدام تكنولوجيات المعلومات والاتصال ومتطلبات الحاكمية التفاعلية التي تدفع باتجاه اعتماد أساليب أكثر تجديدية لدمج فئة الشباب عبر كل تفاعلاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية؛ باعتبارها فاعلا أساسيا وقوة تغيير لا كعنصر أو عامل مقاوم ومقوض للنظام. وعلى هذا الأساس ارتكزت الدراسة الميدانية على عشرة محاور أساسية تشمل مختلف أوجه الحياة الاجتماعية للشباب بمختلف تجلياتها في إقليم مدينة عنابة وهذا ما يوضحه الجدول الموالي الذي يبرز درجات الارتباط والثبات للمتغيرات التي صممت على أساسها الاستمارة.

الأبعـــــاد	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10
1. الحيـــاة في الحي	(0,75)									
2. الحيـــاة العائلية	0,38	(0,76)								
3. العمل والدراســـة	0,61-	0,03-	(0,72)							
4.الديـــن	0,10-	0,09-	0,19	(0,72)						
5. السياســـة، المواطنـــة	0,08-	0,04-	0,18	0,20	(0,71)					
6.المـــال	0,07-	0,05-	0,28	0,38	0,48	(0,69)				
7.العلاقـــات الشخصيـــة	0,06-	0,09	0,31	0,41	0,51	0,37	(0,74)			
8.العلاقة مع وسائل الإعلام	0,06-	0,18	0,29	0,28	0,41	0,37	0,40	(0,70)		
9.النشاطـــات والترفيـــه	0,07-	0,16	0,26	0,19	0,26	0,33	0,43	0,48	(0,73)	
10.الشـــاب والمجتمـــع	0,07-	0,19	0,16	0,17	0,08	0,09	0,12	0,11	0,19	(0,70)

يبرز الجدول وجود ارتباطات مقبولة مع درجات ثبات ذات دلالة إحصائية يمكن الاعتداد بها في ضوء تنوع وتشتت المتغيرات. ولما كانت هذه العناصر جد مترابطة ومتداخلة مع الفئات أو مجموعات الفاعلين في إقليم مدينة عنابة فقد قمنا بتفريغ البيانات وتحليلها وفق برنامج متخصص في المعالجة الإحصائية ثم عمدنا إلى مقاطعة النتائج وتركيبها.

نتائـــج الدراســـة

رغبة في عدم إثقال هذه الدراسة بالجداول والبيانات الميدانية، وتحقيقا لمبدأ التكامل بين المعطيات النوعية والكمية وبهدف إبراز الحاجات الأساسية للشباب وانتظاراتهم وتطلعاتهم ومقاطعتها بنتائج التشخيص المرتبط بالفاعلين المؤطرين، يمكن القول أن العلاقات الاتصالية للشباب مع الفاعلين المعنيين بحاكمية الإقليم يمكن إبرازها من خلال ستة محاور أساسية ترتبط بالجوانب

التنظيمية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية والثقافية وهو ما سيعطي صورة متكاملة عن إقليم مدينة عنابة. مما يمكن إجماله فيما يلي:

1. **اتصال الإقليم (المدينة):** اتسمت علاقة الشباب بالتعقد والمعاناة مع مستخدمي الإدارة من حيث عدم توفر المعلومات الضرورية في الوقت المناسب. حيث اعتبروا أن المصدر الأساسي للمعلومات عن نشاطات المدينة هم الأقارب وشبكات التواصل الاجتماعي. كما عبر **25%** من المبحوثين عن زيارتهم لموقع المدينة في الستة أشهر الأخيرة، وأكدوا صعوبة التواصل مع الموقع الذي لا يتميز بأية تفاعلية. ورغم أن الشباب يستهلك وسائل إعلام متنوعة دولية، ووطنية ومحلية، إلا أن الانترنت وشبكات التواصل الاجتماعي تتصدر هذه الوسائل باعتبارها الفضاء المؤدي إلى العالم الافتراضي؛ بما توفره من خدمات إعلامية ومعرفية وترفيهية وتواصلية خاصة مع ما يعيشه هذا الشباب من فراغ في حياتهم اليومية، وما يعانيه من مشاكل اجتماعية واقتصادية. لذا يرى غالبية المبحوثين أن شبكة الانترنت تعد فضاء لتحقيق ذواتهم من خلال المشاركة والتفاعل. في حين كانت نسبة أقل استهلاك تتعلق بالتلفزيون والصحافة المكتوبة اللذين اقتصر استخدامهما على متابعة الأخبار الرياضية.
2. **الحياة الاجتماعية في الإقليم:** أبرزت النتائج أن الشباب يواجه مخاطر العنف والإجرام والانحراف والتمييز داخل الأحياء التي يعيشها خاصة الأحياء الساخنة والفقيرة من جهة. ومن جهة أخرى يعاني فروقات التباين بين مختلف الأحياء، إذ كلما ابتعدنا عن المركز كلما زادت الفروقات، فجل الجمعيات والنشاطات والمؤسسات تتواجد وتتجمع في المركز. ومنه نستنتج أن الانتماء للحي قد صقل طباع وسلوكات

وتوجهات معينة تختلف عن شباب الأحياء الأخرى، مع وجود نوع من التصادم حول من هم أبناء المدينة الحقيقيين.

أما فيما يخص العائلة فتبقى دائما أحد المعالم الأساسية المحددة لشخصية الشاب، لما تتسم به العائلة الجزائرية من احتضان لأبنائها حتى سن الزواج بغض النظر عن السن. فللعلاقة مع العائلة تأثير قوي. إذ من خلال ما عاشه الشاب فيها ومعها تتحدد طموحاته ورغباته ونوع وأسس العائلة التي ينوي تكوينها في المستقبل، سواء بعد معاناة عائلية أو حياة مستقرة. إلا أن النتائج المتوصل إليها قد بينت سخط الشباب على درجة تحكم الآباء وعدم تفهمهم وخوفهم الزائد على أبنائهم بدل إكسابهم قيم المسؤولية والإبداع والانتماء والحرية؛ لكي يتمكنوا من مواجهة تحديات الحياة والاعتماد على أنفسهم بشكل سليم في نفس الوقت. ومن جهة أخرى نجد نسبة معتبرة من المبحوثين تؤكد على أهمية علاقات الصداقة ومجموعات الانتماء في الوقت الذي يؤجل فيه الذكور علاقات الزواج لما لها من متطلبات وتبعات اجتماعية. أما الفتيات فبناء أسرة يحقق لهن مكانة اجتماعية وإشباعا عاطفيا حقيقيا. فضلا على الأمن والاستقرار.

كما عبر غالبية المبحوثين ببساطة عن اعتقاداتهم ذات الإحاطات الغامضة من ممارسات وعلاقات مع "الله" وطقوس وإرث عائلي وعادات. فعلاقة هؤلاء الشباب مع الدين يمكن وصفها بالعلاقة التصالحية المرتبطة باعتقادات وممارسات مجزأة تدمج بين البعد الفردي والموروث الاجتماعي. فهي على العموم علاقة توافقية رغم خلوها من التأطير المؤسساتي، فقد أبدت فئة محدودة جدا لا تتجاوز نسبة 5% انتماءها لجمعيات دينية مما يفسر غياب اهتمام الجهات الوصية على هذا القطاع بوضع برامج تغرس المفاهيم والقيم الدينية التي تعمل على التنشئة السلوكية الدينية السليمة للشباب.

3. **الحيـــاة الاقتصادية في الإقليم:** لا يمثل الحصول على المال غاية بالنسبة لـــ30% من المبحوثين وإنما هو مجرد وسيلة للحصول على حياة مستقرة ومرتاحة (منزل، سيارة، ودخل مستقر). في حين رأت نسبة 40% أن المال أساس تحقيق الذات، فكل وسائل الثراء مشروعة بالنسبة إليهم طالما أنهم يعيشون في مجتمع تنتشر فيه تقانة الرشوة والمحسوبية والاستحواذ. أما البقية فيرون أنه لا مستقبل ولا قيمة للمال في هذا المجتمع، فحتى المال لا يمكنهم من الحصول على ما يطمحون إليه من مكانة ورفاهية، لذا فالحل بالنسبة إليهم يتمثل في الهجرة.

لقد بينت الدراسة الفجوة بين ما يرغب فيه الشباب وما يمكنه فعله حقا، مما جعل طموحات الشباب بسيطة وواقعية إلى حد ما فأحلامهم بالكاد محققة، فهم يرون أن قطاع الدراسة والتكوين بعيد كل البعد عن سوق العمل. إذ توجد حسب رأيهم قطيعة بين العالمين؛ مما جعلهم يترقبون بحذر مرحلة ما بعد التخرج. نظرا لغياب مشاريع وعروض العمل المشجعة للشباب والتي تفتح أمامهم المجال للإبداع. إذ يرى 75% من المبحوثين أن الشباب يعاني من التهميش والاستبعاد في سوق العمل؛ خاصة ما تعلق بعقود ما قبل الإدماج لأنها لا تشجع الفرد على مباشرة الحياة المهنية.

4. **الحياة السياسية والمواطنة في الإقليم:** أبدت نسبة معتبرة من المبحوثين تجاوزت 80 % فقدان الثقة في مبادئ الديمقراطية والحرية والمساواة والعدالة؛ مما جعلهم يعيشون قطيعة مع كل ما يمت بصلة للسياسة وممارستها. إلا أنهم يرفضون أن تختزل مواطنتهم في العزوف عن القيام بالواجب الانتخابي. فهم يتطلعون لتحقيق الأفضل لوطنهم إن أتيحت لهم الفرصة، وشعورهم بالانتماء إليه لا يزال نسبيّا ما لم يتمكنوا

من الحصول على حقوقهم في ظل الفوضى التي يرون أنها تسود المجتمع في الوقت الحالي.

5. **الحياة الثقافية والترفيه في الإقليم:** في الوقت الذي تساهم فيه الرياضة في تنشئة الشباب على أساس سليم ينمي قدراتهم الجسدية والفكرية والنفسية وتعلمهم الانتماء وضبط النفس والتعاون والالتزام نجد أن 65% لا يقومون بنشاطات رياضية أو ثقافية أو فنية بصفة نظامية رغم رغبتهم القوية في ذلك. وهذا راجع حسب رأيهم لعدم توفر المرافق الضرورية الملائمة لذلك. إلا أن ما يفوق الثلثين من الذكور يمارس رياضة كرة القدم للمتعة لأنها رياضة الشارع على حد قولهم. و في ذات السياق ينتمي البعض إلى جمعيات وأندية ذات نشاطات مختلفة مثل دار البيئة، ونادي الترفيه العلمي، وبعض الجمعيات الخيرية والثقافية.
6. **صـــورة إقليم مدينة عنابة:** نظرة الشباب للمدينة ليست بالايجابية عموما فعنابة فقدت الكثير من مميزاتها السياحية والثقافية والاجتماعية. كما تعاني نسبة كبيرة من المبحوثين من فكرة النظرة السلبية التي يكونها عنهم المجتمع؛ كونهم لا يملكون الخبرة وغير قادرين على تحمل المسؤولية والتفكير السليم، متهورين، مندفعين وغير واعين. وعليه فقد انعكس هذا الإحساس سلبا في علاقاتهم بالفئة العمرية التي تكبرهم، حيث يعيش هؤلاء الشباب وضعيات وعلاقات معقدة في تفاعلهم مع الفئات الاجتماعية الأخرى، مع اتساع دائرة التهميش وتزايد الفجوة بين الأجيال. وفي المقابل أبدت فئة محدودة عطفها وعلاقة طيبة مع كبار السن في المجتمع، ورغبتهم في الأعمال التطوعية، ولكن تدخل الانتهازيين الذين يحصدون النتائج ويستحوذون على الأفكار والمشاريع يحول دون استمرارهم واندماجهم في حياة المدينة.

في الأخير يمكن القول أن الشباب يتطلع لاتصال فعال عن فرص العمل والإدماج والنشاطات الموجهة إليه وزيادة النشاطات الثقافية والترفيهية والأماكن العمومية. فقد عبر 70 % من المبحوثين عن أهمية إدماج الشباب وضرورة إشراكهم في القرارات التي تخصهم. ورغم تفضيلهم للاتصال الجواري فهم يلحون على ضرورة الاستماع إليهم باستمرار وذلك لانعدام ندوات الاستماع فباستثناء بعض الجمعيات التي تخصص خطوطا خضـــراء للاستمـــاع للشباب الذين يعانون من صعوبـــات نفسية واجتماعيـــة فإن كل الخطوط المخصصة فـــي ظاهرهـــا لهذا الغرض إما مشغولة أو لا يرد عليها أحد.

ومقارنة بالاستراتيجيات الاتصالية الناجحة المطبقة في دول أخرى يفضل شباب مدينة عنابة مرافق الاستقبال والتوجيه والمجلات الالكترونية المتخصصة؛ خاصة إذا كان يديرها الشباب، مما يمكنهم من التعبير بحرية عن مختلف الرهانات المتعلقة بمدينتهم.

خاتمـــة

إذا كانت تكنولوجيا المعلومات والاتصال قد غيرت بشكل جذري المجتمعات وعلى جميع المستويات، فإنها استدعت في ذات الوقت تغيير منظومة الحاكمية بكل معاييرها ومسلماتها بحثا عن مقاييس ومصادر جديدة للفعالية والمسؤولية والنجاعة من خلال تكامل الأدوار القائمة على أسس التوافق والتعاون والشراكة. وفي هذا السياق يسود اعتقاد عام مفاده أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تدعم بشكل جلي الديمقراطية وتسهل عملية البحث في مشاكل المجتمع. وإذا كنا نتقاسم هذا الاعتقاد الذي يجد تبريره في العديد من المؤشرات والتطبيقات المرتبطة بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات،

إلا أننا على يقين بأن تعقد وتيرة العيش وتسارعها في مجتمعنا يزيد من هشاشة النظم القائمة؛ ذلك أننا نواجه بشكل مستمر مزيدا من المشاكل التي يتوجب اتخاذ قرارات حاسمة وسريعة بشأنها. بتعبير أدق ضرورة إيجاد العديد من الحلول والبدائل لتوسيع دائرة الاختيارات الممكنة لتحقيق نوع من المرونة الدائمة والحرص المستمر. وهذا السلوك أو التوجه ذاته يحتم اللجوء إلى هذه التكنولوجيات لإدارة الوقت والتحكم فيه والحلول والقرارات الدقيقة، وذلك لتضييق الفجوة بين العالم الافتراضي الذي يسبح فيه الشباب والواقع الحقيقي. بمعنى استغلال هذا الفضاء لبناء علاقة جديدة مع الشباب مبنية على أسس الشراكة والشفافية والتمكين.

ذلك أن علاقة الشباب بالإقليم علاقة بنيوية تتحقق من خلالها التنمية المستدامة كرهان أساسي للحاكمية التفاعلية التي تستوجب انخراطا مكثفا للشباب في فضاءات الحوار المصممة من قبل مختلف المؤسسات الشبابية، قصد استيعاب طاقتهم ورعايتهم وتنمية قدراتهم للتمكن من صياغة وبناء نظام ديمقراطي حواري تنموي متماسك. وهذا ما يخلق شبكات تفاعلية بين الشباب والأطراف الفاعلة في الإقليم (القطاع العام والخاص والجمعيات) في شكل منتديات للحوار تصمم من خلالها مشاريع يتم إشراك الشباب في إعدادها وإنجازها وتقييمها لإدماجهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

إن النجاعة المنتظرة لا يمكن تحقيقها إلا من خلال التخفيف من وطأة التحولات الاجتماعية التي يعيشها الشباب في غياب فرص العمل، وضعف هيئات وبرامج الحماية الاجتماعية الموجهة إليه، وتضييق دائرة التهميش والفجوة التكنولوجية الرقمية، بالعمل على تصميم برامج وهيئات تعمل

بالشباب ولصالحه، لتمكينه من تحقيق ذاته، وفهم حقوقه وأبعاد مسؤولياته للقيام بدور نشط في الإقليم.

هوامـــش:

[1]– ترتبط مكونات الإقليم بمفاهيم مثل الرأسمال الاجتماعي والتنمية المحلية وكلها مفاهيم تشير إلى علاقات التبادل والتفاعل التي تثور بين الفاعلين ففي الوقت الذي يعتبر فيه (Bourdieu P.) الرأسمال الاجتماعي مكسبا فرديا طور الأمريكي (Putnam R.) تيارا يربط الرأسمال الاجتماعي بالمجموعة، كون الفرد يتحول إلى فاعل في المجموعة التي ينتمي إليها. وفي ذات السياق اعتمد البنك الدولي أفكار (Woolcock) الذي صنف العلاقات في الاقليم إلى ثلاثة فئات: – الارتباط (bonding) المكون من العلاقات الخفية والمجموعات الإثنية – الاتصال مع الطبقات العليا (briging) – العلاقات المشتركة (linking). أنظر:

BIASETTI L., (2009) Analyse des perceptions et hiérarchisation des principes de développement durable du territoire, PCM.M2 ingénierie des projets et des politiques publiques, Montpellier.

[2]- DECOSTER D.P., (2002) Capital social et maillage du territoire, Contribution aux 3ème assises Wallonnes développement local à Gosseliers, Belgique, p1.

[3]– تم تقسيم تراب بلدية عنابة إلى قطاعات حضرية بموجب المرسوم التنفيذي رقم 89–284 المؤرخ في 24 جمادى الأولى عام 1419 الموافق لـــ 15 سبتمبر 1998. وبه تم تقسيم الحيز الترابي لبلدية عنابة إلى خمس قطاعات حضرية سميت بالقطاعات الحضرية: سيبوس، وادي الذهب، بوحديد، ابن باديس، سيدي عيسى، حيث وضحت حدودها الإقليمية ومهامها وتنظيمها وسيرها طبقا لأحكام المادة 182 من القانون رقم 90–08 المؤرخ في 7 أبريل 1990 .

[4]- المقصود بالتكامل بين المعطيات النوعية والكمية هو عدم إهمال أيّ من الأسلوبين؛ ذلك أن المعطيات النوعية تسمح بتوضيح النتائج الكمية، وان الأساليب الكمية تفيد في إطلاق التعميمات التجريبية. و هو ما يكّون إطارا مناسبا لفهم وتحليل العلاقات في سياقاتها الثقافية والاجتماعية دون إهمال لأبعاده الكمية. للمزيد راجع:

MASSELLA S., (2010), Fiche pédagogique : Le guide pédagogique d'enquête, L'écrit intérogatif, In, pédagogie.ac-Aix-Marseille.

[5]- ECHAUDEMAISON C.-D., (20010), Dictionnaire d'économie et des sciences sociales, 8ème éd, NATHAN, Paris, p237.

[6]- GAUDIN J.P., (2008), Pourquoi la gouvernance ?, Presse de science po, Paris, p26.

[7]- PAPILLOUD C., (2010), L'interactivité, TIC et société, Vol 4, N° 1/2010, Interactivité et lien social, mise en ligne le 17 mai 2010, Consulté le 10 Août 2011.

[8] - PIERRE J., (2001), Debating governance, Oxford university press, New York.

[9]- BAVINK M., et All, (2006), Gouvernance interactive : Un modèle pratique, Eburon B V, p20.

[10]- SOLAGRAL, (2003), Réforme de l'Etat et nouvelle gouvernance, Ouvrier de la planète, N° 41 Juillet- Aout.

[11] - PAPILLOUD C., (2010), Op.Cit., p3

[12]- HERMET G., et All, (2005), La gouvernance un concept et ses applications, Karthala, Paris, p134.

[13]– التمكين هي ترجمة لـــ Empowrement وتعني في معناها التقوية أي ليس مجرد الدمج وتوفير الوسائل والإمكانيات وإنما جعل الأفراد يتحكمون في الوسائل الضرورية

وإدارتها لتحقيق الأهداف المرجوة. وفي هذا السياق تعني فتح آفاق لسياسة تطوير الإقليم على المصير الذي يقرره جميع الشركاء دون استثناء.

[14]- BOURDIEU P., (1980), La jeunesse n'est qu'un mot, In, Le partage des bénéfices, Damas Unit, Paris.

[15]- GALLAND O., (2011), Sociologie de la jeunesse, Armond Colin, Paris, p60.

أثر أداء شركات التأمين في الجزائر على الاقتصاد الوطني - CAAT نموذجا -

الدكتور: صالحي عبد القادر والأستاذة: سالم راضية
كلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير
جامعة باجي مختار – عنابة

ملخَص:

تهدف هذه الورقة البحثية إلى إبراز أهمية التطور المالي في تقوية القطاع الحقيقي وتعزيز جانب العرض في الاقتصاد، من خلال تعبئة الموارد المالية طويلة الأجل إلى أكثر الاستثمارات إنتاجية. ويعتبر نشاط التأمين أحد أهم مكونات القطاع المالي في أية دولة، من خلال الدور الرئيسي الذي تلعبه شركات التأمين في المنظومة الاقتصادية بشكل عام، إلا أن قطاع التأمين في الدول النامية على وجه العموم، والجزائر على وجه الخصوص، يعاني من الضعف المالي والفني وانخفاض مستوى الاستثمار ما ينعكس سلبا على معدلات النمو الاقتصادي.

الكلمات المفتاحية: القطاع المالي، النمو الاقتصادي، قطاع التأمين، التوظيف المالي، أداء شركات التأمين.

مقدمـــة:

يعتبر قطاع التأمين أحد الركائز الأساسية التي تسهم بشكل فعال في تطوير مختلف الأنشطة الاقتصادية لأية دولة، فزيادة على اعتباره وسيلة لتغطية مختلف المخاطر، فهو يعمل على تعبئة المدخرات في سبيل تمويل الاستثمارات المنتجة، وذلك باعتباره قناة للفوائض المالية، إذ أن تطويره يشكل أحد أهم مداخل تنمية القطاع المالي. ففي الدول المتقدمة يحتل هذا الأخير موقعا استراتجيا بين القطاعات الاقتصادية الأخرى، وذلك من خلال دوره الكبير في خدمة اقتصادياتها وأثره الايجابي في الاقتصاد الوطني، والجزائر كغيرها من الدول النامية لم يرق نشاطها التأميني بعد إلى المكانة اللائقة به بين النشاطات الاقتصادية الأخرى، إذ يعاني القطاع العديد من المشاكل والعراقيل التي تحتاج لجملة من الحلول والإصلاحات للنهوض بالقطاع.

* إشكاليـــة الدراســـة:

بناءا على ما تقدم تحاول هذه الدراسة معالجة الإشكاليـــة التاليـــة: « **ما أثر أداء شركات التأمين في الجزائر على الاقتصاد الوطني ممثلة بـــ**la CAAT ؟ ».

و يتفرع عن ذلك ما يلـــي:

فيما تكمن أهمية قطاع التأمين في تنمية الاقتصاد؟

ما أثر قطاع التأمين على معدلات النمو الاقتصادي بالجزائر؟

بما يمتاز أداء شركات التأمين في الجزائر؟.

* فرضيـــات الدراسة:

يمكن صياغة فرضيات الدراسة كما يلي:

إن مساهمة قطاع التأمين الجزائري في معدلات النمو الاقتصادي مساهمة ضئيلة.

إن شركات التأمين في الجزائر لا تساهم في تفعيل الاقتصاد.

*** أهميـــة اختيـــار الدراسة ودوافعها:**

تبرز أهمية اختيار هذا الموضوع من خلال الدور الفعال الذي تلعبه المؤسسات المالية غير المصرفية في الاقتصاد، وتعد شركات التأمين إحدى أهم هذه المؤسسات باعتبارها قناة لفوائض مالية معتبرة من شأنها إعطاء دفعة قوية لعمليات النمو، وقد جاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على ذلك من خلال:

الدور التمويلي الذي تلعبه شركات التأمين، إذ بإمكانها توفير مصادر التمويل طويلة الأجل لتنفيذ مختلف المشاريع الاستثمارية.

ضرورة العمل على رفع مستوى أداء قطاع التأمين في الدول النامية من خلال إدخال مجموعة من الإصلاحات والتعديلات اللازمة للنهوض بالقطاع.

*** أهـــداف الدراســـة:**

تهدف هذه الدراسة إلى:

إبراز الدور الفعال الذي يلعبه القطاع المالي المتطور في رفع معدلات النمو الاقتصادي.

إظهار مدى مساهمة قطاع التأمين بالجزائر في النمو الاقتصادي.

تشخيص مستوى أداء شركات التأمين الجزائرية خاصة أداء النشاط المالي للشركات.

*** منهجيـــة الدراســـة:**

نظرا لطبيعة الموضوع محل الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي، وهذا لتغطية الجانب النظري، ومنهج دراسة حالة من خلال الإسقاط على الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT.

*** تقسيـــم الدراســـة:**

بغرض معالجة الإشكالية المطروحة، تم تقسيم هذه الورقة البحثية إلى المحاور التالية:

أولا: مفاهيم أساسية حول التأمين؛

ثانيـــا: واقع قطاع التأمين في الجزائر؛

ثالثـــا: مدى نجاعة قطاع التأمين الجزائري في تنمية الاقتصاد: محاولة تقييم؛

رابعـــا: الآفاق المستقبلية لقطاع التأمين في الجزائر.

أولا: مفاهيم أساسية حول التأمين:

1-1- أهمية القطاع المالي المتطور في تحقيق النمو الاقتصادي: من البديهي أن يكون للقطاع المالي أثر على النمو الاقتصادي، فالوظائف التي يقدمها القطاع المالي للاقتصاد تلعب دوراً فاعلاً في تنشيط الحركة الاقتصادية وتوليد الدخل، الشيء الذي ينعكس إيجابا على معدلات النمو الاقتصادي.

ويمكن بلورة العلاقة بين القطاع المالي والنمو الاقتصادي من خلال بعدين أساسيين، يتعلق البعد الأول بتحرير القطاع المالي نظرا للفائدة العامة المتأتية من تحرير سعر الفائدة والائتمان الموجه، ومن تخصيص البنوك والمؤسسات المالية بالإضافة إلى تحرير الحساب الرأسمالي وغيرها،

أما البعد الثاني فيتعلق بهيكلية القطاع المالي وسبل تطويره، إذ أن توطيد العلاقة بين النمو والتطوير المالي يتطلب إدخال المزيد من المنافسة إلى القطاع غير المصرفي للرفع من كفاءته، والعمل على تطوير الخدمات المالية غير المصرفية، ففي هذا المجال تشير الوقائع والأدبيات الحديثة خصوصا تلك المتعلقة بالنمو الذاتي أو الداخلي أنه بإمكان المؤسسات المالية في اقتصادات على مستوى معقول من الدخل زيادة مجمل عوامل الإنتاج وبالتالي الإنتاجية الحدية لرأس المال من خلال تحفيز المدخرين أو وسطائهم على تمويل تقنيات ذات مخاطر وإنتاجية أكبر، هذا كما يجب أن يتضمن تطوير القطاع المالي أيضا إنشاء وتطوير عمل الأسواق المالية، وخصوصا سوق الأسهم والبورصات لأنها تعمل على توفير المزيد من السيولة والتقييم وتنويع المخاطر، وما لاشك فيه أن أسواق رأس المال لا تكتمل من دون سوق للسندات يتعدى سندات الخزينة الحكومية، الأمر الذي يتطلب وجود شركات لديها الجدارة الائتمانية لإصدار سندات خاصة به ووجود مؤسسات مالية راغبة بالاستثمار طويل الآجل كشركات التأمين وصناديق المعاشات، هذا بالإضافة إلى ضرورة وجود سوق ثانوي نشط للأوراق المالية، مما يجعل من عملية إصلاح وتحديث القطاع المالي من أبرز الأولويات في مشروع التطوير الاقتصادي، ومما سبق ذكره فإن شركات التأمين تعتبر أحد أهم مؤسسات الفائض المالي وعليه فإن العمل على رفع كفاءة أداءها من شأنه أن يسهم في دعم الاقتصاد الحقيقي.

1-2- تعريف التأميـــن:

التأميـــن لغـــة: يعني الضمان والقدرة على درء المخاطر[1] الناجمة عن عدم التأكد.

التأميـــن اصطلاحـــا: يعني عمل يسعى إلى توزيع الخطر على أكبر عدد ممكن من الأفراد، مقابل مبلغ من المال يسمى قسط التأمين يدفعه المؤمن له إلى هيئات مختصة (هيئات التأمين) تقوم بدورها بتحمل نتائج الخطر مقابل الأقساط التي تجمعها، وذلك بأن تدفع تعويضا عن الأضرار أو الخسائر التي تلحق بالمؤمن له بموجب عقد ينظم العلاقة بين الشركة و المؤمن له يسمى عقد التأمين. (2)

التأميـــن قانونـــا: نصت المادة 619 من القانون المدني الجزائري على أن التأمين عقد يلتزم المؤمن بمقتضاه أن يؤدي إلى المؤمن له أو إلى المستفيد الذي اشترط التأمين لصالحه مبلغا من المال أو إيرادا أو أي عوض مالي آخر في حالة وقوع الحادث أو تحقق الخطر المبين بالعقد، وذلك مقابل قسط أو أي دفعة مالية أخرى يؤديها المؤمن له للمؤمن.(3)

التأميـــن فنيـــا: ليس للتأمين علاقة قانونية بين المؤمن والمؤمن له فحسب، بل هو أيضا عملية تقوم على أسس فنية، وهي تنظيم التعاون بين المؤمن لهم من طرف المؤمن الذي يعتمد في ذلك على حساب الاحتمالات وقانون الأعداد الكبيرة وعلى إجراء المقاصة بين الأخطار، وقد يلجأ في هذا التنظيم إلى فنيات أخرى والمتمثلة في إعادة التأمين المشترك.

ومن خلال جملة التعاريف السابقة، يمكن تعريف التأمين على أنه نظام يرتكز على قناعة الأشخاص به على أساس أنه يقوم على فكرة التعاون بين المؤمن لهم باعتباره عملية جماعية يقصد منها توزيع الأضرار التي تصيب شخصا معينا على جميع أعضاء هذه الجماعة، ويقوم المؤمن بدور الوسيط بين هؤلاء الناس بافتراض أنه مدير هذا التعاون ومنظمه.

1-3- أهـــداف التأميـــن: بالرغم من اختلاف كل التعاريف لفكرة التأمين، إلا أن عملية التأمين تسعى إلى تحقيق جملة من الأهداف، وهي:

تهدف عملية التأمين إلى قيام المؤمن بتحمل أخطار معينة ومحددة نيابة عن الجهة التي يحتمل تعرضها لهذه الأخطار مقابل أجر محدد؛
التأمين يستهدف استئصال ظاهرة عدم التأكد أو التقليل منها، أو مجابهة الخسائر والحد من الخطر.[4]
التأمين يهدف بصفة أساسية إلى حماية الأفراد والهيئات من الخسائر المادية الناجمة عن تحقق الأخطار المحتملة الحدود في المستقبل، والتي تسبب خسائر يمكن قياسها ماديا ولا دخل لإدارة الأفراد أو الهيئات في حدوثها؛
التأمين نظام يقلل من ظاهرة عدم التأكد الموجود لدى المؤمن له، وذلك عن طريق نقل عبء أخطار معينة إلى المؤمن، والذي تعهد بتعويض المؤمن له عن كل أو جزء من الخسائر المالية التي يتكبدها.
إن التأمين أداة اجتماعية يمكن بواسطتها نقل عبء تحمل الخطر إلى أشخاص أو هيئات متخصصة (شركات التأمين).
التأمين وظيفة اجتماعية يحقق بها هدف اجتماعي يعوض على أساسه الفرد عن خسارة، كما أنه يساعد على اتخاذ القرارات.
يهدف التأمين إلى تكوين رؤوس الأموال وتوظيفها فشركات التأمين أوعية ادخارية كبيرة وقنوات رئيسية للتمويل.

1-4- دور التأميـــن في خدمة الاقتصاد: نشأ نظام التأمين أساسا لتلبية حاجة الأفراد إلى وسيلة لتخفيف عبء الخسارة المالية التي تلحق بهم سواء في أشخاصهم أو ممتلكاتهم نتيجة لتحقق العديد من الأخطار التي تزخر بها الحياة، ولا تقتصر فوائد التأمين بصفته أكثر الوسائل فعالية في مجابهة الأخطار على خلق الشعور بالأمان في نفوس الأفراد وإزالة الخطر من

حياتهم والمحافظة على ثرواتهم، وإنما تمتد فوائد التأمين لتشمل المصلحة العامة فهو يقوي الاقتصاد الوطني من خلال:

تكويـــن رؤوس الأموال و تمويـــل المشاريع: تعتبر شركات التأمين وعاءا هاما من الأوعية الادخارية بسبب أقساط التأمين المتحصل عليها قبل أداء الخدمة[5]، الشيء الذي يوفر مصادر التمويل التي يسعى إليها الأفراد والهيئات للحصول على القروض اللازمة لتنفيذ مختلف المشاريع ما ينعكس إيجابا على تنمية الاقتصاد.

تشجيـــع القيام بالمشروعات الاقتصادية المختلفة: نظرا لأن نظام التأمين يقدم حماية فورية وبالقدر اللازم ضد الخسائر التي تترتب على تحقق الكثير من الأخطار التي يواجهها الأفراد والمشروعات، وعليه فإن وجود التأمين محفز للقيام بالمشروعات المختلفة، حيث لم يعد هناك مجال للتردد في إنشاء هذه المشروعات بسبب الخوف من ضياع الأموال المستثمرة فيها نتيجة لوقوع الأخطار المحتملة.[6]

زيادة الكفايـــة الإنتاجية: يؤدي التأمين إلى إزالة الخطر من حياة الأفراد مما يبعث الأمان والطمأنينة في نفوسهم بخصوص المستقبل، الأمر الذي يمكنهم من تركيز تفكيرهم وتسخير طاقاتهم في العمل، وابتكار الوسائل الكفيلة بزيادة الإنتاج وتحسين مستواه. [7]

تدعيـــم الائتمان: يقدم تأمين الائتمان خدمة جليلة للمقرضين والبائعين بالتقسيط، وذلك من خلال ضمان حصولهم على مستحقاتهم كاملة في حالة وفاة المدين أو المشتري عن طريق مبالغ التأمين[8]، ولا شك أن تأمين الائتمان يقدم خدمة جليلة لكل من الدائن والمدين على حد سواء.

تحسيـــن ميزان المدفوعات: يعتبر التأمين مصدرا لاستقطاب العملة الصعبة، بخلق مجال للمعاملات التجارية والمالية مع الخارج من خلال دفع

الأقساط، تعويض المتضررين، حركة رؤوس الأموال وعقود إعادة التأمين مع شركات أجنبية.[9]

مكافحة التضخم: إن جمع الأقساط من المؤمنين يؤدي إلى امتصاص السيولة من الاقتصاد ما يعمل على خفض معدلات التضخم.

خلق فرص العمل: تمثل شركات التأمين أحد القطاعات الاقتصادية الهامة التي تستوعب عدد كبير من الأيدي العاملة[10]، وبالتالي التقليل من البطالة.

ثانيـــا: واقـــع قطـــاع التأمين في الجزائر

تعد شركات التأمين إحدى أهم المؤسسات المالية باعتبارها أحد الركائز الأساسية التي تبنى عليها السياسة الاقتصادية التنموية لأية دولة، وذلك يعود لتوفيرها موارد مالية معتبرة تستغل في تمويل الدورة الاقتصادية بهدف دعم السياسة الإنمائية.

وينشط في سوق التأمين الجزائري 16 شركة تأمين، منها 06 شركات عمومية، 04 متخصصة في جميع فروع التأمين بحصة إنتاج 74% من إجمالي السوق وشركتين متخصصتين في التأمين على أخطار القرض الشركة الجزائرية للتأمين وضمان الصادرات وشركة ضمان القرض العقاري، هذا بالإضافة إلى الشركة الجزائرية للتأمين وإعادة التأمين CCR، و07 شركات خاصة بحصة إنتاج 20%، هذا بالإضافة إلى تعاضديتين، الصندوق الوطني للتعاون الفلاحي CNMA والتعاونية الجزائرية لتأمين عمال التربية MAATEC. والشكل الموالي يوضح بنية قطاع التأمين في الجزائر:

الشكل رقم (01): بنية قطاع التأمين في الجزائر

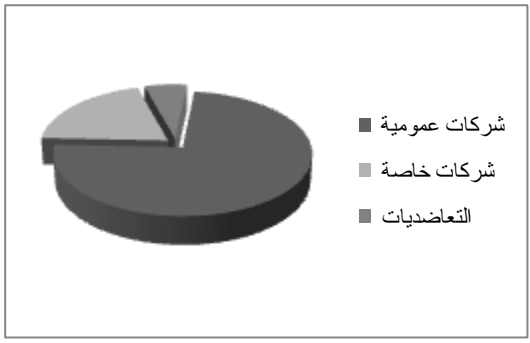

المصـــدر: من إعـــداد الباحثيـــن.

والجزائر كغيرها من الدول النامية، تسعى إلى تطوير خدماتها التأمينية، إذ عرف القطاع تحولات عميقة انعكست على الحياة الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، حيث قامت الدولة بمجهودات كبيرة لرفع كل العراقيل الماثلة أمامه باعتباره قطاع حساس بإمكانه المساهمة في التنمية المحلية والاقتصادية، وذلك من خلال جملة من الإصلاحات على رأسها القوانين والتشريعات المؤطرة للقطاع والتي شملت مختلف المجالات، وذلك من أجل الرقي بمستوى أداءه للمستويات العالمية، ويمكن تصنيف جملة العراقيل التي يعاني منها القطاع إلى عوامل داخلية متعلقة بقطاع التأمين في حد ذاته، وأخرى خارجية ذات صلة بالقطاع الاقتصادي.

2-1- عوامل داخلية: وتخص تنظيم سوق التأمين، ونذكر منها:

إطالة فترة التسويات للمتضررين: وتعتبر من أهم المعوقات، إذ تؤدي هذه الأخيرة إلى فقدان ثقة الزبائن.

نقص الدينامكية التجارية

2-2- عوامل خارجيـــة: وتتمثل فـــي:

مستوى النشاط الاقتصادي: يرتبط نشاط التأمين ارتباطا وثيقا بالنشاط الاقتصادي، فتراجع معدل النمو الاقتصادي في بداية التسعينات أثر سلبا على رقم أعمال التأمين الحقيقي، وحتى بعد أن حققت معدلات نمو موجبة ابتداء من سنة 1995، فيما عرف القطاع الصناعي معدلات نمو سالبة، وعموما ينمو نشاط التأمين في الاستثمارات ذات الحجم الصغير والمتوسط، إلا أنه في حالة الجزائر والتي اعتمدت في خطتها التنموية بعد الاستقلال على الصناعات الثقيلة، فإن نشاط التأمين لم يستفد من ذلك إلا في حدود نسب صغيرة لأن معدل الاحتفاظ في الأخطار الصناعية ضعيفا، حيث يعاد إسناد الأخطار إلى الخارج، أيضا وبالرغم من انفتاح الاقتصاد الجزائري منذ التسعينات نحو القطاع الخاص، إلا أن مساهمة هذا القطاع بقيت ضعيفة. (11)

العامـــل الدينـــي: يرتكز هذا العامل على عدم تقبل فكرة التأمين واعتبارها غير جائزة في نصوص الشريعة الإسلامية.

عامل ثقافـــي وإيديولوجـــي: إن النظام الاشتراكي ونموذج الإنتاج المطبق سابقا، عود الفرد الاعتماد على حماية الدولة في كثير من الأمور الاقتصادية والاجتماعية (التعليم- السكن- الضمان الاجتماعي...).

ظاهرة الاكتنـــاز: وهي ظاهرة منتشرة في أوساط المجتمع الجزائري وتأخذ أشكالا عديدة: خزن العملة في أماكن غير القنوات المصرفية كشراء أشياء ثمينة، فكلما زادت نسبة الاكتناز تكون فرص الادخار محدودة.

تدني القدرة الشرائية للفرد: إذ عرف الدخل الحقيقي للفرد منذ بداية التسعينات تقهقرا.

ثالثا: مدى نجاعة قطاع التأمين الجزائري في تنمية الاقتصاد: محاولة تقييم

لقد سعت الجزائر لتحقيق الاستقرار المالي لشركات التأمين من أجل دعم سلامتها، وذلك من خلال إدخال سلسلة من الإصلاحات التشريعية انعكست في القانون رقم 04/06 المؤرخ في 2006/02/20، والذي أعاد النظر ببعض الأحكام القانونية للأمر رقم 07/95 (12)، والمرسوم التنفيذي في ماي 2007 الذي يحدد كيفية وشروط توزيع منتجات التأمين من قبل البنوك والمؤسسات المالية الشبيهة وشبكات التوزيع، كما حددت وزارة المالية النسبة القصوى لمساهمة أي بنك عمومي أو خاص ينشط في الساحة الجزائرية في رأس مال شركات التأمين وإعادة التأمين بـــ 15% من خلال المرسوم التنفيذي الصادر في الجريدة الرسمية سنة 2008، وفي ضوء ذلك تهدف هذه الدراسة إلى إبراز معدل اختراق قطاع التأمين والذي يقدر مدى مساهمة قطاع التأمين في النمو الاقتصادي في الجزائر، وذلك خلال الفترة 2005–2011، هذا بالإضافة إلى تحليل مستوى التوظيف المالي لواحدة من أهم شركات التأمين في الجزائر، وهي الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT كعينة لمستوى توظيف الفوائض المالية لشركات التأمين.

3–1– معدل اختـــراق سوق التأمين: إن تحليل مستوى الاختراق يتطلب مواكبته مع مستوى رقم أعمال قطاع التأمين والناتج المحلي الإجمالي، ويبين الجدول رقم (01) التطور الذي شهده رقم أعمال قطاع التأمين خلال الفترة 2005–2011، ويلاحظ أنه عرف ارتفاعا مستمرا في فترة الدراسة بالقيمة الاسمية من 41.400 مليون دينار جزائري إلى 87.300 مليون دينار جزائري، ما يعادل نسبة 110%.

الجدول رقم(01): تطور رقم أعمال قطاع التأمين خلال الفترة 2005–2011

الوحدة: مليون دينار جزائري، نسبة مئوية (%)

السنـــة	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
رقم الأعمـــال	41.400	46.500	53.800	67.600	77.300	81.300	87.300
نسبة النمـــو (%)	-	12,32	15,70	25,65	14,34	05,17	07,38

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات المجلس الوطني للتأمينات من الموقع: www.cna.dz/108.05.2013/18:42.

أما الجدول رقم (02، يوضح الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة 2005-2011 بالقيمة الاسمية، وبتتبع هذا الأخير يتضح لنا أنه عرف نموا طرديا خلال فترة الدراسة باستثناء سنة 2009، فقد سجل انخفاضا وهذا جراء الأزمة المالية العالمية وما انجر عنها من انخفاض أسعار النفط العالمية، إذ أن الجزائر تعتمد على النفط كمصدر وحيد للعائدات المالية، ومع ارتفاع أسعارها خلال سنتي 2010 و2011، ارتفع معها الناتج المحلي الإجمالي وعليه يمكن القول أن الناتج المحلي الإجمالي يرتبط ارتباطا وثيقا بأسعار النفط صعودا ونزولا.

الجدول رقم (02): تطور الناتج المحلي الإجمالي

خلال الفترة 2005-2011

الوحدة: مليار دينار جزائري

السنـــة	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
الناتج المحلي الإجمالي	6930,15	7836,99	8567,94	10002,13	8808,70	10428,71	14384,80

المصـــدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات تقارير المجلس الوطني للتأمينات الخاصة بالحالة العامة لقطاع التأمينات الجزائري للفترة 2005-2011، من الموقع: www.cna.dz/108.05.2013/18:53

بالرغم من معدلات النمو المرتفعة المسجلة على مستوى الناتج المحلي الإجمالي، إلا أن مساهمة قطاع التأمين في ذلك محدودة جدا، ويمكن توضيح ذلك من خلال الشكل رقم (02) الموالي، والذي يبين نسبة مساهمة قطاع التأمين في النمو الاقتصادي خلال الفترة 2005-2011، وذلك بعد تقديره وفقا لمعطيات الجدولين رقم (01) و(02) تبعا للعلاقة التالية: معدل الاختراق = رقم أعمال قطاع التأمين / الناتج المحلي الإجمالي.

الشكل رقم (02): نسبة مساهمة قطاع التأمين في النمو الاقتصادي للفترة 2005-2011

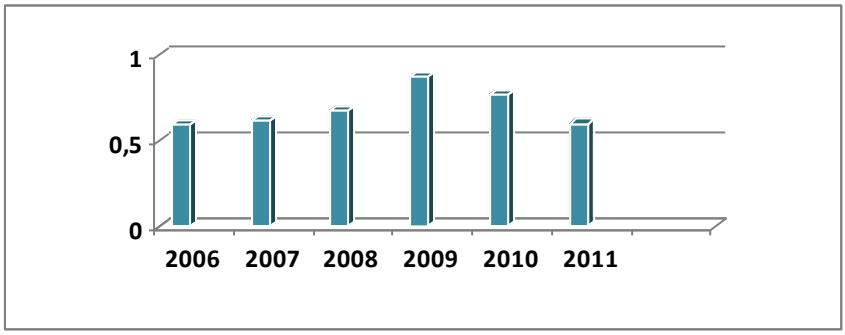

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على معطيات الجدول رقم (01) و (02).

نلاحظ أن نسبة مساهمة قطاع التأمين في النمو الاقتصادي متذبذبة خلال سنوات الدراسة، إذ تتراوح ما بين 0,59% خلال سنة 2005 كحد أدنى، ونسبة 0,87% لسنة 2009، وهذا كحد أقصى، حيث أن هذا المجال أصلا هو مجال ضيق ونسبي، ما يوضح التأثير الضعيف لقطاع التأمين على النمو الاقتصادي. إذ يعتبر قطاع التأمين في الجزائر قطاع جد متواضع، إذ لم يحظى بأهمية كبيرة سواء فيما يتعلق بالمبالغ التي يحققها أو عدد الوظائف التي يوفرها أو المجالات التي يغطيها مثل الإنتاج، الصحة والحياة، وبمقارنة معدل اختراق سوق التأمين في الناتج المحلي الإجمالي في الجزائر بالدول

المغاربية، نجده أقل مستوى حيث قدر بـــ 1.8% بتونس و 2.9% بالمغرب خلال سنة 2011(13) ، والشكل رقم (03) يبين ذلك:

الشكل رقم (03): معدل الاختراق لدول الجزائر والمغرب وتونس لسنة 2011

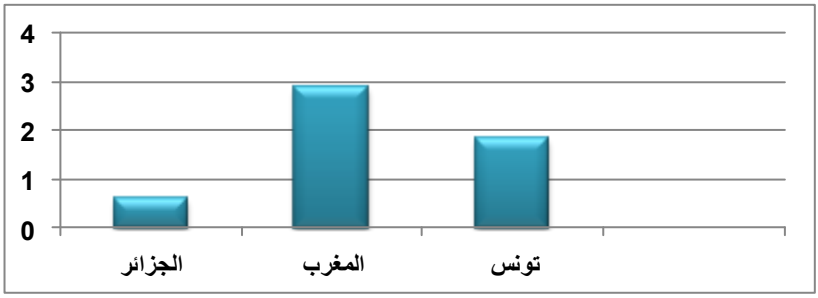

المصدر: من إعـــداد الباحثين بالاعتماد على معطيات Swiss revue bank, novembre 2011.

3-2- التوظيف المالي للشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT: عرض وتحليل

تعتبر الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT، واحدة من أكبر الشركات الوطنية العاملة في سوق التأمين الجزائري إلى جانب كل من الشركة الجزائرية للتأمين وإعادة الـــتأمين CAAR، والشركة الجزائرية للتأمين SAA، بحصة سوقية قدرت بـــ 23% (14) سنة 2011، وقد نشأت هذه الأخيرة سنة 1985 وفقا للأمر 85/82 على شكل مؤسسة جماعية تضمن جميع أخطار النقل البري، البحري والجوي.

وفي سنة 1989، وبسبب الإصلاحات الاقتصادية أصبحت الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT عبارة عن مؤسسة اقتصادية عامة ذات أسهم تطبق جميع عمليات التأمين برأسمال اجتماعي يقدر

بـــ 11.490.000.000 دينار جزائري على أساس مبدأ المساهمة هو الدولة الجزائرية.

3-2-1- تطور مبالغ التوظيف المالي للشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT: إن تتبع مستوى تطور المبالغ المخصصة لعمليات التوظيف المالي الذي يشمل بدوره العديد من المجالات، والمتمثلة في السندات الحكومية، الودائع لأجل، أسهم/سندات بالإضافة إلى العقارات، يوضح لنا التوجه الرأسي نحو الزيادة بسبب الاعتماد الكبير على البرامج الإصلاحية، إذ سجلت نسبة نمو مرحلي قدرت بـــ 170%، كما يمكن استنتاجه من خلال الجدول رقم (03) الذي يبين التطور السنوي للمرحلة.

الجدول رقم (03): تطور إجمالي مبالغ التوظيف المالي للشركة خلال الفترة 2005-2011.

الوحدة: مليون دينار جزائري، نسبة مئوية (%)

السنة	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
مبلغ التوظيف	8252	9150	11180	12297	14708	21016	22283
نسبة النمو (%)	-	10,88	22,18	09,99	19,60	42,88	06,02

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية للشركة للفترة 2006-2011.

3-2-2- تطور مبالغ مجالات التوظيف المالي للشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT: يبين الجدول رقم (04) تتبع تطور المبلغ المالي المخصص لكل مجال من مجالات التوظيف الذي يشمل أربع مجالات، القيم الحكومية، الودائع لأجل، أسهم/سندات، والعقارات، خلال الفترة 2005-2011، إذ نلاحظ أن غالبية المبلغ الإجمالي يتم توظيفه في القيم

الحكومية بنسبة توظيف لا تقل عن 59,85%، وذلك راجع لسببين رئيسيين؛ الأول يتعلق بالقرار رقم 01 المؤرخ في 07 جانفي 2002 المعدل والمتمم للقرار رقم 007 المؤرخ في 02 أكتوبر 1996 المحدد للنسب الدنيا الواجب تخصيصها لكل نوع من التوظيفات التي تقوم بها شركات التأمين وإعادة التأمين، والذي ينص على تخصيص 50% على الأقل لقيم الدولة نصفها متوسطة وطويلة المدى 15. أما السبب الثاني، يتمثل في أن القيم الحكومية عديمة المخاطرة كونها مضمونة من طرف الدولة الأمر الذي يوفر هامش الأمان. وفيما يخص باقي المجالات، الودائع لأجل، أسهم/سندات، والعقارات، فإن نسبة التوظيف لا تتعدى 20%، إذ يقدر متوسط التوظيف 15%، 07%، 06% على الترتيب.

الجدول رقم (04): تطور مبالغ مجالات التوظيف المالي للشركة خلال الفترة 2005-2011

الوحدة: مليون دينار جزائري، نسبة مئوية (%)

مجال التوظيف / السنة	القيم الحكومية		الودائع لأجل		أسهم/سندات		العقارات	
	المبلغ	النسبة	المبلغ	النسبة	المبلغ	النسبة	المبلغ	النسبة
2005	5978	72,44	1598	19,36	262	03,17	414	05,01
2006	7789	85,12	502	05,40	446	04,87	413	04,51
2007	9060	81,03	512	04,50	786	07,03	822	07,35
2008	7893	64,18	2387	19,41	1196	09,72	821	06,67
2009	10174	69,17	2396	16,29	1196	08,13	942	06,40
2010	12579	59,85	4207	20,01	3074	14,62	1156	05,50
2011	14094	63,25	4072	18,27	3175	14,24	942	04,22

المصدر:من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية للشركة للفترة2006-2011

3-2-3- ناتج عمليات التوظيف المالي للشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT: يبين الجدول رقم (05) ناتج عمليات التوظيف المالي في كل مجال خلال الفترة 2005-2011، كما يلي:

الجدول رقم (05): ناتج عمليات التوظيف المالي للشركة في كل مجال خلال الفترة 2005-2011

الوحدة: مليون دينار جزائري

السنة / الناتج المالي	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
القيم الحكومية	282	300	361	315	327	328	347
الودائع لأجل	43	21	17	27	60	86	112
ناتج أسهم/سندات	08	14,80	27,90	44	48	50	54,66
ناتج العقارات	18	17	22	23	23	31	29
المجموع	351	352,80	427,90	409	458	495	542,66

المصدر:من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية للشركة للفترة2006-2011

نلاحظ أن مستوى العوائد المحققة مقارنة بقيمة التوظيف محدودا جدا، فبالرغم من المبلغ المالي الكبير المستثمر في القيم الحكومية، إلا أن الناتج المالي ضئيل جدا، حيث لا تحقق من وراء ذلك سوى هامش ربح متمثل في الفرق بين سعر البيع وسعر الشراء فقط، الأمر الذي لا يحقق أية فائدة أو منفعة للقطاع المالي خاصة والقطاع الاقتصادي عامة، رغم وجود بدائل أحسن للتوظيف منها منح القروض التي نساهم في تمويل المشاريع الاستثمارية، مشاريع المشاركة مع القطاع الخاص والتي تشمل قطاعات حيوية تسهم في تحقيق معدلات مردودية مرتفعة ترفع من رقم أعمال

الشركات، الذي يسمح بدوره بتوفير الموارد التمويلية ما ينعكس إيجابا على معدلات النمو الاقتصادي هذا من جهة، ومن جهة أخرى تنمية القطاع الخاص الذي يعتبر أحد المقومات الأساسية لترقية الاقتصاد، هذا بالإضافة إلى فتح رأسمال عن طريق البورصة إذ بإمكان شركات التأمين لما تمتلكه من رؤوس أموال المساهمة في تحسين أداء السوق المالي في الجزائر باعتباره سوق مالي نامي.

إن النتائج التي أبرزها هذا التحليل تبين لنا بشكل جلي أن الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT، شركة عمومية احتكارية برأسمال اجتماعي كبير، وفائض مالي معتبر تعتمد بالدرجة الأولى في توظيفه على القيم الحكومية كونها عديمة المخاطرة دون الاستفادة من الفرصة البديلة، ما يوضح لنا ضعف النشاط المالي على مستوى الشركة، بسبب العديد من العوامل الداخلية المتمثلة أساسا في سوء التسيير والتقيد بالنشاط التقليدي لأي شركة تأمين، وأخرى خارجية تتعلق بضعف القطاع المالي بشكل عام في الجزائر.

3-3- تحليل نشاط الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT: يبين الجدول رقم (06) نشاط الشركة خلال الفترة 2005-2011، والذي يتضمن بدوره مبالغ الأقساط المكتتبة، المطالبات المدفوعة، المطالبات على الحساب، هذا بالإضافة إلى كل من التنازلات والعمولات الخاصة بنشاط إعادة التأمين، وذلك وفقا لفروع التأمين:

الجدول رقم (06): نشاط الشركة خلال الفترة 2011/2005

الوحدة: مليون دينار جزائري

السنـــة / البيـــان	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
الأقساط المكتتبة							
– تأمين الأشخاص	313	337	360	547	705	626	325
– تأمين السيارات	2.775	3.006	3.738	3.989	3.993	4.267	4.986
– تأمين النقل	1.260	1.206	1.185	1.387	1.574	1.940	1.775
– تأمين الحرائق	2.888	3.267	4.752	6.419	6.890	7.211	7.539
– تأمين القروض	156	218	554	347	183	39	12
الإجمالـــي	7.392	8.034	10.589	12.689	13.345	14.084	14.637
المطالبات المدفوعة							
– تأمين الأشخاص	222	205	200	215	268	274	208
– تأمين السيارات	2.375	2.715	3.375	4.051	4.396	3.833	4.190
– تأميـــن النقل	337	400	963	807	368	1.026	735
– تأمين الحرائق	2.888	939	1.040	1.057	1.420	1.290	1.918
– تأمين القروض	6	18	36	131	134	100	70
الإجمالـــي	5.828	4.277	5.614	6.261	6.586	6.523	7.121
المطالبـــات علـــى الحساب							
– تأمين الأشخاص	77	55	54	129	137	165	00
– تأمين السيارات	2.559	2.685	3.133	3.074	3.798	3.928	4.172
– تأمين النقل	1.064	1.206	1.625	1.808	1.963	1.217	956
– تأمين الحرائق	2.685	2.082	2.384	3.472	3.508	5.941	6.709
– تأمين القروض	165	321	513	296	333	395	336
الإجمالـــي	6.550	6.349	7.709	8.779	9.739	11.646	12.173
إعـــادة التأميـــن							
التنـــازلات							
– تأمين الحرائق	1.380	1.565	2.624	3.137	4.224	5.514	4.729
– النقـــل	936	818	819	969	1.087	1.059	1.522

- الأشخاص	39	52	30	41	84	463	84
- الكوارت الطبيعية	97	118	55	63	78	84	203
الإجمالي	2.452	2.553	3.528	4.210	5.473	7.120	6.538
العمولات							
- تأمين الحرائق	235	266	374	518	589	769	834
- النقل	279	217	258	276	305	296	392
- الأشخاص	6	7	10	13	16	16	9
- الكوارت الطبيعية	10	10	00	00	00	00	27
الإجمالـــي	530	500	642	807	910	1.081	1.262

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية للشركة للفترة 2006-2011.

يلاحظ أن الأقساط المكتتبة سجلت نموا طرديا، إذ انتقلت قيمتها من 7.392 مليون دينار جزائري إلى 14.637 مليون دينار جزائري ما يعادل نسبة نمو تقدر بـــ 98.01%، وذلك خلال فترة الدراسة، ما ينعكس بشكل إيجابي على المبالغ المخصصة لعمليات التوظيف المالي نظرا للعلاقة الطردية الموجودة بين مبالغ التوظيف المالي وأقساط التأمين، أما فيما يخص المطالبات المدفوعة فإن مبلغ التعويضات المدفوعة من طرف الشركة لا يتعدى نصف أقساط التأمين المكتتبة، ما يمكن اعتباره مؤشرا إيجابيا، حيث كلما انخفض هذا الأخير زادت الفوائض المالية ما يتبعه زيادة المبالغ المالية المخصصة لعمليات التوظيف المالي، وفيما يتعلق بالمطالبات على الحساب فقد عرفت زيادة مستمرة بسبب الزيادة في التصريح عن الحوادث، إذ أنه كلما ارتفعت إثباتات التعويض عن الحوادث المصرح عنها انعكس ذلك سلبيا على الفوائض المالية بسبب وجود علاقة عكسية بين هذين الأخيرين، أما بالنسبة لنشاط إعادة التأمين، والذي تلجأ إليه الشركة في حالة

الأخطار الكبيرة كون أن قدراتها المالية لا تسمح لها بتغطيتها، فإن هذا الأخير يعتبر نشاطا مربحا باعتبار أن مبلغ التعويض تشترك فيه أكثر من شركة تأمين، أي بمعنى آخر تقليل التكاليف وعليه زيادة مردودية الشركة، هذا فيما يخص التنازلات، أما فيما يتعلق بالعمولات فإن نسبتها محدودة إذ لا تتعدى 02 %.

3-4- النتائج المالية لنشاط الشركة: إن تتبع نتيجة أداء الشركة يمكن تحديده من خلال مؤشرين هامين أحدهما يؤثر على الاقتصاد، والآخر على رقم أعمال قطاع التأمين، ويتمثل المؤشر الأول في قيمة الفوائض المالية أي القيمة المضافة، أما الثاني يتعلق بالأرباح المحققة (النتيجة الصافية)، ويوضح الجدول رقم (07) القيمة المضافة والنتيجة الصافية لنشاط الشركة خلال فترة الدراسة، حيث يتضح لنا أن القيمة المضافة عرفت نموا مستمرا خلال الفترة 2005-2008، إذ انتقلت قيمتها من 2.792 مليون دينار جزائري إلى 5.712 مليون دينار جزائري بالقيمة الاسمية، وإبتداءا من السنة 2009 إلى غاية 2011 سجلت قيمتها تباتا ما ينعكس بشكل سلبي على الاقتصاد الوطني. أما فيما يتعلق بالنتيجة الصافية فقد كانت قيمتها متذبذبة خلال فترة الدراسة وقد تراوحت ما بين 187 مليون دينار جزائري سنة 2005 كحد أدنى، و 1411 مليون دينار جزائري سنة 2010 كحد أقصى ما يؤثر سلبا على رقم أعمال قطاع التأمين، وبالتالي على مساهمة هذا الأخير في النمو الاقتصادي.

النتائج المالية لنشاط الشركة خلال الفترة 2005-2011

الوحدة: مليون دينار جزائري

السنة	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011
القيمة المضافة	2792	4248	5475	5712	4444	4442	4024
النتيجة الصافية	187	500	821	1013	830	1411	1221

المصدر: من إعداد الباحثين بالاعتماد على التقارير السنوية للشركة للفترة 2006-2011.

رابعا: الآفـــاق المستقبلية لقطاع التأمين في الجزائر

نظرا لجملة العراقيل التي يعاني منها القطاع، فإنه يواجه مجموعة من التحديات المستقبلية للارتقاء بمستوى أدائه، والمتمثلة في16:

التحكم في التكاليف وتخفيف وفرات الحجم.

تطوير حصص جديدة في السوق.

التسيير الحسن للموارد المالية.

تحسين نوعية الخدمات بإدخال تقنيات تسيير جديدة، وتعميم المعلوماتية في كل مستويات النشاط.

تحرير سياسة إعادة التأمين التي من شأنها أن ترفع من اكتتاب العقود؛ وبالتالي ارتفاع رقم الأعمال.

زيادة تدعيم رأسمال المؤسسات التأمينية من أجل مواكبة كل التطورات الاقتصادية.

المساهمة في مختلف الشركات الدولية من أجل كسب خبرة تأمينية عالمية والحصول على أرباح معتبرة.

الاعتماد على طرق رياضية في تحديد تسعيرة التأمين من أجل مواجهة المنافسة القوية.

ضرورة إقامة علاقات حسنة مع الزبون من أجل كسب ثقته.

العمل على تسهيل إجراءات تسوية المتضررين وتطبيق اتفاقية التعويض المباشر من أجل كسب الثقة والوفاء للزبون.

خاتمـــــة:

بناءا على ما تقدم في هذه الدراسة التقييمية لأداء ومساهمة قطاع التأمين في النمو الاقتصادي في الجزائر، إضافة إلى سبل التوظيف المالي على مستوى الشركة الجزائرية للتأمين الشامل CAAT، تم التوصل إلى:

* **اختبـــار الفرضيـــات:** تم إثبات الفرضية التي مفادها أن قطاع التأمين يساهم في معدلات النمو الاقتصادي مساهمة محدودة، إذ لا تتجاوز مساهمته 0.87% خلال فترة الدراسة، كما تم إثبات الفرضية التي جاء في فحواها أن شركات التأمين في الجزائر لا تساهم في أداء وفعالية الاقتصاد، حيث يبقى نشاطها نشاط تقليدي بالدرجة الأولى.

* **النتائـــج:** وتتمثل فـــي:

أهم ما يميز قطاع التأمين في الجزائر هو هيمنة القطاع الحكومي على هذا النشاط رغم القرار 95-07 المعلن عن نهاية الاحتكار وفتح المجال للخواص؛ بالرغم من أن قطاع التأمين له دور كبير في دفع عجلة النمو الاقتصادي، بالإضافة إلى أنه يحقق الأمان والاستقرار الاقتصادي، إلا أن قطاع التأمين الجزائري لم يرق إلى المستوى المطلوب، حيث لا تتعدى نسبة مساهمته في النمو الاقتصادي 0,87 % مقارنة بـــ 1.8% بتونس و 2.9% بالمغرب.

آلية النمو الاقتصادي في الاقتصاديات الريعية تمتاز بإهمال بقية النشاطات الاقتصادية الأخرى كالتأمين، وهذا بالرغم من توفيره لموارد مالية إضافية للاقتصاد، وهذا هو حال الجزائر.

إن مستوى التوظيف في شركات التأمين ينحصر بشكل كبير في القيم الحكومية، إذ لا تقل نسبة التوظيف عن 59,85%.

يبقى نشاط شركات التأمين في الجزائر تقليديا، وهو ما ينعكس سلبا على أدائها المالي وبالتالي على النمو الاقتصادي.

ضعف كل من الثقافة التأمينية والمالية، يدفع المستثمرين لعدم الاستثمار في هذا القطاع.

* **الاقتراحـــات:** في ظل هذه النتائج نقترح ما يلـــي:

ضرورة تنمية القطاع المالي بشكل عام، و قطاع التأمين بشكل خاص من خلال التحسين في الكفاءة وزيادة الفعالية والارتقاء بالمهن التأمينية، هذا بالإضافة إلى الإسهام الفعال في توفير الخبرات، وذلك من أجل خدمة الاقتصاد الوطني.

إدخال تعديلات فيما يخص القوانين المنظمة للنشاط المالي في شركات التأمين، وذلك من خلال تخفيف النسب الدنيا للتوظيف المالي.

وضع الآليات الداخلية والخارجية لتطبيق مبادئ الحوكمة داخل شركات التأمين.

ضرورة فتح المجال أمام القطاع الخاص من خلال المشاركة في مشاريع المشاركة مع القطاع الخاص.

العمل على تنمية ونشر الثقافة التأمينية.

هـــوامش:

[1]- محمد جودت ناصر، إدارة أعمال التأمين بين النظرية و التطبيق، الطبعة الأولى، دار مجد للنشر، عمان، 1998، ص 15.

[2]- زياد رمضان، مبادئ التامين، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى 1998، ص 13.

[3]- مولود ديدان، قانون التأمينات، دار بلقيس للنشر دار البيضاء – الجزائر– طبعة ديسمبر 2010، ص 06.

[4]- محمود الكيلاني – الموسوعة التجارية و المصرفية – المجلد السادس – عقود التامين من الناحية القانونية – دار الثقافة لنشر و التوزيع – الطبعة الأولى 2008 – ص 43–48.

[5]- زروقي ابراهيم و بدري عبد المجيد، دور قطاع التأمين في تنمية الاقتصاد الوطني – دراسة مقارنة مع الجزائر ومصر– مداخلة بالملتقى الدولي السابع حول الصناعة التأمينية: الواقع العملي وآفاق التطوير – تجارب الدول– يومي 03 و 04 ديسمبر 2012 بكلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف.

[6]- عيد أحمد أبو بكر و وليد إسماعيل السيفو، إدارة الخطر و التأمين، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع 2009، الطبعة العربية ، ص 114.

[7]- نفس المرجع السابق، ص 114.

[8]– نفس المرجع السابق، ص 116.

[9]– شقيري نوري موسى و محمود إبراهيم نور و وليد احمد صافي و سوزان سمير ذيب وإيناس ظافر الراميتي، المؤسسات المالية المحلية و الدولية، دار المسيرة للنشر و التوزيع والطباعة، الطبعة الأولى 2009. ص 226.

[10]- عبد الوهاب يوسف أحمد، التمويل و إدارة المؤسسات المالية، دار الحامد للنشر والتوزيع 2008، الطبعة الأولى ص 198.

[11]- أقاسم نوال، (2005): قطاع التأمين الجزائري في ظل الإصلاحات الاقتصادية المعتمدة، مجلة الرائد العربي: مجلة عربية فصلية تعنى بشؤون التأمين وإعادة التامين تصدرها شركة الاتحاد العربي لإعادة التامين بدمشق، العدد الثامن والثمانون، ص 93.

[12]– الجريدة الرسمية العدد13، المنشورة بتاريخ 08 مارس 1995 من موقع:
http://www.joradp.dz/JRN/ZA1995.htm?zAnn=1995

[13]– بلقوم فريد و خليفة الحاج، تطور سوق التأمين و آفاقه المستقبلية في الجزائر – دراسة مقارنة مع الدول المغاربية: تونس و الجزائر– مداخلة بالملتقى الدولي السابع حول الصناعة التأمينية: الواقع العملي وآفاق التطوير– تجارب الدول– يومي 03 و 04 ديسمبر 2012 بكلية العلوم الاقتصادية و علوم التسيير جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف.

[14]- Benbayer habib et Benkamla mohammed abdelaziz, l'impact des innovations comptables sur le développement de l'économie des assurances – cas de la CAAT- communication dans le colloque international sur ' l'industrie de l'assurance: réalité et perspectives de développement ' le 03 et 04 décembre 2012, faculté des sciences économiques et commerciales et science de gestion, université Hassiba ben Bouali Chlef.

[15]– القرار رقم 01 المؤرخ في 07 جانفي 2002 المعدل و المتمم للقرار رقم 007 المؤرخ في 02 أكتوبر 1996 المحدد للنسب الدنيا الواجب تخصيصها لكل نوع من التوظيفات التي تقوم بها شركات التأمين و إعادة التأمين.

[16]– أقاسم نوال، (2005): مرجع سبق ذكره، ص 93– 94.

مفهوم الشائعة بين التنظير الغربي والتأصيل الإسلامي

الدكتور: علي سلطاني
كلية الحقوق والعلوم السياسية
جامعـــة تبسة

ملخَص:

تعدّ الإشاعة أقدم وسيلة إعلام، وأهمّ صوت يعبر الأجواء المجتمعية بسرعة فائقة. وقد تشكل مفهومها لدى الباحثين العاملين في الجيش الأمريكي. وهي عند "باسكال فرواسار"، ظاهرة لا زمنية تقوم بعملية تحيين للماضي بشكل مستمر، ولا يمكن الإمساك بها، نظرا لخاصيتها المجردة، وكذلك بسبب الالتباس الذي تثيره عندما نود إخضاعها للتنظير. وليس المهم التدقيق في مفاهيم الشائعة لكن الأهم، أن للفظ إشاعة معاني كثيرة قبل القرن 19 . فالمجتمعات تتبنى تقاليد شفهية في مجال تصريف الأخبار. ولعل العلاقة الرابطة بين الفم والأذن، قد تجسدت طيلة التاريخ، في خطاب الذات للأنا والآخر. ومنذ القرن 19 بدأت تأخذ الإشاعة دلالات متعددة، ومن بينها أن الإشاعة تعني الخبر، الذي لا يعرف مصدره، حيث نقول على سبيل المثال: يشاع أن أو الشائع أن (دائما مبني للمجهول) .

الكلمات المفتاحية: إشاعة، إعلام، تصريف الأخبار، تأصيل، تنظير، علاقات إنسانية، إيديولوجيا .

المقدمـــة:

إن من أشد ما يشن على الأمة من حرب نفسية حرب المصطلح خاصة في مجال الإعلام والدعاية والحرب النفسية، فكتابنا – وللأسف الشديد – أسرى مفاهيم وتصورات وأساليب وخطط وأهداف لمفكرين وسياسيين واستراتيجيين، غربيين ينطلق كل منهم من منطلقاته الفكرية وخلفياته الأيديولوجية ومعتقداته وفلسفته في الحياة ويؤكد على هذه الرؤية استعراض النماذج الإعلامية العالمية الكبرى (الصهيونية والشيوعية والصليبية) وتفننها في نشر أفكارها والتبشير بمعتقداتها مستغلة كل ما تملكه من أجهزة حديثة ووسائل متقدمة، وخطط علمية مستثمرة احدث معطيات في علوم الإعلام والاتصال وفنونه، للسيطرة على الرأي العام، لتكوين الاتجاهات المتوافقة مع فكرها وأيديولوجياتها، مستهدفة من كل ذلك تحقيق مصالح اقتصادية ومكاسب سياسية، وتدمير العلاقات الإنسانية بفعل ما تزرعه من بذور الفتن وما تبثه من الحقد والكراهية بين بني الإنسان مستغلة انعدام العدالة في ملكية مصادر المعلومات، وفقدان السيطرة عليها وعدم التوازن في توزيعها، مستعملة الدعاية المغرضة والتضليل الإعلامي والشائعة مما أدى إلى تقديم صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين. وقناعتي إن ما أنتج في بيئات غير بيئتنا وانطلق من منطلقات غير منطلقاتنا واستند على أيديولوجيات أرضية مناقضة لرسالتنا السماوية لن يكون مستندا لدراساتنا وأبحاثنا لاختلاف العقيدة والفكر والتصور من جهة، والقصد والغاية من جهة أخرى.

كل هذا يفرض علينا صياغة رؤية متميزة للإعلام تتناسب ومعتقداتنا وأفكارنا واتجاهاتنا وفلسفتنا في الحياة ونظرتنا إلى الإنسان وعلاقته بالكون وكذا علاقة كل من الإنسان والكون بخالقهما

ومن البين أن المعارف العقلية التي تستخدم في فهم المراد الإلهي، ينبغي أن تكون على درجة من الوثوق، تنأى بها عن الفرضيات الاحتمالية الضعيفة، فإن إقحام هذه الفرضيات الضعيفة في تحديد المراد الإلهي، يسيء إلى النص الشرعي حينما يظهر خطؤها، وقد عدت مدلولات له، كما أنه يجر إرهاقا وحرجا في شؤون الحياة لما تصبح جارية على أساسه، وهذا ما يدعو إلى الضبط والتدقيق في استخدام المعارف العقلية في فهم الشرع بما يضمن إصابة الحق في أقصى درجاته وهذا لا يمنعنا من الاستفادة من الإنتاج العلمي الغربي شريطة إخضاعه لتصوراتنا وأفكارنا ومعتقداتنا، ويمكن لنا الاستئناس بما توصل إليه غيرنا من نتائج في مجال العلوم الإنسانية والاجتماعية، وتتمثل ضروب الاستئناس بتلك العلوم في الاستفادة من مناهج البحث والتوثيق والتفسير والتخريج، وفي إجراء المقارنات والملاحظة، والإحصاء والاستبيانات، واختبار العينات، أو المقابلة، وهذه كلها أدوات منهجية يستعان بها، لأنها تمثل قاسما مشتركا بين جميع البحوث أينما أجريت، "فهي من العناصر التي يختار بينها حسب الظروف والإمكانات. وهي تهدف إلى إعطاء نتائج قريبة من الصحة أو صحيحة، فيدرك بالإحصاء والاستقراء النمط الأفضل في التعامل، فيعمل به في المجالات الشرعية الظنية الاحتمالية التي لم يتحدد موقفها الشرعي على سبيل القطع واليقين، ذلك أن من الحصيلة البشرية من العلوم والمعارف، ما فيه عون على تبين ما فيه مصلحة من أوضاع المسلمين المستجدة.

وسنحاول في هذه الدراسة تقديم رؤية متميزة لإحدى أخطر وسائل الحرب الإعلامية والنفسية (الشائعة) مستمدة من القران الكريم والسنة النبوية المطهرة كمصادر أساسية لدراستنا النظرية مع الاستفادة من التقريرات والتطبيقات العملية من خلال السياحة الواسعة في السيرة العطرة والتاريخ

الإسلامي، وإطالة التمعن في تفاسير القرآن الكريم، مرورا بشراح السنن والمغازي والأثار، دون إهمال للاجتهادات الفقهية والدراسات النفسية والتربوية والاجتماعية لعلماء المسلمين، مسترشدين بالدراسات الإسلامية المعاصرة، ولن نستنكف من الاستفادة من جهد كل مبدع ودارس منصف شرقيا كان أم غربيا والحكمة ضالة المؤمن انى وجدها فهو أحق بها[1] ونهدف من خلال هذه الدراسة إلى استلال مفهوم إسلامي للشائعة يمهد لتكييف شرعي يقود في نهاية الأمر إلى الحكم الشرعي على هذه الأداة الاتصالية غير الرسمية. وسأتناول الموضوع في المطالب التالية:

المطلب الأول: التعريف اللغـــوي والاصطلاحـــي للشائعة

المطلب الثاني: المفهوم الإسلامـــي للشائعة

المطلب الثالث: قانـــون الشائعة

المطلب الأول: التعريف اللغـــوي والاصطلاحـــي للشائعة: رغم حداثة مصطلح الإشاعة، ونشأته وتطوره في الفكر الغربي، إلا أن اللفظ ومشتقاته واستعمالاته معروف في لغة العرب، بل ورد بنفس المعنى الاصطلاحي الحديث واستعمالاته في القران الكريم. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [2] وسنبين من خلال هذا المطلب التقارب والتوافق بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي لمفهوم الشائعة

أولا: التعريف اللغـــوي: قال ابن منظور في لسان العرب تحت مادة " شيعت فلانا اتبعته، وشايعه: تابعه وقواه ويقال شاعك الخبر، أي لا فارقك، ومنه تشيع النار بإلقاء الحطب عليها وشيعه خرج معه عند رحيله ليودعه.

وتشيع في الشيء: استهلك في الهواء والشيوع ما أوقدت به النار يقال يشيع الرجل بالنار احرقه والمشيع، العجول، والشياع صوت قصبة الراعي وشباته وأشاع بالإبل وشايع بها وشايعها مشايعه أهاب بمعني صاح ودعا. وشاع الشيب انتشر، وشاع الخبر ذاع وأشاع ذكر الشيء، أطاره، أشعت المال فرقته والشاعـــة: الأخبار المنتشرة ورجل مشياع: مذياع لا يكتم سرا، وشاع الصدع في الزجاجة: استطار.[3]

وفي معجم مقاييس اللغة نلاحظ أن المادة شع أيضا تأتي بمعنى قريب من معنى مادة شيع فهي تعني: تفرق وانتشر ومن ذلك شعاع الشمس والشعاع (بالفتح) الدم المتفرق. [4]

وفي المعجم الوسيط: الشائعة: الخبر ينتشر لا تثبت فيه الإشاعة الخبر ينتشر غير مثبت منه[5] ونلاحظ هنا أن الشائعة والإشاعة تأتيان بمعنى واحد.

وفي مختار الصحاح شاع الخبر يشيع شيوعة: ذاع وسهم مشاع وشائع غير مقسوم وأشاع الخبر أذاعه.[6] قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[7] ومعنى أن تشيع الفاحشة أن يشيع خبرها لان الشيوع من صفات الأخبار والأحاديث كالفشو وهو اشتهار التحدث بها أي أن يشيع خبرها[8]

ومعنى الإشاعة الانتشار يقال في هذا العقار سهم شائع إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلا وشاع الحديث إذا ظهر في العامة. [9]

والمعنى المشترك البارز في هذه المعاني اللغوية لمادة شيع هو الانتشار والتكاثر والذيوع والاشتهار وهي تحمل في طياتها أيضا عدم التثبيت

والتريث والتروي واستقصاء الحقيقة في الخبر، وكثرة الترديد والنقل والتشهير والعجلة والخفة.

ثانيا: التعريف الاصطلاحـــي: خلافا لما نتوقعه يصعب العثور على تعريف دقيق للشائعة و هذا نتيجة لارتباطات هذه الظاهرة بجوانب نفسية و اجتماعية و سياسية من جهة وميل التعريفات إلى ابرزا التصورات النفسية والاجتماعية المكونة حول هذه الظاهرة أكثر من تحديد الوظائف التي تمييزها و دورها في شبكة الاتصال الاجتماعي و مع ذلك فإن هذه التعاريف تجمع على إبراز عنصرين بارزين: هما كون الشائعة عملية تبادل رواية كلامية حول موضوع أو حدث أو قصة ذات أهمية من جهة و صعوبة التأكد من صحة الروايات من جهة أخرى.

و هناك تعريفات عديدة و خاصة لدى علماء النفس الأمريكيين و من بينهم العلمين غودرن البورت " GORDEN ALPPORT " و ليو بوستمان " LEO POSTEMAN " اللذان عرفا الشائعة سنة 1945 بأنها تعني كل قضية أو عبارة نوعية مقدمة للتصديق و تتناقل من شخص إلى آخر عادة بالكلمة المنطوقة و ذلك دون أن تكون معايير جيدة للصدق و تدور الإشاعة حول أحاديث و شخصيات و يقول البورت نفسه أن ما يتسم به تعريفنا هذا يتركز في تأكيده على أن الشائعة تزدهر فحسب في غيبة المعايير الأكيدة للصدق لان تلك المعايير تفرق بين الشائعة و الخبر ذلك الذي يكون في متناول جميع القراء في جريدة أو مجلة ما هذا الخبر عندما ارويه لصاحب ما فابتعد عن الخبر الأصلي الذي نشر في الجريدة فثمة إشاعة بدأت أما شارلز انتدال CHARLES ANENDAL فيعرف

الشائعة: بأنها عبارة عن رواية تتناقلها الأفواه دون أن تركز على مصدر موثوق يؤكد صحتها[10]

ويرى كناب KNAPP إن الشائعة تصريح موجه للقبول وخاصة بأحداث آنية ويتم نشره دون إمكانية رسمية لإثباته.

ونفس التعريف نجده تقريبا عند باحثين أمريكيين هما بترسون (PETERSON) وأوجست AUGUST اللذان يعرفان الشائعة بأنها تقرير أو شرح لا يمكن التأكد من صحته[11] ويقدم أبو زيد تعريفان للشائعة يذهب الأول إلى ان الشائعة هي تلك المعلومات أو الأفكار التي يتناقلها الناس دون أن تكون مستندة إلى مصدر موثوق به يشهد بصحتها أما الثاني فيذهب إلى أن الشائعة هي الترويج لخبر مختلف لا أساس له من الواقع أو هي المبالغة التي نكون في سرد خبر يحتوي جزءا ضئيلا من الحقيقة "[12]

ونلاحظ أن الدكتور احمد أبو زيد يتفق مع البورت وبوستمان في ان الشائعة تنتقل عن طريق اللفظ وقد تنتقل من خلال النكتة والحركة التعبيرية إلا انه يضيف بأنها تهدف إلى التأثير على التفكير الإنسان وعلى انفعاله وخياله بصورة تجعله يضيف إلى الشائعة كلاما آخر وفي نفس الوقت تزداد جاذبية وانتشارا[13]

وفي قاموس على النفس يقدم جيمس دريفر JAMES DREYER تعريفا عاما فيقول أن الشائعة عبارة عن قصة غير متحقق منها تنتشر في المجتمع ويزعم فيها حدوث واقعة معينة. [14]

ويعرف الدكتور مختارة حمزة. الشائعة بقوله " أنها الأحاديث والأقوال والأخبار والروايات التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها و دون التحقق من صدقها و يميل كثير من الناس إلى تصديق كل ما يسمعونه دون محاولة للتأكد من صحته ثم يروون بدورهم إلى غيرهم و قد يضيفون إليه بعض

التفصيلات الجديدة و قد يتحمسون لما يروونه و يدافعون عنه بحيث لا يدعون السامع يتشكك في صدق ما يقولون "[15] و يعرف الدكتور حسنين عبد القادر الشائعة بأنها فكرة خاصة يؤمن بها الناس تنتقل من شخص لآخر ويتم هذا عادة بواسطة الكلمة التي يتفوه بها الإنسان دون أن يستند إلى دليل أو شاهـــد "[16]

والشائعة كما يقول الدكتور إبراهيم إمام " تقوم على أساس انتزاع بعض الأخبار أو المعلومات ومعالجتها بالمبالغة والتأكيد أحيانا وبالحذف والتهوين أحيانا أخرى ثم إلقاء ضوء باهر على معالم محـــددة تجسم بطريقة انفعالية وتصاغ صياغة معينة بحيث يتيسر للجماهير فهمها ويسهل سريانها واستساغتها على أساس اتصالها بالأحاديث الجارية وتمشيها مع العرف والتقاليد والقيم السائدة[17]

ومهما يكن من أمر فان العديد من الباحثين على حد تعبير الدكتور محمود أبو زيد يعتبرون الشائعة رواية تتناقلها الأفواه دون التركيز على مصدر يؤكد صحتها أو أنها اختلاق لقضية أو الخبر ليس له أساس من الصحة أو هي مجرد تحريفات بالزيادة أو النقصان في سرد خبر يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة وكله مما قد يعبر عنه باللفظ أحيانا وبالنكتة والرسم أحيانا أخرى "[18]

إن معظم التعريفات المتوفرة حول الشائعات و التي سردنا أمثلة منها هي تعريفات يمكن أن نطبقها على جميع ظواهر الاتصال الاجتماعي و هذا ما يثير التساؤل عن مدى توفر هذه التعريفات على المميزات التي تعطي للشائعة سمتا خاصا يميزها عن بقية الظواهر الأخرى كما أن هذه التعريفات تميل إلى اعتبار الشائعة مجرد عملية نقل معلومات خاطئة أو على الأقل يصعب التأكد من صحتها هذا الاعتبار لا يمكن تعميمه إلى جميع الحالات

إذ انه يمكن العثور على شائعات تحمل أخبارا صحيحة و بالتالي يمكن التأكد مـــن صحتها "[19] و لكن هذه الأخبار الصحيحة التي قد ترد في بعض الشائعات غالبا ما تكون ممزوجة بأخبار كاذبة و من ثم يصعب التحقق والتأكد منها بل إن الشائعة غالبا ما تنطلق من معطيات تهيئ لقبولهـــــــا لان مروحيها يختارون الأرضية و الظروف المناسبة لإطلاقها .

كما انه يمكن أن نلاحظ على التعاريف السابقة و خاصة تلك التي تجعل من الشائعات ظاهرة اتصال عرضية تظهر في أوقات معينة لتدخل عوامل الإخلال بنظام شبكة الاتصال الاجتماعي و بالتالي تعتبرها حالة مرضية يجب معالجتها أن هذا الموقف و إن كان لا يخلو من الصحة يعكس في حقيقة الأمر اتجاها معينا يفضل الاهتمام بظاهرة الشائعات في الظروف التي تمارس فيها تأثيرا سلبيا على بقية وسائل الاتصـــال الاجتماعي العادية لي في الظروف التي تعمل فيها على إدخال عوامل نمو الحالات المرضية في شبكة هذه الوسائل "[20]

ولا بد من تجاوز مثل هذا الطرح لظاهرة الشائعات للاهتمام بها كظاهرة اتصال اجتماعي تميز كل المجتمعات في مختلف تاريخها ونفس السبب يجعلنا نبحث على تعريف لهذه الظاهرة وفقا لمعطيات هذه الإشكالية.

ومن أهم الخصائص التي يجب أن تتوفر في هذا التعريف اعتبار الشائعات ظاهرة اتصال تتكون من العناصر الأساسية لكل ظاهرة اتصال اجتماعي (المرسل – المرسل إليه الرسالة – شبكة النقل – التأثير – رد الفعل)

ونلاحظ أن التعريفات السابقة توحي بان هذه العناصر غير متوفرة في ظاهرة الشائعات أو على الأقل لا تبدو واضحة فيها بحيث يصعب في معظم الأحيان تحديد المرسل وكذا التأكد من صحة الأخبار والمعلومات المروجة.

إلا أن الدراسة التحليلية لهذا الموضوع تبين أن الاعتقاد بعدم توفر هذه العناصر في ظاهرة الشائعات ما هو إلا غموض ناتج عن عدم الأخذ بعين الاعتبار الخصائص المميزة لهذه الظاهرة كوسيلة اتصال اجتماعي

" و يجب أن نوضح في هذا الإطار صعوبة تحديد هوية المرسل للشائعات أو مصدرها و هذا لسببين الأول: هو مرور الشائعات بعدد كبير من المرسلين الذين يحاولون استغلال عملية نقلها لإدخال تعديلات و تحريفات مختلفة للمحتوى و المصدر و هذا راجع لإبراز دورهم ز طابعهم الشخصي والسعي من وراء ذلك للحصول على مكانة اجتماعية أما السبب الثاني فهو تابع عن كون الشائعة ظاهرة تكتسي و جودها و فعاليتها بشكل تدرجي تبعا لدرجة شيوعها و تقبلها من طرف الرأي العام و ذلك فان راسلها الأصلي يفضل في معظم الأحيان عدم الإسراع إلى كشف هويته تحسبا للعواقب الوخيمة التي قد تنجم عن عدم شيوع الأخبار و المعلومات التي يريد نقلها "[21]

" ومن المفيد أيضا أن نشير بخصوص هذه المسالة إلى أن معظم الباحثين الأمريكيين الذين أشرنا إليهم لا يولون أهمية بالغة وأولوية خاصة لتحديد هوية مرسل الشائعات ومصدرها الأساسي لأن هذا لا يفيد كثيرا بقدر ما يوجهون اهتمامهم لدراسة الدور البسيكولوجي والسيسيولوجي الذي تلعبه عمليات ترويج الشائعات في إقامة علاقات اتصال اجتماعي أي في خلق وضعيات ومواقف اجتماعية وبالتالي تنمية تصورات واتجاهات معينة في الرأي العام "[22]

ومن الطبيعي في هذه الحالة أن تحظى الخصائص النفسية والاجتماعية والثقافية لمستقبلي الشائعات بعناية كبيرة إذ أنها تشكل البيئة التي تتجلى فيها فعالية وتأثيرات هذه الظاهرة ومدى قوتها ويلاحظ بهذا الشأن أن الدراسات العلمية التي أنجزت خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية قد حققت نتائج

إيجابية خاصة فيما يتعلق بتحديد نماذج الأفراد الذين يميلون أكثر من غيرهم إلى تقبل الشائعات، و كذا في معرفة نوعية الأوضاع الاجتماعية المساعدة على انتشـــار هذه الظاهرة ووظيفتهـــا السيكوسوسيولوجية[23] أمـــا بالنسبة للخطاب المروج أي الرسالة أو مضمون الشائعات فان صعوبة التأكد من صحة المعلومات التي يحتويها يمكن تفسيرها بطبيعة بنية محتوى الشائعات كوسيلة اتصال اجتماعي إذا الملاحظ أن هذا المحتوى يتعلق بقضايا و مسائل و أحداث اجتماعية حقيقية و نادرا ما تكون وهمية غير أن طريقة عرضها التي تتعرض إلى عدة أشكال من التحريفات، تهتم بالدرجة الأولى بتقديم إجابات عن الأسئلة التي يطرحها الرأي العام أي اختيار شكل إعلامي يتكيف مع الحالات النفسية للوسط الاجتماعي الذي يشكل ميدان ترويج الشائعات ونتيجة لكل ذلك فان البيئة الإعلامية لهذه الظاهرة تجعل من الاهتمام بقضية التدليل على صحة المعلومات المروجة أمرا ثانويا.

وسواء كان هذا الخطاب يحتوي على معلومات لا تحتاج لا ثبات صحتها أو أخبار تستدعي عناية خاصة لا ثبات صحتها أو بطلانها فان مهمة هذا الخطاب هو تحقيق عملية تبادل إعلامي في نطاق وضعية اتصال اجتماعي. [24]

ولسنا بصدد تحليل أهمية التبادل في حياة المجتمعات ويكفي أن نشير فقط إلى أن العديد من علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ ومن بينهم العالم الفرنسي كلود ليفي ستروس فقد اثبت أهمية ظاهرة التبادل في تطور المجتمعات من ناحية بنيتها الداخلية ومن ناحية علاقاتها الخارجية. [25]

وكما هو الشأن في جميع جوانب الحياة الاجتماعية يصعب الحصول على حالة مثالية لعمليات التبادل أو على الأقل يصعب المحافظة على حالة واحدة لها عبر الزمان و المكان و لهذا فان التنافر الإعلامي ظاهرة يصعب إن لم

نقل يستحيل في معظم الأحيان القضاء عليها مما يفسح المجال واسعا لنمو وسائل إعلامية هامشية يمكن أن تصبح لها فعالية تفوق تلك الفعالية التي تكون لشبكة الإعلام العادية و ذلك في ظروف اجتماعية و استثنائية و مما سبق يتضح أن الشائعات بغض النظر عن التقييم المعياري الذي تثيره عادة هي في حقيقة الأمر وسيلة اجتماعية لتبادل الأخبار إذ أنها تمس مجموعـــات كبيـــرة من أفراد المجتمع كما أنها تستمد تنظيمها و كيفية انتشارهـــا من شبكة الاتصال الاجتماعي نفسها و تحدد أهدافها من خصائص الوسط الذي تظهر فيه "[26]

ولعل هذا ما دفع بعض الباحثين إلى تعريفها باعتبارها نوع من الخطاب ذي بنية خاصة يتم تبادله في محيط اجتماعي معين بواسطة الاتصالات بين الأفراد وفقا لمعايير معينة موجودة في شبكة الإعلام العادية[27]

وهكذا يتضح لنا أن الشائعات في ظهورها وانتشارها، تعكس وضعية نظام وفعالية العمل في شبكة الإعلام،" وهذا ما يوضحه اندري بادين باقا **André badinbaga** الباحث الإفريقي المتخصص في الإعلام حينما يعرف الشائعة الاجتماعية باعتبارها كاشف اجتماعي يعكس رد الفعل الشعبي إزاء نقص الإعلام[28]

و قد يتجاوز هذا الدور الإعلامي الذي تلعبه الشائعات وضعيات نقص الإعلام التي أشار إليها هذا الباحث إلى وضعيات معينة أخرى تصبح منها هذه الظاهرة الوسيلة المفضلة لترويج الأخبار و نقل المعلومات من بين هذه الوضعيات تذكر حالة الصراعات السياسية بين الأحزاب و فترات الانتخابات السياسية التي يتم فيها ترويج أخبار غير رسمية في محاولة للإخلال بمواقف المنافس و التأثير على أنصاره كما أن بعض الأنظمة السياسية حتى في بعض البلدان الديمقراطية تفضل بشان بعض القضايا الشائعات كوسيلة

إعلامية. وهذا ما يسميه الباحث الفرنسي جان نويل كابفرير " **jean noël Kämpfer**" شائعات الكواليس "[29]

ومن خلال هذه التعاريف يتبين لنا أن الشائعات ظاهرة اجتماعية تتعلق بميدان رئيسي في الحياة الاجتماعية وهو ميدان الاتصال الاجتماعي الذي يحتوي على دلالات سوسيولوجية هامة تتمثل في نوعية التفاعل الاجتماعي الذي تبرزه وفي كيفية تحقيق التكيف الاجتماعي الذي تعبر عنه وفي الرؤية المفضلة للواقع أي كيفية الفصل بين مختلف أجراء هذا الواقع لتنظيمية واستنطاقه "[30] ويمكن القول إن التعريفات السابقة للشائعة تجمع على النقـــاط التاليـــة:

1- ان الشائعة تبدأ من إيجاد خبر لا أساس له من الصحة أو تلفيق خبر فيه أثر من الصحة أو المبالغة في نقل خبر فيه شيء من الصحة.

2- تزدهر الشائعات في الأجواء التي يكتنفها الغموض أو عندما تكون الأخبار في أقصى وفرتها وعندما يرتاب الناس في الأخبار.

3- إن من سمات الشائعة الإيجاز وسهولة التذكر، وسهولة النقل والرواية.

4- ان الشائعات تنتشر في مواقف الحرج والاضطراب والقلق والفوضى كما تنتشر إذا كانت تدور حول موضوع هام.

المطلب الثانـــي: المفهوم الإسلامـــي للشائعة: انه من الصعب تحديد مفهوم إسلامي دقيق للشائعة لان الذين تناولوا هذا الموضوع بالبحث لم يتطرقوا في كتبهم وأبحاثهم إلى الجانب الإسلامي فيه لان معظم الكتاب الذين تعرضوا للموضوع غربيين ومن ثم نظروا إليه من وجهة نظرهم الخاصة والمتماشية مع معتقداتهم وفلسفاتهم وحتى العرب الذين كتبوا في هذا الموضوع تأثروا بالغربيين في دراساتهم وأبحاثهم وقد مر معنا في بداية البحث التعريف

اللغوي ومن خلاله تأكد لنا أن اللفظ معروف في لغة العرب رغم حداثة الدراسات الإعلامية

قال الراغب الأصفهاني في المفردات: شيع: الشياع: الانتشار والتقوية يقال شاع الخبر أي كثر وقوى و شاع القوم انتشروا و كثروا و شيعت النار بالحطب: قويتها و الشيعة: من يتقوى بهم الإنسان و ينتشرون عنه و منه قيل للشجاع مشيع يقال شيعه و شيع و أشياع[31] قال تعالى ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [32] ﴿هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ﴾[33] ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾[34] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾[35] ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ ﴾ [36]، إلا أن أدق آية وردت في القران تعبر بوضوح و صراحة و تحمل المضمون اللغوي والاصطلاحي للشائعة هي قوله تعالى في سورة النور﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [37] قال الرازي في شرح هذه الآية ومعنى الإشاعة الانتشار ويقال في هذا العقار سهم شائع إذا كان في الجميع ولم يكن منفصلا وشاع الحديث إذا ظهر في العامة[38] فالآية صريحة وقد جاءت تعقيبا على حادثة الإفك التي تمثل نوعا من الإشاعة حيث ان الله سبحانه وتعالى توعد أولئك الذين يحبون أن تنتشر قولة السوء في أوساط المؤمنين بعذاب اليم في الدنيا والآخرة وخاصة إذا كانوا يسعون لترويجها ونشرها بين الناس بترديدها ونقلها من مكان إلى مكان.

وقد ورد القران الكريم آيات أخرى كثيرة في عدة مواضع تتحدث عن الشائعة وأثرها السلبي داخل المجتمعات وموقف المؤمنين منها ولم يرد استعمال اللفظ بعينه من ذلك وصف الله سبحانه وتعالى لعبادة المؤمنين الذين تعرضوا للشائعات ولم تزودهم إلا تمسكا بإيمانهم وثباتا على عقيدتهم والتزاما بنهجهم القويم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾ " (39)

فهؤلاء قوم مؤمنون حاول أعدائهم إيهامهم بما يلقونه في أسماعهم من أقاويل تهول من حجم قوتهم و كثرة عنادهم و مدى استعدادهم للحرب وكل ذلك كان من صنع خيال المروجين و المرجفين الذين كان هدفهم تثبيط عزائم المؤمنين و تخذيلهم حتى يجبنوا و يخوروا ولا يتأهبوا للقاء عدوهم و سبب نزول هذه الآيات يؤكد ذلك بوضوح قفد روي ابن عباس أن أبا سفيان لما عزم أن ينصرف من المدينة إلى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى فنقتتل بها إن شئت فقال عليه الصلاة و السلام لعمر قل بيننا و بينك ذلك إن شاء الله تعالى فلما حضر الأجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل بمر الظهران و ألقى الله تعالى الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي و قد قدم ابن مسعود معتمرا فقال يا نعيم إني و عدت محمد أن نلتقي بموسم بدر و إن هذا عام جدب و لا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر و نشرب فيه اللبن و قد بدا أن ارجع و لكن إن خرج محمد و لم اخرج زاد بذلك جراءة فاذهب إلى المدينة و ثبطهم و لك عندي عشرة من

الإبل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي فان ذهبتم إليهم لم يرجع منكم احد فوقع ها الكرم في قلوب قوم منهم فلما عرف الرسول صلى الله عليه و سلم ذلك قال و الذي نفس محمد بيده لأخرجن إليهم و لو وحدي ثم خرج النبي صلى الله عليه و سلم و معه نحو سبعين رجلا فيهم ابن مسعود و ذهبوا إلى أن وصلوا إلى بدر الصغرى و هي ماء لني كنانة و كانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام و لم يلحق رسول الله صلى الله عليه و سلم و أصحابه أحدا من المشركين ووافقوا السوق و كانت معهم نفقات و تجارات فباعوا و اشتروا أدما و زبيبا وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين ورجع أبو سفيان إلى مكة فسمى أهل مكة جيشه بجيش السويق و قالوا إنما خرجتم لتشربوا السويق [40]

ومن خلالها هذا النص يتضح أن أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتأثروا بقول نعيم بم مسعود الأشجعي المثبط لهم والمخيف لهم من أعدائهم وقال الرازي: والمراد بزيادة الإيمان أنهم لما سمعوا هذا الكرم المخوف لم يلتفتوا إليه بل حدث في قلوبهم عزم متأكد على محاربة الكفار وعلى طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في كل ما يأمر به وينهي عنه ثقل ذلك أو خف لأنه قد كان فيهم من به جراحات عظيمة وكانوا محتاجين إلى المداواة وحدث في قلوبهم وثوق بان الله ينصرهم على أعدائهم ويؤيدهم في هذه المحاربة[41]

ويصف القران في موضع آخر صنفا من المسلمين تأثروا بالشائعات فزعزعت كيانهم و ثبطت عزائمهم و أدخلت في صفوفهم نوعا من الفوضى و الاضطراب و فلتت فيها زمام الأمور لأنهم لم يردوها إلى أهلها قال الله عز و جل﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ

رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [42] و الله سبحانه و تعالى يتحدث عن فئة كانت تظهر الإيمان وهم المنافقون " الذين كانوا إذا جاءهم الخبر بأمر من الأمور سواء كان ذلك الأمر من باب الأمن أو من باب الخوف أذاعوه و أفشوه و كان سببا للضرر من وجوه أولا: إن مثل هذه الارجافات لا تنفك عن الكذب الكثير و ثانيا انه إذا كان ذلك الخبر في جانب الأمن زادوا فيه زيادات كثيرة فان لم توجد تلك الزيادات أورث ذلك شبهة للضعفاء في صدق الرسول صلى الله عليه و سلم، لان المنافقين كانوا يروون تلك الارجافات عن الرسول صلى الله عليه و سلم و إذا كان ذلك في جانب الخوف تشوش الأمر بسببه على ضعفاء المسلمين ووقعوا عند الحيرة والاضطراب فكانت تلك الأراجيف سببا للفتنة من هذا الوجه و ثالثا أن الارجافات سببا لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام و ذلك سبب لظهور الأسرار و ذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة و رابعا ان العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين و بين الكفار وكان كل واحد من الفريقين في إعداد ألآت الحرب و في انتهاز الفرصة فيه فكل ما كان أمنا لأحد الفرقين كان خوفا للفريق الثاني فان وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر وآلات الحرب لهم أرجف المنافقون بذلك فوصل الخبر في أسرع وقت إلى الكفار فاخذوا في التحصين من المسلمين وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم و إن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك وزادوا فيه والقوا الرعب في قلوب الضعفة و المساكين فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف منشأ للفتن و الآفات من كافة الوجوه[43].

والآية تحدثت عن قوم خدعوا بما سمعوا وتأثروا وتبلبلت أفكارهم وحام حولهم الريب والشك وتحطمت معنوياتهم وفقدوا ثقتهم بأنفسهم وقادتهم فسارعوا إلى إذاعة كل ما سمعوا بل ربما زادوا عليه أو نقصوا منه دون تأكد وتريث وترو وإعمال عقل واستشارة ذوي الرأي فيهم حتى يعطوهم القول الفصل في مثل تلك الأقاويل.

و في موضع آخر يبين القرآن عاقبة الذين يؤذون الله و رسوله و المؤمنين و المؤمنات بالشائعات و الافتراءات فيقول سبحانه و تعالى في سورة الأحزاب

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[44] و الله سبحانه و تعالى لا يؤذى إلا بالقول من قبل العبد لأنه عاجز عن إيذائه اذاية مادية أما بالنسبة للرسول صلى الله عليه و سلم والمؤمنين و المؤمنات فالمراد بالإيذاء أيضا إيذائهم بالقول و قد دل على ذلك قوله تعالى في نهاية الآية " فقد احتمل بهتانا و إثما مبينا " والبهتان هو الزور و هو لا يكون إلا في القول[45] و إيذاء المؤمنين لا يكون إلا بالقيل و القال والإشاعة و الترويج و القذف و الغمز و اللمز و تشديد العقوبة من قبل المولى عز وجل دال على فداحة الجرم و بشاعة الفعل و في موضع آخر من السورة السابقة يعبر المولى عز وجل عن الشائعة بلغة الإرجاف فيقول

سبحانه و تعالى ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[46] والآية تذكر ثلاثة أصناف أحدها المنافق الذي يؤذي الله سرا والثاني الذي في قلبه مرض الذي يؤذي المؤمن بإتباع نسائه وإشاعة الحديث حولهن وقذفهن في أعراضهن والثالث المرجف الذي يؤذي النبي عليه الصلاة والسلام وأتباعه بالإرجاف بقوله غلب محمد وسيخـــرج من المدينة وسيأخذه هؤلاء وان كانوا قوما واحدا إلا ان لهم ثلاثة اعتبارات[47]

و في سورة النور يتحدث القران الكريم عن حادثة الإفك مبينا حكم الله في الذين يطلقون الشائعات ضد الأبرياء من المؤمنين و المؤمنات و سنستعرض تفصيلا دقيقا لهذه الحادثة التي زلزلت كيان المجتمع الإسلامي آنذاك وترتبت عنها اثأر سلبية كثيرة فيقول الله عز وجل ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ

فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَـٰذَا سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَـٰتِ ٱلْغَـٰفِلَـٰتِ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ لُعِنُواْ فِى

ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٢٣﴾ يَوۡمَ تَشۡهَدُ عَلَيۡهِمۡ أَلۡسِنَتُهُمۡ وَأَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوۡمَئِذٖ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلۡحَقَّ وَيَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ ٱلۡمُبِينُ ﴾ [48]

والإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان وهو الأمر الذي لا تشعر به حتى يفجأك. وأصله الإفك وهو القلب؛ لأنه قول مأفوك عن وجهه واجمع المسلمون على أن المراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها وإنما وصف الله سبحانه وتعالى ذلك الكذب بكونه إفكا لان المعروف عن حال عائشة رضي الله عنها خلاف ذلك[49].

" وحادثة الإفك كلفت اطهر النفوس في تاريخ البشري كلها إلا ما لا تطاق وكلفت الأمة المسلمة كلها تجربة من اشق التجارب في تاريخها الطويل، وعلق قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلب زوجه عائشة التي يحبها وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل شهرا كاملا علقها بحبل الشك والقلق والألم الذي لا يطاق[50]

و في هذه الآيات يبين الله سبحانه و تعالى عقابه المنزل بالذين يطلقون الشائعات كعبد الله بن أبي بن سلول الذي لم يكن هو وحده الذي أطلق ذلك الإفك إنما هو الذي تولى معظمه و هو يمثل عصبة اليهود و المنافقين الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية و كان حديث الإفك احدي مكائدهم القاتلة[51]. ولم يسلم المسلمون من ذلك فخاض من خاض منهم في حديث الإفك كحمنة بنت جحش وحسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة و ساهموا بغفلتهم في نشر الإشاعات وترويجها وإشاعة قالة السوء داخل ذلك المجتمع الطاهر العفيف ...

ونلاحظ أن تلك العصبة أصل التدبير لم تظهر بوضوح في المعركة ولم تقل علانية ما يؤخذ عليها فتقاد إلى الحد وإنما كانت تهمس به بين فئتهم التي تطمئن إليها ولا يشهدون عليها وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهرا كاملا وان تتداوله الألسنة في اطهر بيئة وأنقاها[52] ومما سهل انتشار هذه الفرية الضخمة التي تناولت أعلى المقامات وأطهر الأعراض أنها مرت هكذا سهلة هينة وشاعت في غفلة من المؤمنين دون تثبيت ولا بينة وتقاذفتها الألسنة ولاكتها الأفواه دون شاهد ولا دليل.

" والقرآن يرسم صورة لتلك الفترة التي أفلت فيها الزمام واختلت المقاييس واضطربت فيها القيم وضاعت فيها الأصول. إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم و هي صورة فيها الخفة و الاستهتار و قلة التحرج و تتناول أعظم الأمور و أخطرها بلا مبالاة و لا اهتمام ... لسان يتلقى عن لسان بلا تدبر و لا ترو و لا فحص و لا إمعان نظر حتى لكان القول لا يمر على الآذان ولا تتملاه الرؤوس ولا تتدبره العقول[53] و في آية أخرى يخاطب تعالى المؤمنين و يأمرهم بان لا يتبعوا سبيل المنافقين الذين أذوا الأنبياء وأتباعهم فيقول جل شأنه: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴾ [54]

فقد نهى الله سبحانه وتعالى عن إيذاء الأنبياء بالقول الفاحش والافتراء والكذب والتلفيق كما فعل أهل الكتاب مع موسى عليه السلام، ويوجه القران المؤمنين إلى تسديد القول وإحكامه والتدقيق فيه، ومعرفة هدفه واتجاهه قبل أن يتابعوا المنافقين والمرجفين فيه وقبل أن يستمعوا في نبيهم ومرشدهم إلى

قول طائش ضال مغرض، بل ويوجههم إلى القول الصالح الذي يقود إلى العمل الصالح، فالله يرعى المسددين ويقود خطاهم ويصلح أعمالهم جزاء التصويب والتسديد(55)

ومن الآيات التي أشارت إلى موضوع الشائعة قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَـٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَـٰدِمِينَ ﴾(56) وواضح من الآيات السالفة الذكر أن القران الكريم، وان لم يرد فيه لفظ الشائعة إلا انه عبر عنها بمستلزماتها والأفعال المعبرة عنها كالإرجاف والكذب والافتراء، والإفك والبهتان، والقذف والزور وغيرها من الألفاظ التي تؤدي نفس الغرض وتعبر عن نفس المعنى. فالشائعة إفشاء لأسرار عسكرية قصد توهين العزيمة وتثبيط الهمة وزعزعة الصف، كما أنها استعراض لقوة عسكرية موهومة فصد التخويف والتخذيل وإضعاف الروح المعنوية لدى المقاتلين.

كما أنها ترويج لأخبار عارية عن الصحة حول أناس وشخصيات بغرض تشويه سمعتهم وإضعاف مركزهم الاجتماعي وتصغيرهم في عيون خصومهم.

وهي افتراء وكذب وبهتان يراد به إشاعة الفوضى والبلبلة وإثارة الفتن داخل المجتمعات حتى تسهل السيطرة عليها واستغلالها.

وهي الترويج لخبر مختلق لا صلة له بالواقع أو فيه كثير من المبالغة والتهويل، أو تشويه خبر يحمل جزء ضئيلا من الحقيقة بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو النوعي تحقيقا لأهداف سياسية أو

اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة أو عدة دول أو على مستوى العالم بأجمعه[57].

وهي الأحاديث والأقوال والروايات التي يتناقلها الناس دون التأكد من صحتها والتحقق من صدقها[58].

وهي فكرة ليؤمن بها الناس تنتقل من شخص إلى آخر ويتم ذلك عن طريق الكلمة التي يتفوه بها الإنسان دون الاستناد إلى دليل أو شاهد[59]

وتقوم الشائعة على أساس انتزاع بعض الأخبار أو المعلومات ومعالجتها بالمبالغة والتأكيد أحيانا، وبالحذف والتهوين أحيانا أخرى، وإلقاء ضوء باهر على معالم محددة، تجسم بطريقة انفعالية وتصاغ صياغة معينة بحيث يتيسر للجماهير فهمها ويسهل سريانها واستساغتها واستيعابها على أساس اتصالها بالأحداث ومسايرتها للأعراق والتقاليد والقيم السائدة[60]

وهي أخبار مشكوك في صحتها ويتعذر التحقق من أصلها وتتناول موضوعات ذات أهمية لدى من توجه إليهم، ويؤدي تلقيهم ونشرهم لها إلى إضعاف روحهم المعنوية.[61] وهي النبأ الهادف المجهول المصدر، وتنتشر بسرعة وذات طابع استفزازي أو هادئ حسب طبيعة النبأ[62] وإذا كان الكذب خلاف الحقيقة، والكذاب هو من يحدث بخلاف الواقع، فان الإشاعة لا تعدو في جانب منها أن تكون كذبا. ونخلص ما تقدم إلى ان الشائعة كذب وافتراء. قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴾ [63]

وقد مر معنا أنها الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع. وهي رواية تتناقلها الأفواه دون التأكد من مصدرها، وان لم تكن الشائعة كذب صرف فهي كذب ممزوج بجزء من الحقيقة، أو هي حقيقة محرفة ومشوهة

نتيجة الزيادات والإضافات التي طرأت عليها أو نتيجة التعديلات والحذف الذي يصيبها أثناء سريانها وانتشارها

والشائعة ظن والظن أكذب الحديث، والظن لا يغني عن الحق شيئا، لأنها تنطلق في الغالب من ظنون وأوهام وتخيلات وتكهنات كل البعد عن الحقيقة أو تحمل نزرا يسيرا من الحقيقة. يقول الدكتور إبراهيم إمام" والحق أن الشائعة مزيج عجيب من الوقائع والتخيلات ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلها عن الجوانب الخيالية، حتى إننا كثيرا ما نعجز عن اكتشاف النواة الحقيقية للشائعة، بل قد نصل إلى انه لا وجود لنواة حقيقية للشائعة. وتتزايد الشطحات الخيالية عند انتقال الشائعة من شخص إلى آخر[64]

المطلب الثالث: قانـــون الشائعة: تنشر الشائعة إذا توفر شرطان هما؟: الأهمية والغموض ولقد عبر البورت عن ذلك بلغة شبه رياضية فالشائعة تساوي الأهمية في الغموض (ش x غ) ويقول البورت أن هذه العلاقة هندسية وليست عددية لأنه إذا لم يكن للحادث أهمية من الزاوية الاجتماعية فان الغموض لا يعتبر كافيا لإحداث إشاعة. [65]. " فالعلاقة بين الأهمية والغموض ليست علاقة إضافة، وإنما تضاعفيه بمعنى انه إذا كانت الأهمية " صفرا "

وإذا كان الغموض " صفرا " لن تكون هناك إشاعة".[66] ويمكن التوضيح بشكل تصوري بالأعداد عن قانون الشائعة بالمثال التالـــــي: 1000 " أهمية " x " غموض" = 1000000. فلو كان الغموض اقل أو أهمية أو كلاهما فان الناتج أو فاعلية الشائعة تتغير بالتالي و بنسبة طردية " و على هذا الأساس إذا أراد المهيمنون على شؤون الدعاية و الإعلام الإقلال من شان الشائعة فان الأساس في ذلك هو خفض درجة الغموض أو درجة الأهمية أو

كليهما، و لما كانت الأهمية لا تخضع لعوامل الخفض لأنها ترتبط بنواحي داخل الأفراد أنفسهم فان المسؤولين يوجهون اهتمامهم للغموض فيلقون بالمزيد من المعلومات و الأخبار عن الموقف حتى بتجلي للجمهور الأمر ولا يصبح في الموقف أي غموض تنخفض درجته إلى الصفر تقريبا فيكون الناتج لو ظلت الأهمية 1000 كما يلي الأهمية 1000 الغموض صفر = صفر أي لا يكون هناك للشائعة بالتالي فاعلية[67].

ويرى الدكتور إبراهيم إمام أيضا " أن سريان الشائعة يخضع لشرطين أساسيين فالشرط الأول ينطوي على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمستمع أما الشرط الثاني فهو الغموض الذي يطوي الحادث ويلفه وقد ينشا الغموض من انعدام الأخبار أو نضويها أو نضوبها أو عن تضارب الأخبار، أو عدم الثقة بها أو عن بعض التوترات الانفعالية التي تجعل الفرد غير قادر أو غير متهيئ لتقبل الوقائع التي تقدمها الأخبار إليه "[68]

وواضح أن هذين الشرطين الأساسيين اللذين توصلا إليهما الباحثين الغربيين من خلال دراسات ميدانية تجريبية لا يتعارضان وتصوراتنا ورؤانا الإسلامية لسريان الشائعة وانتشارها. وهذا ما يؤكد أن العلم الصحيح المبني على العقل والتجربة والملاحظة المجردة لا يتعارض مع ما جاءت به الشريعة.

ومن الأمثلة في التاريخ الإسلامي ما أشاعه المشركون في صلح الحديبية عن مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه , و كان قد ذهب إلى مكة من اجل تثبيط المسلمين و فت عزيمتهم و ضرب روحيهم المعنوية حيث كانوا خارج مكة مع النبي – صلى الله عليه و سلم – يتأهبون لدخول مكة " و ليس من شك أن إشاعة – مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه – في مكة كانت في واقعها بالغة الأهمية من كون عثمان بن عفان – رضي الله عنه – من كبار

الصحابة الكرام و من السابقين للإسلام و انه يعتبر من القادة الكبار الذين تؤول إليهم الأمور في تقرير مصيرها و من المقربين إلى رسول الله – صلى الله عليه و سلم – بالإضافة إلى انه قد تزوج ابنته رقية و بعد وفاتها تزوج من أم كلثوم و تزداد أهمية هذا الموضوع من كون عثمان بن عفان – رضي الله عنه مبعوث رسول الله – صلى الله عليه و سلم – إلى قريش و حامل رسالته إليهم و انه قد ذهب في حاجة الله و رسوله , لذلك فان هذه الشائعة كانت شديدة الوقع في نفوس المسلمين الأمر الذي نتج عنه تغيير كامل في موقفهم و انقلاب الوضع من الصبر الطويل إلى القرار الفوري بدخول المعركة.[69] هذا بالنسبة لعامل الأهمية أما الغموض فان هذا الحادث أيضا كان يكتنفه غموض شديد فعثمان – رضي الله عنه – قد ذهب إلى مكة كمبعوث خاص للنبي – صلى الله عليه وسلم – وهو بين أيدي المشركين أعداؤه ولا سبيل لمعرفة الخبر اليقين عن حالة عثمان – رضي الله عنه – وما فعل به أعدائه ومن ثم وجد المروجون الظرف المناسب لا طلاق مثل هذه الشائعة التي تسللت إلى آذان المسلمين ولم يصل غيرها من الأخبار الصحيحة المفندة لها ومن ثم كان لها أثرها الفعال في صفوف المسلمين. والمثال الثاني في سيرة المصطفى – صلى الله عليه وسلم – في المدينة وهو حادثة الإفك التي لاكها الناس شهر كاملا رغم طهارة الأشخاص الذين كانت تدور حولهم تلك الإشاعة و قدسية البيت الذي مست كيانه و قد سرت هذه الشائعة و انتشرت بين المسلمين و جذبت إليها صحابة معروفين بمكانتهم في الإسلام ووقعوا في الترويج و الترديد و الإشاعة و تركت آثارا عميقة في نفوس المسلمين و كادت أن تحطم معنوياتهم و تفقدهم الثقة بقائدهم و بأنفسهم ... و من الواضح انه مما يساعد على انتشارها و شدة سريانها " توفر الشرطين الأساسيين لشدة سريان أي شائعة وهما (أهمية الموضوع وهو ما

يتعلق ببيت النبوة و هو يمثل أعلى مقام في المجتمع الإسلامي، وتحطيمه يعني تحطيم الإسلام كله ثم الغموض الشديد الذي اكتنفها و أحاط بها طيلة شهر بكاملة) ولم ترد أخبار أكدت الصحة تزيل هذا الغموض إلا بعد نزول القران الكريم مزيلا لكل الشبهات و مفندا ما راج آنذاك ولما كان قانون الشائعة الأساسي هو حاصل ضرب الغموض في الأهمية كما مر معنا سابقا كانت هذه الشائعة ضخمة وجسيمة في آثارها المروعة نتيجة لأهميتها الكبيرة و غموضها الشديد "[70] ولقد قام فستنجز عام 1948 بوضع قانون للشائعة يقوم على أساس عدم الوضوح المعرفي و يعني أن الشائعة تميل للظهور في المواقف التي تكون الجوانب العقلية بها غير منتظمة أي في حالة فوضى خاصة إذا كانت تلك الجوانب تتعلق بالسلوك الحاضر والمقصود بذلك أن معرفة الناس بأسباب الشائعة تكون معرفة عقلية مشوشة. و تتفق كلا المعادلتين أو القانونيين (البورت فستنجر) في تحديد عدم الوضوح المعرفي أو الغموض و الأهمية أو الصلة بالموضوع كمحددات لأصل وانتشار الشائعة و لقد كانت معادلة فستنجز أكثر خصوصية في تناولها للأهمية حيث ربطتها بالسلوك الحاجز.

وفيما يتعلق بهاتين المعادلتين أيضا فانه من المهم توضيح ما هو متضمن فيهما و هو أن حالة عدم الوضوح المعرفي الخاصة بموضوع هام تكون عامة لكل أو لقطاع كبير من الناس ومنطق التأكيد على هذا العامل هو نمط الاتصال (النقل) الذي تتبعه الشائعة عادة و هو نمط سلسلة الاتصال الذي يتصل بعضه على هيئة سلسلة فمثلا (أ) ينقل عبارة إلى (ب) و (ب) ينقلها إلى (ج) و (ج) بنقلها إلى (د) على النحو التالي ا. ب. ج. د هذا بينما ان نمط الاتصال بين أعضاء الجماعة في أي مجتمع من المجتمعات يتبادل وحدات الاتصال من الأخبار و المعلومات و يتميز نمط الاتصال الذي على

شكل سلسلة في الشائعة بأنه ينقطع بسرعة كما انه إذا لم يجد تدعيما من جانب مروجي الشائعة فان انتشارها يكون بطيئا[71].

خاتمـــة:

إن الإسلام شامل لكل جوانب الحياة البشرية ويصلح أن يكون منهجا لتنظيم الحياة البشرية أحسن تنظيم وهو كفيل بإسعاد البشرية وتقديم الحلول لكل المعضلات التي يتخبط فيها الناس في عصرنا الحديث.

ومما لا شك فيه أن عصرنا عصر إعلام وما يتصل به قضايا كالحرب النفسية والدعاية التي تعد من الوسائل الناجعة في ميدان الصراع البشري نظرا للتطور الذي بلغته البشرية في الميدان والشائعة تعد من أبرز وسائل الحرب النفسية في وقتنا الحاضر نتيجة ما يترتب عليها من انتصارات قد لا يجرز في ميدان القتال المحفوفة بالمخاطر نتيجة للتطور التكنولوجي والعلمي الذي قطعت فيه البشرية شوطا كبيرا وبلغت فيه مبلغا عظيما.

وقد حاولت من خلال هذا البحث إبراز المنهج الإسلامي في موضوع الشائعة، منطلقا من المعنى اللغوي للمفردة، الذي هو أصيل في اللغة العربية ونظرا لحداثة الدراسات في هذا الميدان كان لا مناص من الرجوع إلى كتابات الغربيين للوقوف على التعريف الاصطلاحي للظاهرة للانطلاق منها في معالجة موضوع الشائعة من منظور إسلامي، لأن الشائعة ظاهرة اجتماعية موجود في كل عصر ومصر...

وقد حاولت بعد ذلك إعطاء التعريف الإسلامي لهذه الظاهرة الخطيرة في حياة المجتمعات وتبين لي أنها لا تعدو أن تكون: **كذبا محضا أو كذب ممزوج ببعض الحقائق، أو هي حقيقة محرفة ومشوهة**

والشائعة ظن والظن اكذب الحديث، والظن لا يغني عن الحق شيئا، لأنها تنطلق في الغالب من ظنون وأوهام وتخيلات وتكهنات بعيدة كل البعد عن الحقيقة أو تحمل نزرا يسيرا من الحقيقة. **والشائعة استهزاء وسخرية وخوض في أعراض الغافلين والغافلات**

والشائعة: إفشاء لأسرار عسكرية قصد توهين العزيمة وتثبيط الهمة وزعزعة الصف، كما أنها **استعراض لقوة عسكرية موهومة** فصد التخويف والتخذيل وإضعاف الروح المعنوية لدى المقاتلين.

والشائعة: إفشاء لأسرار عسكرية قصد توهين العزيمة وتثبيط الهمة وزعزعة الصف، كما أنها استعراض لقوة عسكرية موهومة فصد التخويف والتخذيل وإضعاف الروح المعنوية لدى المقاتلين.

نخلص من هذا إلى أننا كمسلمين بحاجة إلى علوم إنسانية مبنية على عقيدتنا مستمدة من تصورنا للكون والإنسان وعلاقتهما بخالقهما، تلك الرؤية الواسعة الرحبة التي تجمع كل بني الإنسان، وتؤسس للتعاون بين بني البشر بدل التصارع والتناحر

إن قيام علوم إنسانية إسلامية سيعود نفعه على سائر الأمم والشعوب، باعتبارها نابعة من الفكر الإسلامي، الذي يتسم بسمات العالمية والكونية والواقعية والمصلحية، وليس مصفا بما يكرس الانعزالية والانطوائية والقبلية والجهوية، كما هو الحال في كثير من التصورات الفلسفات الوضعية. فالإسلام وعلومه ومعارفه وفنونه، ينبغي أن تشيع في شتى أنحاء الأرض وبين مختلف الطوائف والملل والجماعات، قصد إصلاحهم بالحسنى ودعوتهم لما فيه خيري الدنيا والآخرة، وانطلاقا من وجوب الشهادة على الناس وإرادة الرحمة بكافة أفراد العالمين.

هوامـــش

[1] – الترمذي (5 / 51) وابن ماجه (2 / 1395) والقضاعي في مسند الشهاب (1 / 65.

[2] – سورة النور، الآية 19

[3] – ابن منظور: لسان العرب دار بيروت للطباعة والنشر الجزء العاشر ص 190 بدون تاريخ.

[4] – ابن فارس: معجم مقاييس اللغة الجزء الثالث ص 167.

[5] – المعجم الوسيط: الطبعة الثانية. القاهرة 1973 الجزء الأول، ص 503.

[6] – الرازي: مختار الصحاح – دار الكتب العربية بيروت لبنان، ص 353.

[7] – سورة النور: الآية، رقم 19.

[8] – محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس الجزء الثامن عشر ص 184.

[9] – فخر الدين الرازي: التفسير الكبير ومفاتيح الغيب – دار الفكر للطباعة والنشر بيروت، 1981، المجلد الثاني عشر الجزء الثالث والعشرين، ص 183.

[10] – شارلز انتدال في البورت غودرن، ليوبوستمان: سيكولوجية الإشاعة ترجمة: صلاح مخيمر وعبده مخائيل رزق، دار المعارف 1961م ص 65.

[11] – Peterson et Augustin: Rouquette. Ml : Les Rumeurs Collection Sociologie – p.u.f. Paris 1975 P.126

[12] – البورت غودرن، ليوبوستمان: المرجع السابق ص 66.

[13] – احمد أبو زيد: سيكولوجية الرأي العام ورسالة الديمقراطية عالم الكتب بيروت 1968 ص 35.

[14] – Driver James: A. Dictionary of Psychology. Penguin Reference Books p 250.1955

[15] – مختار حمزة: أسس علم النفس الاجتماعي، دار المنار جدة 1979 ص 245.

[16] – حسنين عبد القادر الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة القاهرة الطبعة1 ص 140.

[17] – إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير دار العلم بيروت الطبعة الأولى 1975 ص 241.

[18]– محمد أبو زيد: الشائعات والضبط الاجتماعي، القاهرة الطبعة الأولى 1980 ص 65.

[19]– حسين عبد اللاوي: الشائعات ظاهرة اتصال اجتماعي، مجلة الشرطة العدد 38 أكتوبر 1988 ص 30.

[20]– حسين عبد اللاوي: الشائعات ظاهرة اتصال اجتماعي – نفس المرجع ص 30.

[21]– حسين عبد اللاوي: المرجع نفسه ص 30.

[22]– حسين عبد اللاوي: نفس المرجع ص 31.

[23]– حسين عبد اللاوي: مقال بعنوان: الشائعات ظاهرة اتصال اجتماعي – نفس المرجع ص 31.

[24]– حسين عبد اللاوي: نفس المرجع ص 31.

[25] – Levy Strauss Claude: Anthropologie Structurale. P.u.f Paris 1980 p 112

[26]– حسين عبد اللاوي: مقال بعنوان الشائعات ظاهرة اتصال اجتماعي، نفس المرجع ص 31 بتصرف .

[27]– Mezoui Mohamed Réda: Le Phénomène de la Rumeur Publique: un aspect du fonctionnement de la Communication Sociale Revue Algérienne des Sciences Juridiques et Politiques. Volume xxiv – juin 1986 – p279

[28] – مزوي محمد رضا: نفس المرجع ص 282.

[29] – مزوي محمد رضا: نفس المرجع ص 282.

[30] – ميشال روكيت: المرجع السابق ص 09.

[31] – الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القران – الطبعة الحلبية ص 273.

[32] – سورة الصفات: الآية 83.

[33] – سورة القصص: الآية 15.

[34] – سورة القصص: الآية 4.

[35] – سورة الحجر: الآية 10.

[36] – سورة القمر: الآية 51.

[37] – سورة النور: الآية 19.

[38] – تفسير الرازي: المجلد الثاني عشر الجزء الثالث والعشرين ص 183.

[39] – سورة آل عمران: الآيات 173 – 174.

[40] – تفسير الرازي: المجلد الخامس الجزء التاسع ص 101 – 102.

[41] – تفسير الرازي: نفس المرجع ص 103.

[42] – سورة النساء: الآية 83.

[43] – تفسير الرازي: المجلد الخامس الجزء العاشر ص 204.

[44] – سورة الأحزاب: الآيات 57 – 58.

[45] – تفسير الرازي: المجلد الثالث عشر الجزء الخامس والعشرون، ص 230.

[46] – سورة الأحزاب: الآية 60.

[47] – تفسير الرازي المجلد الثالث عشر الجزء الخامس والعشرون، ص 131 – 132.

[48] – سورة النور: الآيات من 11 – 25.

[49] – تفسير الرازي: المجلد الثاني عشر الجزء الثالث والعشرون، ص 173.

[50] – سيد قطب: في ظلال القران المجلد الرابع إلى الثامن عشر الطبعة العاشرة 1981 – 2495.

[51] – سيد قطب المرجع السابق، ص 2500.

[52] –3–انظر سيد قطب: نفس المرجع، ص 2500.

[53] – سيد قطب المرجع السابق، ص 2502.

[54] – سورة الأحزاب، الآيتان.69–70.

[55] – سيد قطب: نفس المرجع المجلد الخامس الجزء الثاني والعشرون، ص2884.

[56] – سورة الحجرات، الآية 06.

[57] – مختار التهامي: الحرب النفسية والرأي العام، مرجع سابق، ص127–128.

[58] – مختار حمزة: مرجع سابق، ص245.

[59]– حسنين عبد القادر: الرأي العام والدعاية وحرية الصحافة، القاهرة، 1957م، ص 140.

[60] – إبراهيم إمام: مرجع سابق، ص 241.

[61] – جمال الدين محفوظ: المدخل إلى العقيدة والإستراتيجية الإسلامية، ص 122.

[62] – زهير الأعرجي: الرأي العام وقوى التحريك، ص 44.

[63] – سورة النحل، الآية 105.

[64] – إبراهيم إمام: نفس المرجع، ص247.

[65] – صلاح مخيمر وميخائيل رزق: المدخل إلى علم النفس الاجتماعي مكتبة الأنجلو مصرية. القاهرة الطبعة الثانية 1968، ص 201.

[66] – صلاح مخيمر وميخائيل عبيدة رزق: المرجع السابق ص 201.

[67] – احمد محمد: سيكولوجية الرأي العام ورسالة الديمقراطية – عالم الكتب – بيروت 1969 ص 176.

[68] – إبراهيم إمام: مرجع سابق، ص 248.

[69]– سليم عبد الله حجازي: المنهج الإسلامي في صلح الحديبية – دار المنارة جدة 1986 ص 162.

[70]– فريد محمود عزت: بحوث في الإعلام الإسلامي– دار الشروق ط1، ص 45 – 46.

[71] – محمود السيد أبو النيل: سلسلة علم النفس (علم النفس والشائعات) دراسات عربية وعالمية – دار النهضة العربية بيروت 1986م، ص 13.

Annales des Sciences Sociales et Humaines de l'Université de Guelma

Revue scientifique publiée par l'Université 8 Mai 1945 Guelma

Directeur de la revue :

Pr. Mohamed Nemamcha

Directeur de la publication :

Pr. Rachid Chaalel

Rédacteur en chef :

Pr. Kamel Ben Mars

Comité de rédaction :

- Dr. Ladi Tolgui
- Dr. Souhila Boukhmis
- Dr. Abdelazize Djehmi
- Dr. Nacer Bouazize
- Dr. Wassila Harkas

Révision linguistique :

- Pr. Rachid Chaalel

Comité scientifique:

Pr. Gaid Tlilene Nouara	Univ. Bedjaya/Algérie
Pr. Samaai Ismail	Univ. A.M.kader/Algérie
Pr. Abed Youcef	Univ. . A.M.kader/Algérie
Pr. delyou foudhil	Univ. Constantine/Algérie
Pr. Ferkous Saleh	Univ. Guelma/Algérie
Pr. Kedadra Chaib	Univ. Guelma/Algérie
Pr. Chergui Mohamed	Univ. Guelma/Algérie
Pr. Belaadi Ibrahim	Univ. Guelma/Algérie
Pr. Haddad Mostapha	Univ. Betna/Algérie
Pr. Maatalah Kheireddine	Univ.de Guelma/Algérie
Pr. Rahel Slimane	Univ. Annaba/Algérie
Pr. Zaoui Houcine	Univ. Annaba/Algérie
Pr. Boukhrissa Boubaker	Univ. Annaba/Algérie
Pr. Nadji A.Nour	Univ. Annaba/Algérie
Pr. Nouar Merbouha	Univ. Annaba/Algérie
Pr. Boukaf A.Rahmene	Univ. Alger/Algérie
Pr. Bouzid A.Halim	Univ. Betna/Algérie
Pr. Djendli A.Nacer	Univ. Betna/Algérie
Pr. Jaber Naser Eddine	Univ. Beskra/Algérie
Pr. Moussi A.Nacer	Univ. Beskra/Algérie
Pr. Techoire kheir Eddine	Univ. Telemcen/Algérie
Pr. Mecherbet Ali	Univ. Telemcen/Algérie
Pr. Maarage Houari	Univ. Ghardaia/Algérie
Pr. Touhami Ibrahim	Univ. Sekikda/Algérie
Pr. A.Ellah Mai	Univ. Libanaise/Liban
Pr. Kirat Mohamed	Univ. Qatar/Qatar
Pr. Chettah Mohamed	Univ. Charika/Emirat
Pr. Atia A.A.halim	Univ. Caire/Egypte
Pr. Radjeb A.Setar	Univ. Carthage/Tunisie
Pr. Ouissal Ahmed	Univ. Mermoura/Turkie
Dr. Nouar Tayeb	Expert en Criminologie/Emirat
Dr. Meradji Rabeh	Univ. Constantine/Algérie
Dr. Kihel mustapha	Univ. Annaba/Algérie
Dr. Khallasi Mohamed	Univ. Annaba/Algérie
Dr. Hamdaoui Wassila	Univ. Guelma/Algérie
Dr. Ghoul Lakhder	Univ. Guelma/Algérie
Dr. Harkass Wassila	Univ. Guelma/Algérie
Dr. Tayar hecen	Univ. Sekikda/Algérie
Dr. Ben khadidja Monsef	Univ. soukahras/Algérie

Correspondance :

Toute Correspondance doit parvenir à :

La direction de la Publication Universitaire de Guelma
BP 401 Guelma 24000 Algérie.
Tél : 037.21.58.49 Fax : 037.26.05.01
Email: annalesguelmassh @yahoo.fr
Site Universitaire: www.univ-guelma.dz

UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

Annales des Sciences Sociales et Humaines de l'Université de Guelma

Revue scientifique publiée par l'université 8 Mai 1945 Guelma

N°:09

Décembre 2014

Dépôt légal : 2129-2007

ISSN : 1112-7880

DIRECTION DE LA PUBLICATION UNIVERSITAIRE DE GUELMA 2014

D.P.U.G

UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA

Annales des Sciences Sociales et Humaines de l'Université de Guelma

Revue Scientifique Publiée par l'Université 8 Mai 1945 Guelma

N°:09

Décembre 2014

Dépôt légal : 2129-2007

ISSN : 1112-7880

DIRECTION DE LA PUBLICATION UNIVERSITAIRE DE GUELMA 2014

D.P.U.G